سوق الجوارى

تاليف

د. نبيل راغب

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

سوق الجواري



استيقظت أمل كعادتها مبكرة فى ذلك الصباح من يوليو الحار ، لكن شعورا من القلق الخفيف كان ينتابها . كانت بالأمس قد علمت بنجاحها فى الثانوية العامة ، وهو نجاح لم تشك فى حقيقته لحظة واحدة منذ آخر يوم أدت فيه الامتحان . ولذلك بحثت عن رقم جلوسها فى الجريدة المسائية بمنتهى الثقة . لكنها عندما فتحت عينيها السوداوين الواسعتين الجميلتين ، تذكرت أن عليها أن تذهب إلى مدرستها لسحب أوراقها التى ستتقدم بها إلى الجامعة . لم يقلقها النجاح بقدر ما كان يقلقها التفوق الذى واكب حياتها الدراسية كلها . لم تتخلف سنة واحدة ، وكان ترتيبها الأولى فى الشهادة الإعدادية على مديرية الجيزة كلها . وتضاعف إحساسها بالمسئولية مع كل تفوق جديد تحققه . لم تكن الدراسة بالنسبة لها واجبا ثقيلا تؤديه على أى وجه ، بل كانت تحديا تشعر أنها تحقق وجودها من خلاله . كانت دائما الصغرى فى السن والأولى فى الترتيب ، أما جمالها الأنثوى المتفجر فكان ملتقى حسد زميلاتها ومصدر إعجابهن فى الوقت نفسه .

نهضت من فراشها بعد أن نفضت عن جسدها الغطاء الأبيض الخفيف ، فبدا قميصها الوردى الشفاف الذى لا يكاد يغطى الفخدين . وقفت أمام مرآة دولابها الصغير الأنيق تتأمل جمالها المشع وشعرها الأسود الناعم اللامع الذى يكاد يفترش كل ظهرها ، وبشرتها البيضاء التى لوحتها الشمس لكنها لم تطفئ بريقها الشفاف . لم تكن طويلة القامة ، لكن الهالة المحيطة بها جعلتها

تبدو أطول من حقيقتها . وكانت أمل قد اعتادت نظرات الحسد والإعجاب فى أعين النساء ، ولمحات السحر والوله فى عيون الرجال ، لدرجة أنها كانت تفتقد هذه النظرات واللمحات كلما شعرت بغيابها . لكنها لم تمنح اهتمامها الخاص لأى شاب ، فقد كان احترامها لعقلها وفكرها لا يقل عن اعتزازها بجمالها وجاذبيتها .

كانت مغرمة بالرواية والفلسفة ، وغالبا ما كانت تقضى وقت فراغها وإجازاتها الصيفية سائحة بين بطلات الروايات وأبطالها ، أو سابحة بين تيارات الفلسفة ومذاهبها ، حتى تلك التى كان فهمها يستعصى عليها . كان الجو الخيالى فى الروايات والفكر المثالى فى الفلسفة أكثر صدقا فى نظرها من الواقع الذى تعيشه بالفعل . وكثيرا ما كانت تتكلم عن أرسطو كما لو كان أستاذا لها بالمدرسة ، وعن بطلات الروايات كما لو كن صديقاتها . أما فتى أحلامها فكان مزيجا من الروائى والمفكر والفيلسوف ، وهو ما افتقدته كثيرا فى الشباب الذين قابلتهم ، سواء أكانوا أخوة صديقاتها أو من أبناء العم أو الخال أو الجيران . ولذلك كرست كل فكرها وجهدها لدراستها ، وخاصة أن التفكير فى الزواج لم يكن أمرا ملحا ، فلم تكن قد جاوزت السادسة عشرة إلا بشهر واحد .

استدارت تاركة المرآة فوجدت الساعة المذهبة الصغيرة فوق الكومودينو تعلن السابعة صباحا . عاودها الإحساس بالقلق مرة أخرى . إنها لن ترضى بمجموع أقل من ثمانين فى المئة ! ماذا لو لم يكن المصححون منصفين ، وخاصة أن مواد القسم الأدبى تحتمل اختلاف وجهات النظر ؟! كما أن ما يراه أحدهم إسهابا وإطنابا قد يظنه آخر اختصارا وتقصيرا ؟! هل يمكن أن يتخلى عنها تفوقها فى هذه السنة الحاسمة من عمرها ؟! لا داعى لمثل هذه الهواجس

والمخاوف ، فستكون فى مدرستها بعد ما لا يزيد عن ساعة وستعرف كل شيء !

ذهبت إلى نافذتها وفتحت خصاصها . لم تكن تخاف تلصص عيون الجيران على جسدها شبه العارى . فقد كانت فى الطابق السابع من عمارة شاهقة تطل على حديقة الحيوان . لشد ما عشقت هذا المنظر ! وخاصة عندما كان الضباب يغلف أشجار الحديقة وممراتها فى الصباح الباكر ، أو عندما تسطع الشمس مطاردة بقايا الضباب والغمام ! أما زئير الأسد وخاصة فى الليل فلم يكن يخيفها ، بل كان وقعه فى أذنيها وقع سيمفونية المهابة والوقار . كانت من شرفتها تكاد تلم بالحديقة كلها فى لمحة واحدة ، ولم يكن يسعدها أكثر من متابعتها لأسراب أبى قردان التى لا تتوانى عن تبادل مواقعها فوق الأشجار ، سواء تلك التى داخل الحديقة أو خارجها . وبرغم أنها كثيرا ما ألقت بفضلاتها على ملابسها وأحيانا على شعرها الأسود الجميل ، وهى تعبر الشارع أمام العمارة ، أو وهى فى طريقها إلى مدرسة الجيزة الثانوية ، فإنها لم تفقد ارتباطها العاطفى بهذه الطيور البيضاء الرشيقة التى كان لها نصيب لا يستهان به فى مذكراتها التى كانت تسجلها فوق مكتبها الرمادى الصغير الذى يقع بين فراشها وبين نافذتها التى تطل على المنظر الذى لم تشبع عيناها منه .

حاولت ذات مرة أن تكتب رواية تعبر فيها عن رأيها فى الحياة ونظرتها إلى المجتمع ، لكنها اكتشفت أن الفصل الأول والوحيد الذى كتبته كان مزيجا من مذكراتها الشخصية ومن بعض مواقف وردت فى روايات لأدباء مصريين وأجانب . فتوقفت لإدراكها أنها لم تبلغ بعد مرحلة النضوج الفكرى والفنى التى تمكنها من كتابة رواية بالمعنى الحقيقى ، لكنها لم تصرف النظر نهائيا عن

الفكرة ، فقد أرجأتها لحينها .

تركت النافذة والغرفة إلى الحمام حيث وجدت أمها فى المطبخ تعد طعام الإفطار . قبلتها ملقية تحية الصباح فى عذوبة جعلت أمها تترك البيض المقلى فوق النار وتحتضنها بقبل فياضة بالحنان ، وداعية لها بالتفوق . تخلصت أمل من أحضان أمها برقة ضاحكة وهى تشير إلى البيض :

ـــ سيحترق البيض !!

قلبت الأم البيض بملعقة فى يدها فى حين نظرت إلى ابنتها :

ـــ فداك البيض يا روحى !!

تساءلت أمل :

ـــ ألم يستيقظ أبى بعد ؟!

ـــ استيقظ فى الخامسة وغادر البيت فى السادسة لاستقبال طلال بك الذى أبرق إليه بوصوله اليوم بالطائرة ..

ضحكت أمل معلقة :

ـــ تصورى يا ماما ، إننى لم أر طلال بك هذا حتى الآن برغم أننى منذ بداية وعيى بهذه الدنيا وأنا أعرف أن بابا يعمل وكيلا لأعماله ومشروعاته فى مصر !!

ـــ إنه رجل أعمال عربى يصغر أباك بخمس سنوات فقط .. وهو يقضى معظم وقته بعيدا عن مصر باستثناء شهر أو شهرين فى الشتاء ، وأسبوعين فى الصيف .

ـــ لكن لماذا يذكر بابا أفضاله عليه دائما ويصر على تكرارها ؟!

ـــ لأنك لا تعرفين ماذا كانت حالتنا الاجتماعية والمالية قبل أن يعمل أبوك معه !

ــ إن الفضل فضل ربنا .. والخير خير ربنا .. ولا فضل لبشر على بشر !!

ــ لكن الخير جاء على يديه ولا بد أن نعترف بهذا !

ــ ألا يقوم بابا بعمل مجهد ومضن فى سبيل ما يحصل عليه من دخل ؟!

وضعت الأم قطعة من الجبن الفاخر المستورد فى طبق وهى تعلق :

ــ الحياة تختلف تماما عن الروايات التى أغرمت بقراءتها .. هناك ألف يتمنون الحصول على وظيفة أبيك .. كما لا تنسى أيضا أن أخاك عبد المنعم يعمل وكيلا لمشروعات المليونير فى الإسكندرية .. ويعيش الآن فى فيلا فاخرة هناك مع زوجته وأولاده .. لقد عاصر أخوك أيام الفقر والجوع لدرجة أن أباك دفع به إلى العمل منذ سن الخامسة عشرة من عمره حتى يساعده على نفقات المعيشة .. ولذلك لم يكمل تعليمه الثانوى .. أما أنت يا أمل فقد منَّ الله بك علينا بعد طول انتظار لدرجة أننى ظننت أننى أصبت بالعقم بعد إنجابى لعبد المنعم .. وجئت أنت وجاء السعد كله معك !!

ذهبت الأم إلى غرفة المائدة حاملة صينية عليها أطباق البيض والجبن والمربى وإبريقا الشاى واللبن والسكرية ، وفى أعقابها أمل سعيدة بتفاؤل أسرتها بمقدمها ووجودها معها . جلست الأم إلى المائدة وأمامها أمل التى صبت الشاى فى فنجان أمامها ورشفت رشفة سريعة ثم قالت ضاحكة :

ــ إذا .. التدليل المستمر لى منك ومن بابا .. ليس لأنكما تحبوننى .. ولكن لأننى أتيت بالسعد معى !!

نظرت أمها نظرات معاتبة إليها وهى تمضغ لقمة بقطعة من الجبن :

ــ أنت تعلمين جيدا أنك السعد نفسه ! وأننا نحبك لأنك أغلى من نور عيوننا نفسه !

قفزت أمل من مقعدها بخفة الغزال وقبلت أمها ضاحكة ، ثم اختفت

داخل غرفتها فصاحت أمها متسائلة :

ــ ألن تتناولى إفطارك ؟! إن كوبا من الشاى لا تعد إفطارا ؟!

صاحت أمل من الداخل :

ــ ليست لى شهية .. كما أننى أخاف على جسمى من الترهل !!

ــ هكذا أنتن يا بنات هذه الأيام .. ومع ذلك فأنا أعلم السبب الحقيقى فى ضياع شهيتك !!

ــ ليس هناك سبب محدد !

ــ إن القلق ينهشك خوفا من حصولك على مجموع درجات لا يتمشى مع طموحك وجهدك طوال العام !

مست الأم الوتر الحساس المشدود عند ابنتها فلزمت الصمت فى غرفتها . فجأة تذكرت قطتها البيضاء الجميلة بوسى فوجدتها لا تزال تغط فى نومها عند طرف الفراش . تعجبت أمل من نفسها لأنها اعتادت إيقاظ قطتها كل صباح وتناول إفطارها معها . جلست على الفراش واضعة قطتها فى حجرها . فتحت القطة عينيها ونظرت إلى وجه أمل فى امتنان وطمأنينة ثم عادت إلى النوم وهى تصدر كركرة رتيبة . مسحت أمل شعرها الطويل الناعم بيدها وهى تقول :

ــ إننى أحسدك يا بوسى على الطمأنينة التى تتمتعين بها . عندك حق .. فليس هنا مجموع درجات أو استمارة نجاح فى انتظارك !!

ــ ألم أقل لك إن القلق ينهشك خوفا من حصولك على مجموع لا تتمنينه ؟!

استيقظت أمل من خواطرها على صوت أمها الواقفة بالباب تتأملها خفية وتضيف متسائلة :

ــ هل أصبحت بوسى كاتمة أسرارك التى تخفينها عن أمك ؟!

نظرت أمل إلى أمها باسمة وهى تعيد بوسى إلى مكانها فوق الفراش فتمطت متثائبة واستأنفت الكركرة والغطيط . ذهبت أمل إلى أمها وهى تقول جادة :

ــ سأغسل وجهى وسأرتدى ملابسى .. فقد اتفقت مع وفاء على الذهاب إلى المدرسة قبل التاسعة ..

قالت الأم وهى تفسح الباب لها :

ــ لا بد أن تأكلى شيئا قبل خروجك ..

قبلت أمل أمها ضاحكة وهى تؤدى التحية العسكرية :

ــ سمعا وطاعة يا أجمل ماما فى الدنيا !!

وسرعان ما كانت فى الحمام وفى أعقابها قفزت قطتها غير عابئة برذاذ الماء المتطاير من الحوض ، فلم تكن تفعل شيئا فى أثناء وجود سيدتها بالبيت سوى أن تتبعها كظلها . وكانت أمل سعيدة بهذه التبعية التى تشبع عواطف الانتماء والارتباط عندها . فأخوها عبد المنعم يعيش معظم وقته فى الإسكندرية حيث أعماله ومشاغله كثيرة ، وإذا جاء إلى القاهرة فإنه يقضى فترة وجوده القصيرة فى أداء بعض المهام واستشارة أبيها فيما يجد من أمور ، أما أبوها فهو إما غائب أو مشغول ، فى حين لا تترك أمها كل كبيرة أو صغيرة إلا وتشرف عليها بنفسها ، وهى تكره الوجود المستمر للخدم بالبيت ، ولذلك فإن دادة حفيظة تعاونها فى خدمة البيت يوميا من الثامنة صباحا إلى السادسة مساء ، فيما عدا الأيام التى يحتاج إليها البيت طوال النهار وحتى ساعة متأخرة من المساء .

تناولت أمل لقمة صغيرة محشوة بالجبن حتى لا تغضب أمها . وسرعان ما كانت فى غرفتها ترتدى البنطلون الجينز الأزرق الذى علقت به بعض شعيرات بيضاء عند أسفله من جراء تمسح القطة به . أما البلوزة فكانت بيضاء

بخطوط وزهور حمراء دقيقة ، تأرجح فوقها القلب الذهبى الصغير المتدلى من سلسلة دقيقة لا تكاد تظهر لأول وهلة . ربطت أمل شعرها الأسود اللامع الناعم الطويل برباط أحمر جعله يبدو كذيل الحصان العربى الأصيل ، ثم وضعت حقيبتها البيضاء الصغيرة فى كتفها ، وانطلقت لتقبيل أمها مودعة وهى تدعو لها بالتوفيق والنجاح . حاولت بوسى الخروج مع سيدتها لكنها انحنت عليها وأزاحتها برفق ثم أغلقت باب الشقة خلفها .

فى المصعد نظرت إلى نفسها معجبة فى مرآته ، لكن إعجابها بنفسها لم يطرد هواجسها التى سرعان ما خفت حدتها عندما سارت فوق الرصيف وهى تتابع بعينيها أسراب أبى قردان فوق قمم الأشجار خارج الحديقة وداخلها ، فى حين كانت أسراب السيارات تتدافع مع إشارة المرور الخضراء بضجيج أبواقها ومحركاتها وبسحابات الدخان الخانق المتدفق من فوهات العادم . كانت أمل تحب الذهاب إلى المدرسة والعودة منها سيرا على الأقدام . فقد كان السير رياضتها الجسدية الوحيدة ، لأن رياضة الفكر والأدب شغلت كل دنياها .

تتابعت دقات قلبها وهى تعبر الشارع فى طريقها إلى البوابة الخشبية الضخمة للمدرسة ، والتى طالما شبهتها ضاحكة ببوابة السجن التى اعتادت رؤيتها فى الأفلام المصرية . دلفت من البوابة فوجدت الطالبات متجمهرات فى الفناء وبينهن صديقة عمرها وفاء التى قالت لها وهى تحتضنها إن السكرتير قد أغلق غرفته مع بعض المساعدين لتنظيم تسليم استمارات النجاح ، وأنهم سينادون على الأسماء طبقا لأرقام الجلوس ، لاحظت أمل نظرات الزميلات إليها فحيتهن بإيماءة من رأسها فى حين قالت وفاء وهى تبتعد بها قليلا عن الحشد المتناثر :

— لقد أصابك يا أمل من الحسد هذا الصباح ما لم يصب تلميذة أخرى من قبل !

قالت أمل وقد احتشدت شحنة التوتر فى صدرها الناهد :

— أعرف إصرارهن على أننى سأكون من أوائل القسم الأدبى !

أمسكت وفاء بيد أمل فى حنان وقالت مربتة عليها :

— حماك الله من شر العين !

حاولت أمل التخلص من شحنة التوتر بالظهور بمظهر المفكر العقلانى :

— وهل تعتقدين يا وفاء أن حسدهن سيغير من الواقع شيئا ؟!

— لا أدرى .. لكننى لاحظت أنه إذا كان من الصعب تفسير معنى الحسد وكنهه إلا أن نتائجه وآثاره كانت واضحة فى حياتى أنا شخصيا !!

— الحسد بالذات مفهوم أو وهم يصعب تبريره أو إثباته أو فلسفته !

ضحكت وفاء وهى تجذب أمل من يدها تجاه غرفة السكرتير :

— مشكلتك يا أمل أنك تطبقين الفلسفات التى تعلمناها فى الفصل على حياتنا العملية !

— إذا لم تصلح للتطبيق والفائدة العملية فلا لزوم لها !

وقفت الصديقتان بالقرب من نافذة غرفة السكرتير التى فتحت فجأة وأطل منها السكرتير شخصيا معلنا أنه سينادى على أرقام الجلوس ، ومن تسمع رقمها تدخل الغرفة فورا لاستلام أوراقها . دق قلب أمل كالطبل داخل صدرها الذى تراوح بين الصعود والهبوط لدرجة أن وفاء لكزتها بكوعها فيما يشبه الصراخ :

— إنه ينادى على رقم جلوسك وأنت شاردة !!

تنبهت أمل واخترقت دون تفكير جموع الطالبات حول باب الغرفة . فى

الغرفة سألها السكرتير :

— أنت أمل عبد الحميد المصرى ؟!

أجابت فى مزيج من الشرود والقلق والتوقع :

— نعم !

نهض السكرتير ومد يده مهنئا :

— ألف مبروك .. فقد شرفت مدرستنا .. ترتيبك السابع فى القسم الأدبى على مستوى الجمهورية كلها .. وقد جاء بعض الصحفيين صباح اليوم للسؤال عن صورتك وعنوانك لإجراء حديث معك .. فسوف تنشر صورتك فى الصحف غدا .. وبعد ذلك سيزورونك فى البيت لكتابة تحقيق صحفى عنك وعن أسرتك !!

كانت أمل تستمع إلى أجمل لحن عزفته الأيام فى أذنيها . لم تع كل كلمات السكرتير ، فقد كان صخب موجات السعادة المتلاطمة أعلى من إيقاع الكلمات . لكنها تمالكت نفسها وشكرت السكرتير ومساعديه ، ثم وقعت على استلام أوراقها التى أخذتها وخرجت وسط جموع الطالبات اللاتى انهلن عليها بالأسئلة فلم تجد ما تجيب به عليهن سوى بكلمة واحدة : السابعة .. السابعة .. السابعة . ثم ضاع صوتها وسط تكالبهن على باب الغرفة ، فى حين احتضنتها وفاء وقبلتها ، فتمنت لها أمل نفس الحظ السعيد ، وظلت فى انتظار نتيجتها على أحر من جمر ، فالمسافة طويلة بين حرف الألف وحرف الواو ، لكنها انتظرت وإن كانت تود الطيران كى تكون أمها أول من يعلم بالنبأ السعيد . وأخيرا بعد ما يقرب من الساعتين نودى على رقم جلوس وفاء ، فدخلت وتسلمت أوراقها . كانت نسبة نجاحها واحدا وثمانين فى المائة ، وهو تفوق تحسد عليه وسعدت به ، لكن تفوق أمل كان بمثابة الرقم القياسى الذى

لم يبلغه أحد على مستوى المحافظة .

سارت الصديقتان يحدوهما جو حميم من السعادة والبشر . قالت أمل ضاحكة وهما تعبران الشارع :

ــ أرأيت أن الحسد وهم لا أساس له من الصحة ؟! إنه لم يؤثر على مجموعى الذى ابتعد عن المجموع الكلى بدرجات قليلة !

بادلتها وفاء ضحكة بضحكة وهى تمسك كتفها :

ــ على كل حال أمسكى الخشب !!

عند مفترق الطرق ودعت وفاء صديقتها إلى حيث منزلها الذى يطل على النيل ، ووعدتها بحديث تليفونى للاتفاق على الذهاب إلى مكتب تنسيق الجامعات لتقديم أوراقهما سويا إلى كلية الآداب . فقد كانت الاثنتان مغرمتين بالفلسفة والفكر الإنسانى إلى حد الجنون ، لكن وفاء كانت تود الاشتغال بالصحافة فى حين كانت أمل تود العمل معيدة بقسم الفلسفة لاستكمال دراستها للماجستير والدكتوراه . كانت آمالها أكبر من أن يتسع لها قلبها الصغير ، وبلغ بها الطموح درجة تصورت فيها أن اسمها سيخلد فى التاريخ مع أسماء سقراط وأفلاطون وأرسطو والفارابى وابن رشد والغزالى وديكارت وشوبنهاور وهيجل ونيتشه !

أسرعت الخطى إلى بيتها . لم تجد المصعد ففكرت فى صعود السلم إلى الدور السابع . وعندما وضعت قدمها على أول درجة هبط المصعد مفرغا حمولته من سكان العمارة . فى المصعد تذكرت أن الجو كان حارا للغاية فى الشارع ومع ذلك لم تشعر به إلا عندما رأت بعض قطرات العرق فوق جبهتها التى انعكست فى مرآة المصعد الذى توقف أمام الدور السابع . وفى لحظة كانت تضع يدها على الجرس دون أن ترفعها وبرغم أن مفتاح الباب فى حقيبتها

المعلقة حول كتفها . كانت تقبض على أوراقها بيدها اليسرى وكأنها تستذكر كلمة السر التى ستفتح لها مغارة على بابا . سمعت دادة حفيظة تصرخ من الداخل متسائلةً عن المجنون الذى يحاول حرق الجرس ؟!

فتحت دادة حفيظة الباب وهى تلهث من جراء انطلاقها الذى لا يناسب جسمها المترهل . طغت مسحة من الخجل المشرب بالحمرة على وجهها المنتفخ عندما رأت أمل فتساءلت :

ـ لا مؤاخذة يا ست أمل !! لكن أين مفتاحك ؟!

لم تتلق حفيظة إجابة بل لكزة من يد أمل فى صدرها على سبيل المداعبة التى أكدت لحفيظة أن شيئا سعيدا قد حدث ، وغالبا نجاح الست أمل بتفوق . فهى تعرف جيدا حالات البشر والانطلاق وما تعنيه عندما تنتابها . دعت لها بالمزيد من النجاح والتوفيق لكن أمل كانت قد انطلقت باحثة عن أمها التى وجدتها فى المطبخ تشرف على إعداد صينية ضخمة من الشاى والشطائر والحلوى . احتضنت أمها التى غمرتها السعادة بمجرد أن تلقت رسالة ابنتها الصامتة ، فلم تملك سوى أن تقول بدون تفكير :

ـ ألف مبروك يا حبيبتى !! ألف نهار أبيض !!

صاحت أمل كالأطفال عندما تجرفهم النشوة :

ـ السابعة يا ماما !! السابعة !!

نظرت الأم إلى ابنتها نظرات متسائلة فأوضحت أمل وهى تحمل بوسى التى جاءت مندفعة للتمسح بقدمى سيدتها :

ـ السابعة على الجمهورية كلها !!

انهالت الأم على ابنتها بالأحضان والقبلات لدرجة أفزعت القطة التى

تملصت من يدى أمل وهرعت خارج المطبخ ، وبين الأحضان والقبلات خرجت كلمات الأم :

ـــ ألف مبروك يا روحى .. أنت تستحقين كل خير !! لقد استجاب الله لدعواتى ليل نهار .. عقبى للجامعة والماجستير والدكتوراه !!

ألقت أمل بسؤالها بنفس الاندفاع المثير :

ـــ أين بابا ؟! ألم يأت بعد من المطار ؟!

جاء منذ نصف ساعة ومعه طلال بك الذى جاء معه ليشاهد بنفسه الأجهزة الإلكترونية التى اشتراها أبوك من الخارج للمشروع الجديد ..

ـــ كنت أظن أن هذه العلب الصغيرة تحتوى على أدوات منزلية ؟!

ـــ إنك لا تهتمين بأى شىء فى المنزل سوى بدراستك ! وأرجو أن يستمر اهتمامك بدراستك حتى تحققى كل ما تطمحين إليه !

ـــ سأذهب إلى بابا لأزف إليه النبأ السعيد !

أمسكت الأم ابنتها فأوقفتها قائلة :

ـــ لا داعى للذهاب الآن .. فباب الصالون مغلق عليهما منذ مجيئهما .. ولن يفتح إلا لحفيظة لتقدم الشاى .. انتظرى حتى يعود طلال بك إلى جناحه فى الفندق ..

تخلصت أمل من يد أمها برفق ورقة :

ـــ عندئذ سيذهب معه بابا .. وسيظل يرافقه كالظل حتى يغادر مصر .. ولن أستطيع الانتظار كل هذه المدة حتى لو سافر غدا !!

انطلقت أمل برغم تحذيرات أمها التى لم تلق آذانا مصغية . فقد كانت الإثارة الصاخبة داخلها أعلى من أى صوت آخر . فتحت باب الصالون بعد

دقات خفيفة عليه ورأت لأول مرة طلال بك العرباوى المليونير الذى سمعت عنه كثيرا . فلم يكن هناك حوار بين أبيها وأمها وأخيها دون أن تكون فيه لسيرة طلال بك نصيب الأسد . لم تلحظ فارقا فى السن بينه وبين أبيها . وحتى ملامحه كانت مصرية إلى حد كبير لولا اللحية الصغيرة التى التصقت بأسفل ذقنه . وكانت تعلم من حديث أبيها المتكرر عنه أن أمه مصرية من أسرة أرستقراطية عريقة تزوجت من أبيه فى عهد ما قبل البترول ، وكانت أسرتها قد لفظتها بسبب هذه الزيجة لدرجة أن أحدا من أفرادها لم يحضر جنازتها التى لم يعلم بها أحد ، وعندما علموا بعد ذلك لم يعر واحد منهم الأمر أى التفات . كان طلال بك يرتدى الحلة الأوروبية الأنيقة والساعة الذهبية الثمينة التى نافس وميضها صلعته التى تفترش معظم رأسه ، فى حين كانت أمل تتخيله دائما بالعباءة الفضفاضة السوداء والعقال الأبيض المطعم بالذهب والقصب .

لم يرفع طلال بك عينيه عن أمل وهى تمد يدها بالسلام وسط دهشة أبيها بل ذهوله . قال طلال لعبد الحميد وهو يتأمل أمل بعينين زائغتين :

— لا بد أن هذه المليحة المحروسة ابنتك !

أجاب عبد الحميد فى اقتضاب وكأنه يحاول طرد ابنته خارج الغرفة :

— نعم يا طلال بك !!

— لم أعرف أن لك ابنة بهذا الجمال الرائع !! تبارك الخلاق فيما خلق !!

تضايق عبد الحميد عندما أصر طلال على الإمساك بيد ابنته وهو فى جلسته لم يقم . قال لابنته التى بدأت فى الإحساس بأنها ارتكبت خطأ غامضا لا تدرى كنهه :

ــ لا داعى يا أمل لقطع حبل حديثنا .. إذا كنت تريدين شيئا فانتظرى خارجا .. فوقت طلال بك من ذهب .. ولن يمكث فى مصر أكثر من يومين ..

كان طلال على وشك أن يفتح فمه بالرد والتعليق لولا أن أمل سبقته والإحراج يأخذ منها كل مأخذ :

ــ جئت لأخبرك بأننى حصلت على الترتيب السابع فى القسم الأدبى على مستوى الجمهورية كلها !!

كان رد أبيها متحفظا باردا وهو يضغط على مخارج ألفاظه :

ــ هذا نتيجة طبيعية لاجتهادك وحبك الأصيل الراسخ للدراسة والتعليم ! مبروك .. ولتستعدى من الآن للجامعة بإذن الله ..

تراجعت أمل بظهرها حتى الباب وطلال بك يقول :

ــ إن الزوج الميسور الحال يوفر على زوجته متاعب الدراسة والعمل فيما بعد .. فمكان المرأة البيت أولا وأخيرا !!

بحركة تلقائية فتحت أمل الباب وخرجت دون استئذان . أغلقته خلفها بهدوء متوتر فى حين تسلل إلى أنفها العطر الفاخر الذى التصق بكفها من جراء إمساك طلال بك بها . وضعت كفها على أنفها باستمتاع ، لكنها سرعان ما ألقت بها إلى جانبها عندما تذكرت رأيه المتخلف فى المرأة . دخلت حفيظة الغرفة حاملة صينية الشاى والشطائر والحلوى . عادت بوسى إلى التمسح بقدمى سيدتها التى بحثت عن أمها فوجدتها لا تزال فى المطبخ تشرف على إعداد طعام الغداء . وعندما لمحت ابنتها بادرتها :

ــ إنك لا تعرفين الصبر ؟!

ابتسمت أمل وقد عادت إلى حمل قطتها :

— أخيرا .. كتب لى أن أرى طلال بك !!

— لم أكن أحب أن يراك !

— لماذا ؟! إنه فى سن بابا تماما !!

— إنك لا تعرفين شيئا عن أحوال الدنيا .. والفلسفة التى تعرفينها فى الكتب ليست لها علاقة بما يدور بين الناس !!

— إننى لم أرتكب جرما حين أبلغت بابا بتفوق .. كل ما أردته أن يشاركنى فرحتى !!

— وماذا كان سلوك طلال بك معك ؟!

— كان فى منتهى الرقة والذوق .. لكننى لم أحترم رأيه المتخلف فى المرأة !

— إنك جميلة يا أمل .. وأى رجل يتمناك ..؟

انفجرت ضاحكة :

— لكن كيف يتمنانى من هو فى سن بابا ؟! كما أن الرأى لى أولا وأخيرا !! وكان أجدر بى أن أوافق على تقدم صبرى ابن عمى لخطبتى وهو الذى يكبرنى بست سنوات فقط .. لكننى رفضته لتفاهة عقليته .. لا تخافى يا ماما .. ابنتك تعرف مصلحتها وطريقها ومستقبلها كما تعرف أصابع يدها ..

— لا أحد يعرف ما قد تأتى به الأيام !

— لا أحب نغمة الخنوع والخضوع فى كلامك يا ماما .. إنك تتكلمين كما لو كنت قد رسبت فى الثانوية العامة !! فى حين أن الصحفيين سيأتون غدا إلى بيتنا لإجراء تحقيق صحفى عن حياة الطالبة المعجزة وأسرتها !!

عادت أمل إلى ضحكها الصاخب ومرحها العارم لدرجة أنها قذفت

بقطتها إلى أعلى ثم تلقفتها عدة مرات ، والقطة مستسلمة فى رعب لما تفعله بها سيدتها التى تعشقها ، فى حين رفعت الأم عينيها إلى سقف المطبخ بعد أن وضعت صينية بطاطس ودجاج فى الفرن ، قائلة دون أن تفتح شفتيها بكلمة واحدة :

ـــ فليمنحك الله يا حبيبة قلبى كل ما تطمحين إليه .. وليبعد عنك ذئاب الطريق !

٢

تقلب عبد الحميد قلقا فى فراشه لدرجة أن زوجته لم تنم بدورها . فتحت عينيها وظلت تحملق فى ظلام السقف وهى تخمن أى ساعة من الليل كانت ؟ حتى دقت الساعة الكبيرة فى الصالة الثانية صباحا فوجدت نفسها دون أن تشعر تسأل زوجها :

ـــ أأنت مستيقظ يا عبده ؟!

جاءها صوت زوجها دون لمسة واحدة من نعاس :

ـــ نعم يا مفيدة !!

ـــ شعرت منذ عودتك من توصيل طلال بك إلى الفندق أن هناك ما يقلقك !!

وكأن عبد الحميد كان فى انتظار من يفتح الموضوع ، فاستدار وأضاء الأباجورة إلى جواره . جلس على الفراش وأشعل سيجارة مما ضاعف من قلق زوجته التى لمحت ملامحه الكئيبة المجهدة فى الضوء الأحمر الباهت فجلست بدورها . أطلق نفسا طويلا من الدخان وكأنه يزيح عن كاهله عبئا باهظا . نظر إليها فرأى عينى أمل الواسعتين الجميلتين فى عينيها فتذكر أيام الفقر والجوع والكفاح ، ووقوفها إلى جواره كالسد المنيع حتى جاءت أيام الرخاء والرفاهية على يدى طلال بك . كان جسد زوجته لا يزال جميلا مرغوبا وإن أصابه بعض التجاعيد والترهلات ، لكنه لم يفقد بياضه المرمرى ، كما أن

شعرها الناعم الفاحم لم يفقد لمعانه . كانت أمل تذكره دائما بمفيدة التى عرفها منذ ثلاثين عاما . أغرقته بنظرات الحنان والحب وهى ترتدى قميصها الأخضر الشفاف الذى يكشف عن صدرها وظهرها . وجد نفسه يقول :

ــ أمل !

دقت مفيدة على صدرها دقة خفيفة لكن صداها تردد فى الغرفة الساكنة ذات الضوء الخافت :

ــ ما لها ؟!

ــ ارتكبت اليوم غلطة ظننت أنها ستمر بخير .. لكن ظنى لم يكن فى محله ..

تذكرت مفيدة دخول أمل على طلال لكنها طردت هذا الخاطر على أمل أن يكون شيئا آخر . تساءلت فى لهفة :

ــ ماذا حدث ؟! احك لى بسرعة أرجوك !!

أجاب بصوت صادر من الأعماق ومنطلق مع دخان السيجارة :

ــ ما الذى جعلها تدخل اليوم على طلال بك ؟! إنه لم يرها أبدا من قبل .. وهو الشىء الذى حرصت عليه دائما .. فكنت أعلم أنه مزواج .. ويشتهى كل امرأة جميلة يراها حتى لو كانت فى سن ابنته .. فمنذ اللحظة التى دخلت أمل الغرفة حتى خروجها كاد يلتهمها بعينيه !!

قالت مفيدة وصدرها يعلو ويهبط كما لو كانت تعانى من ضيق فى التنفس :

ــ النظرات شىء والمصارحة بالكلمات شىء آخر !!

ــ وهذا ما حدث فعلا !

جحظت عيناها لكن زوجها لم ينتظر تعليقها :

— بمجرد خروج أمل قال والسعادة تقطر من شفتيه إنه لم يكن يعلم أننى أنجبت جوهرة ثمينة مثلها .. وإنه يشرفه أن يطلب يدها منى !!

دقت مفيدة على صدرها وشهقت متسائلة :

— بهذه البساطة والسرعة ؟!

— هذا ما حدث بالضبط !

— إن شراء دجاجة يستغرق وقتا أطول من هذا !

— إنه يتصور أن فى إمكانه شراء أى شيء فى الدنيا بأمواله الطائلة !

— وأمل ليست أى شيء فى الدنيا !! إنها كل شيء فى دنيانا !!

— إنها فى نظره هكذا !

— لا بد أنه متزوج من أربعة !! هل سيطلق إحداهن ؟!

— هذه الأمور ليست فى اعتباره .. كما أننى لن أستطيع التحرى وراء زيجاته .. فله محطات كثيرة فى تونس ولبنان وسوريا والبحرين .. غير بلده بطبيعة الحال .. وما خفى فى أوروبا كان أعظم !!

— ونحن محطته فى مصر !

— هذه هى الحقيقة التى لا مفر منها !

— إنها كارثة .. فأمل بالذات لا يمكن أن ترضى بهذا الوضع المستحيل بالنسبة لها .. كانت اليوم أسعد مخلوقة بتحقيق أحلامها وطموحها .. فكيف فى اليوم نفسه يتقرر مصيرها وتصبح واحدة من حريم طلال بك .. شيء ما أقلقنى وجعلنى أمنعها من الدخول .. لكنها أصرت .. فأنت أدرى بعنادها .. لكنها دخلت لمواجهة قدرها المتربص بها !!

— لا داعى للبكاء على ما وقع .. المهم الآن هو ما يمكن أن نفعله !

— أشعر أن تفكيرى قد أصابه الشلل !

قال عبد الحميد ضاغطا فكيه بأسنانه :

— لا تقولى هذا يا مفيدة .. كنت دائما كالصخرة معى فى مواقف أصعب من هذا الموقف الطارئ !!

— لست صخرة فيما يمس ابنتى ومستقبلها !

— لن نترك الموقف يجرفنا هكذا .. لا بد من عمل شىء !

عادت لمحات الإصرار إلى عينى مفيدة :

— إذا .. لا بد من مفاتحة صاحبة الشأن فى الموضوع !

— وإذا رفضت ؟!

— نخبر طلال بك برفضها !

— ليس الموضوع بالبساطة التى تتصورينها ! إنه مثل الطفل المدلل .. على استعداد أن يدمر كل شىء فى طريقه إذا لم يحصل على اللعبة التى يريدها !!

— إن ابنتى ليست لعبة أى رجل .. مهما كان شأنه !!

أطلق عبد الحميد نفسا عميقا من سيجارته وتنهد :

— يبدو أنك نسيت أننا نعيش من فضلات خيره ..

قالت مفيدة بصوت عال تردد صداه بين جدران الغرفة الساكنة :

— ألم أقل لك إن تفكيرى قد أصابه الشلل ؟! إنه كابوس لا أستطيع الاستيقاظ منه !!

قال زوجها بهمس كالفحيح الصارخ :

— لا ترفعى صوتك .. إنها يمكن أن تستيقظ !

— وقوع البلاء خير من انتظاره !

ران الصمت عليهما عندما سمعا وقع أقدام خفيفة قادمة إليهما . همس عبدالحميد بعد أن ابتلع نفسا كثيفا ثم أطفأ سيجارته :

— يبدو أنها اَستيقظت على صوتنا العالى !!

لم تجد مفيدة كلمات فآثرت الصمت إلى أن وقفت أمل عند باب الغرفة بقميصها الوردى الشفاف القصير فبدت كوردة متفتحة لاحتواء الحياة بين أوراقها ، فاجتاحت أمها لسعة من الإحباط والندم كادت توقف قلبها عن النبض . قالت أمل والتساؤل القلق يسبق كلماتها :

— شعرت بالضوء منبعثا من الغرفة .. ثم سمعت كلامكما فخفت أن يكون فى الأمر شىء !!

نظر عبد الحميد إلى زوجته فى حيرة لكنه التفت إلى ابنته وهو يجمع أطراف شجاعته قائلا على سبيل طمأنتها :

— أبدا .. ليس فى الأمر شىء .. تعالى يا أمل .. اجلسى معنا ..

أشار إلى الفراش وهو يفسح لها مكانا ، فى حين غرقت أمل فى دوامة من الحيرة والقلق فسارت منقادة لا تدرى ماذا تفعل أو تقول وجلست حيث أشار ! ربت أبوها على ظهرها فى حنان بالغ وهو ينمق كلماته المترددة :

— أنت تعرفين جيدا يا أمل أن سعادتك هى هدفنا الأول والأخير فى هذه الدنيا ؟!

انهمرت نظرات الحيرة والقلق والدهشة من عينيها فلم تحر ماذا تقول ! أنقذتها أمها بقولها :

— كنت أتناقش مع أبيك فى موضوع يهمك !

صمتت الأم فتساءلت أمل دون تفكير :

ــ فى هذه الساعة التى اقتربت من بزوغ الفجر ؟!

تدخل الأب مساهما فى تطوير الحوار :

ــ تحالف علينا الحر والرطوبة فأصابنا الأرق !

تساءلت أمل بقلق أقل :

ــ وما فائدة جهاز التكييف ؟!

استأنفت الأم حديثها :

ــ إنه يصيب أباك بالروماتيزم .. وأحيانا بالتهاب المفاصل !

عادت أمل متسائلة :

ــ وما الموضوع الذى يهمنى ودفعكما إلى مناقشته فى مثل هذه الساعة ؟!

نظر الوالدان إلى بعضهما البعض فى حيرة متجددة . أزاح عبد الحميد حشرجة فى حلقه ، لم يستطع تركيز عينيه على ابنته لكنه قال مندفعا :

ــ لعلك يا أمل لاحظت اليوم عدم ارتياحى لدخولك الصالون فى أثناء وجود طلال بك !؟

قالت أمل وهى تنظر بعينيها السوداوين الواسعتين فى نور الأباجورة الأحمر الباهت :

ــ كأننى فعلت جريمة لمجرد أن فرحتى دفعتنى إلى إبلاغك بنبأ تفوقى !!

شعر الأب بالمنطقة الوعرة التى تجول فيها ، لكنه عزم على الاستمرار حتى بلوغ نهايتها :

ــ لم أقل أنك فعلت جريمة .. وإنما أثرت موضوعا نحن فى غنى عنه .. إنه موضوع لا بد أن يؤثر على مستقبلك أو على مستقبلنا !!

شعرت أمل بخطر غامض يدهمها فعجزت عن التفكير :

— لا أفهم شيئا !!

أشعل سيجارة أخرى ثم قرر أن يتخلص من كل ما فى جعبته :

— لقد أعجب طلال بجمالك وقرر أن يطلب يدك منى !!

نظرت إليه أمل فى ذهول للحظات ثم انفجرت ضاحكة متسائلة :

— وهل هذا هو الموضوع الذى أطار النوم من جفونكما ؟! إنه موضوع لا يحتاج حسمه إلى أى جدل ! لا بد أن طلال بك هذا قد جن !! وماذا كان ردك عليه ؟!

أوشكت حدقتا الأم على القفز من محجريها فى حين التصق لسانها بقاع فمها فأصيبت بالخرس . قال الأب :

— قلت له إنك صاحبة الرأى أولا وأخيرا .. فالموضوع خطير ويمس حياتك ومستقبلك !

— وهل الموضوع يحتاج إلى رأيى ؟! إنك لم تأخذ رأيى عندما تقدم صبرى ابن عمى يطلب يدى .. فلم أعلم سوى برفضك النهائى !! وكان صبرى قريبا منى فى السن وحاصلا على مؤهل عال .. ولذلك كان طلبه قابلا للتفاوض .. أما طلب طلال هذا فمن رابع المستحيلات !!

قال الأب بعد أن تخلص من كل الحساسيات المتعلقة بالموضوع :

— ليس هناك مجال للمقارنة بين صبرى الشاب الفقير الذى لم يجد وظيفة بعد وبين طلال بك صاحب الملايين فى البنوك العربية والأجنبية !! بل إنه يملك يختا فاخرا يجوب به بحار الدنيا الواسعة !!

زحف الذهول مرة أخرى على وجهها :

ــ تتكلم يا بابا كما لو كنت موافقا على طلبه ؟!

تهرب الأب من المأزق :

ــ قلت إن الرأى النهائى لك !

ــ ورأيى النهائى هو الرفض النهائى !

نظر الأب إلى زوجته فى حيرة وكأنه يستنجد بها لكنها لم تسعفه فاستدرك قائلا لابنته :

ــ أريد يا أمل أن أعطيك فكرة عن حياتنا قبل أن أعمل مع المليونير منذ عشر سنوات . فقد كنت فى ذلك الوقت فى السابعة من عمرك بحيث لم تدركى كيف كانت حياتنا !

قاطعته ابنته وكأنها تريد إنهاء الحوار :

ــ وما علاقة هذا بموضوعنا حتى نتكلم فيه الساعة الثالثة صباحا ؟!

أخيرا أقحمت مفيدة نفسها فى الحوار :

ــ استمعى يا حبيبتى إلى أبيك حتى يقول كل ما يريد .. ولك الرأى الحاسم فى نهاية الأمر !

لم ينتظر الأب تعليق ابنته فقال :

ــ إن أباك هذا الذى يناديه الناس بعبد الحميد بك لم يكمل تعليمه الابتدائى . فقد عملت صبيا لميكانيكى سيارات فى ساقية مكى وهى من أفقر الأحياء الريفية عند أطراف الجيزة .. حيث كنا نقطن هناك .. كان أبى قد أدمن المخدرات لدرجة أنه أغلق محل بقالته الصغير واضطرت أمى إلى التردد على البيوت لغسل الملابس . ولم يمر يوم دون أن يضربها طالبا المزيد من المال للصرف على مزاجه ، إلى أن أصيبت بالسل فى النهاية وماتت به . ثم خرج أبى

ذات صباح ولم يعد . كنت فى العاشرة من عمرى وبحثت عنه فى كل مكان لكن دون جدوى . فاستولت صاحبة البيت على الشقة بما فيها وطلبت منى أن أعمل خادما عندها ، وعندما رفضت طردتنى . عرفت نوم الأرصفة أنا وأخى الوحيد . ثم عملنا صبيين لميكانيكى سيارات لم أحتمل ضربه وأذاه ليل نهار فهربت منه فى حين استمر أخى فى خدمته . اشتغلت بكل الحرف التى لا تخطر على بالك .. سائق عربة كارو .. بائع صحف .. وكنت فى ذلك الوقت قد عرفت أمك عندما سكنت فى غرفة فوق سطح بيت عائلتها المتواضع فى ساقية مكى .. وعندما رأى أبوها كفاحى وأمانتى وافق — رحمه الله — على زواجى منها . وأنجبت منها أخاك الوحيد عبد المنعم .. ثم عملت سمسارا للشقق .. فكان كل رأسمالى كرسيا بثلاثة أرجل فى ميدان مستشفى أم المصريين ، مستندا إلى حجر وأمامه لافتة تعلن عن وظيفتى التى لم تكن تدر علينا سوى الملاليم . فاضطررت إلى إخراج عبد المنعم من مدرسته للعمل منذ سن العاشرة .. فاشتغل صبيا عند أخى الذى كان فى ذلك الوقت قد خلف صاحب ورشة السيارات الذى مات دون وريث . لكن الحال لم تتحسن كثيرا .. فلم تكن الورشة تصلح إلا عربات الأجرة التى تعمل بين قرى الجيزة .. وهى عربات يناهز أصغرها سن العشرين . واستمرت الحال على ما هى عليه إلى أن بلغ أسماع المعلم فتوح أكبر سمسار شقق فى الجيزة أننى أمارس أعمال السمسرة فى ميدان مستشفى أم المصريين . ظننت أنها الطامة الكبرى فقد كنت أعرف الكثير عن جبروته وبطشه ، ولم أدرك لحظتها عندما استدعانى أنها ستكون فاتحة الخير كله .. فاتحنى بأنه لا يحب أن يعمل أحد بمهنة السمسرة لحسابه الخاص بعيدا عنه .. وعلى أن أختار بين العمل لحسابه

وبين ترك المهنة تماما .. ولم يكن هناك ما أحرص عليه .. كنت أحصل على الملاليم من جراء مساعدة طلبة الجامعة على تأجير شقق متواضعة .. فوافقت فى الحال على العمل لحساب فتوح .. وعندما اكتشف مهارتى وإخلاصى وحبى الدائب للعمل جعل منى ساعده الأيمن .. ساعدته فى تأجير الشقق الفاخرة المفروشة فى الجيزة والهرم والدقى .. وعرفت كيف أعامل علية القوم والزوار العرب والأجانب .. كما صادقت طلال بك فى بدء تردده على مصر .. وأجرت له فيلا فاخرة فى الهرم فى كل صيف كان يقضيه فى مصر وذلك قبل أن ينشئ مشروعاته فى القاهرة والإسكندرية .. وعندما بدأ فى إقامة مشروعاته اتخذ من المعلم فتوح وكيلا له فى مصر .. وذات يوم وقعت عينا طلال بك على إحدى بنات المعلم .. وكانت فى سنك يا أمل .. وتقريبا فى جمالك .. ففتنت بأمواله وثرائه لدرجة أنها سلمت له نفسها تماما .. وعندما علم فتوح بالمأساة واجه المليونير بضرورة زواجه منها درءا للفضيحة .. لكنه رفض .. عندئذ أطلق عليه الرصاص فأصابه إصابة طفيفة فى ذراعه .. دخل بعدها السجن لقضاء سبع سنوات .. لكنه بعد أن اعتاد السطوة والجبروت والحياة المترفة .. وقعت بينه وبين أحد السجناء معركة دامية انتهت بمقتله .. وتشرد ابنته التى قبض عليها بعد ذلك فى قضية مخلة بالآداب .. وكنت قد حللت محله وكيلا لأعمال المليونير .. وعشت فى خوف دائم من اليوم الذى سيخرج فيه المعلم فتوح من السجن .. لكن بوفاته انتهت كل رابطة قديمة سواء معه أو مع عائلته .. ودفع لى طلال بك خلو الشقة التى نعيش فيها الآن .. وانتقلنا من ساقية مكى لنقطن فى شقة تطل على حديقة الحيوان فى أرقى حى فى الجيزة .. وتغير الحال من حال إلى حال !!

كانت أمل تنظر إلى أبيها ثم أمها بالتبادل ، وعيناها لا تكفان عن الحركة الدائرة الحائرة . لم يخنها ذكاؤها فى إدراك كل ما يرمى إليه أبوها من وراء هذه القصة الطويلة . كانت تود أن تقاطعه لكن سيل الكلام المتدفق اجتاح فى طريقه كل محاولات المقاطعة :

— كنت يا أمل فى السابعة من عمرك .. وكانت أحوالنا قد تيسرت قبل ذلك .. فلم تشهدى أيام الفقر والجوع .. انتشلت عبد المنعم من ورشة الميكانيكا برغم أنه كان يعمل عند أخى .. إلا أن أخى كان حريصا على أن يكمل ابنه صبرى تعليمه الجامعى ، ابنه الذى كان يعامل عبد المنعم ابنى معاملة السيد للخادم .. ولذلك رفضته عندما تقدم لطلب يدك .. فأنا لا أحب الذى يحتقر الفقراء لمجرد فقرهم ويتعبد فى محراب الأغنياء لغناهم .. عمل أخوك عبد المنعم مساعدا لى وتشرب أصول الصنعة .. إلى أن أقام طلال بك مشروعين له بالإسكندرية فبعثت بعبد المنعم للإشراف عليهما .. ومنذ ذلك الحين وهو يعيش هناك سعيدا مرفها مع زوجته وأولاده ..

صمت الأب للحظات يلتقط فيها أنفاسه . فانتهزت أمل الفرصة وهو يشعل سيجارة جديدة وسألته متخابثة :

— ولماذا تحكى لى كل هذه القصة الطويلة ؟!

— حتى لا تظنى أننى أريد أن أظلمك أو أجبرك على القيام بعمل يقضى على مستقبلك !!

تحسست أمل مواقع كلماتها وهى تتساءل :

— هل أفهم من هذه القصة أنك قررت تزويجى من هذا العجوز ؟!

— قلت لك من قبل إن رأيك هو الرأى النهائى !

ــ وماذا يحدث لو رفضت هذا الزواج الشاذ ؟!

حاولت الأم أن تجد ثغرة فى الحوار كى تدخل فيها محاولة تلطيف الحدة المتصاعدة للمواجهة ، لكنها احتارت إلى أى جانب تنحاز ، فآثرت استمرار الصمت كارهة فى حين قال الأب :

ــ أنا وأمك فداك .. فنحن عشنا بما فيه الكفاية .. ولا يهمنا أى ضرر يحيق بنا من جراء رفضك لطلال بك .. لكننا فى الوقت نفسه لا يمكن أن نحتمل الضرر الذى يمكن أن يمسك !!

ــ هل الزواج بالإكراه ؟! إنه لا يستطيع أن يجبرنى عليه !!

ــ فعلا .. إنه لا يستطيع أن يجبرك .. لكنه يستطيع أن يطردنى من عملى الذى جعلنا نعيش على هذا المستوى ..

ــ وماذا لو بلغته برفضى ؟! ربما كان سيدا مهذبا يحترم حرية الآخرين فى القبول أو الرفض !

ــ إنه سيأخذ الرفض على محمل أنك تحتقرينه !

ــ ولماذا لا نجرب ؟! ربما كان ظنك يا بابا فى غير محله !

ــ إننى أدرى به يا حبيبتى ؟! ونحمد الله على أن نظرته إلينا مليئة بالاحترام . لقد طلب يدك رسميا .. ولم يتصورك لقمة سائغة مثل ابنة فتوح .

ــ وهل كنت تتصور يا بابا أن أكون لقمة سائغة له ؟!

ــ إنى لا أتكلم عنك يا حبيبتى .. ولكننى أتكلم عن نظرته هو إلينا !

تهدج صوت أمل عندما أدركت أن قدمها قد زلت فى حوار لا يصح أن تخوض فيه ، إن مستقبلها ليس تحت رحمة أحد :

ــ فليذهب هو ونظرته إلى الجحيم !!

عندئذ تدخلت الأم ،. فهى تعرف عناد ابنتها جيدا . قالت :

— إن الحياة شيء مختلف تماما عن الروايات التى أغرمت بها !

ركزت أمل عينيها على أمها فنظرت الأخيرة إلى لا شيء :

— يبدو أنكما قررتما تزويجى من هذا الطلال ! لكن أحب أن أقول لكما إن ثقافتى تمنعنى من التفريط فى حياتى بهذه البساطة !

أطفأ الأب سيجارته بعصبية فى المنفضة فوق الكومودينو ثم استدار مواجها ابنته :

— لولا خير طلال بك علينا وعليك لما حصلت على هذه الثقافة .. أو على هذه المعيشة الراقية !! إنك تقولين هذا الكلام لأنك لم تجربى الفقر والجوع .. ولو هبط مستوانا الحالى قليلا فستكونين أنت أول المتذمرين الساخطين !!

شعرت الأم أن ثورة الأب قد أعلنت عن نفسها عندما لاح فى الأفق شبح الفقر القديم ، فحاولت تهدئة الموقف :

— كل عقدة ولها حلال .. وربما صرف طلال بك نظره عن الموضوع من تلقاء نفسه .. فمشاغله وسفرياته كثيرة ..

نظر عبد الحميد إلى زوجته بمنتهى الحزم :

— إنه قرر عدم مغادرة القاهرة إلا بعد حسم الموضوع !!

أحست أمل أن الموجة طاغية ، وأن الخطر داهم ، وأن ما تصورته موضوعا يمكن أن تحسمه بمنتهى البساطة بل بمنتهى الاحتقار ، أصبح كابوسا على وشك أن يطمس معالم مستقبلها الذى أشرق وأضاء دنياها كلها هذا الصباح . هل هو الحسد الذى كلمتها عنه صديقتها وفاء ؟! أن ينقلب الوضع من النقيض إلى النقيض ؟! ماذا ستقول الصديقات والزميلات إذا تزوجت

فعلا من هذا العجوز ؟! وماذا عن دراستها الجامعية ؟! قطعت حبل الصمت بسؤال انطلق على لسانها دون تفكير :

ـــ ولنفرض أننى تزوجته .. هل يمكن أن أستمر فى دراستى الجامعية ؟!

ارتسم بعض الارتياح على ملامح الوالدين . ظن الأب أن المفاوضة حول الموضوع أصبحت أمرا ممكنا فقرر أن يلقى كل ما فى جعبته حتى يستريح من العبء الذى ناء به كاهله . قال لابنته التى تقوس ظهرها فى جلستها أمامه فوق الفراش :

ـــ إنه عبر عن رأيه بصراحة عن هذا الموضوع فى حضورك !

أحنت أمل رأسها وقالت بلهجة كسيرة :

ـــ إذا .. فقد قرر أن يشترينى من سوق الجوارى ؟!

انفطر قلب الأم . تمنت لو أخذت حبيبتها بين أحضانها :

ـــ لا تقولى يا حبيبتى مثل هذا الكلام .. إنك سيدته وتاج راسه !

قالت أمل دون أن ترفع رأسها :

ـــ إنه كلام نعزى به أنفسنا .. لكننى لم أتعود أن أخدع نفسى .. على كل حال فأنا تحت أمركما !!

علق الأب فى همس حزين ذليل :

ـــ إن كل همى أن أحافظ على مستقبلك !

تساءلت والأسى يقطر من كلماتها :

ـــ وأين هذا المستقبل ؟! لقد انطفأ فى اللحظة التى أشرق فيها !!

لمعت الدموع فى عينى الأم ، وارتعشت شفتاها وبحثت عن كلمات فلم تجد سوى أن تقول :

— بعد الزواج يمكنك فرض رأيك عليه .. فأنت صغيرة وجميلة وذكية بل وعنيدة ولن تعدمى الوسيلة التى يمكنك بها استئناف دراستك الجامعية !

اقتحم الأب الحوار قائلا للأم :

— إن كل همى هو تأمين مستقبلها .. ولذلك سأطلب مؤخر صداق ضخما للغاية .. وعليها أن تدفعه إلى كتابة كل ما يمكن كتابته باسمها !!

وجدت أمل أن أبعاد الصفقة قد بدأت تتضح فقالت :

— ولنفرض أننى رفضت طلبه وسحب منا كل توكيلاته .. ألا نملك من المال والخبرة ما يجعلنا نحيا حياة كريمة ؟!

كان الأب صريحا للغاية :

— إن سبب تمسكه بى وكيلا لأعماله أمانتى وإخلاصى وقناعتى .. وهى صفات لا تكون ثروات بالمعنى المفهوم .. ولذلك اعتبرت مجرد تمسكه بى ثروة فى حد ذاتها .. ومن الصعب أن أغامر بهذه الثروة .. خاصة وأنا فى هذه السن التى لم تعد تسمح لى بالتنقل من مهنة إلى أخرى !!

ترقرقت الدموع فى عينى أمل :

— وأنا لا أرضى لك يا بابا بهذا الوضع أبدا .. فأنا فداكما !!

لم يتمالك عبد الحميد نفسه فاحتضن ابنته وقبل رأسها . قال وهو يحاول منع الدموع :

— طول عمرى كنت أقول إن عقلك أكبر بكثير من سنك !!

انهمرت الدموع من عينى الأم فى صمت رهيب ، وخرجت كلماتها متهدجة :

— إن ما يعزينى أن الإنسان فى أحيان كثيرة لا يعرف أين يوجد صالحه !

تخلصت أمل برقة من ذراعى أبيها قائلة بقلب كسير :

ـــ سأنفذ طلبك يا بابا .. لكن أرجو أن تنفذ لى طلبا بسيطا !

لمعت عيناه وهمس متهدجا :

ـــ اطلبى عينى !

أجابت بدون انفعال :

ـــ أريد أن أقدم أوراق إلى مكتب التنسيق !

تراجع الأب إلى الخلف قليلا ثم تساءل فوق موجة من القلق :

ـــ لماذا ؟ لقد قال طلال بك أمامك إن الزوج الميسور الحال يجب أن يوفر على زوجته متاعب الدراسة والعمل .. فمكان المرأة البيت أولا وأخيرا !!

قالت أمل بنفس الهدوء والاتزان :

ـــ إنه لن يعلم أننى قدمت أوراق إلى مكتب التنسيق .. ثانيا سأعتذر عن دخول الامتحان ..

ـــ وماذا عن العام التالى ؟!

ـــ لقد تعلمت على يديك يا بابا أنه ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله الدنيا من حال إلى حال .. وقد كانت حياتك كما سمعت قصتها منك الآن دليلا ملموسا عمليا على ذلك ..

شعر الأب بقوة منطقها وصلابة شخصيتها لكنه تساءل :

ـــ وما التغير الذى يمكن أن تتوقعينه ؟!

ـــ لا أحد يعلم .. كل ما أريده هو الاحتفاظ بمكانى فى الجامعة !

ـــ وماذا لو أصر طلال بك على عدم التحاقك بالجامعة ؟!

ـــ عندئذ سأرضخ لأوامره تماما .. لكن لا تنس يا بابا أنه إذا كان يملك

سلاح المال فإننى أملك سلاح العقل الذى يصنع المال .. أما أموال قارون فلا يمكن أن تصنع عقل طفل ..

ابتسمت الأم لأول مرة شاعرة ببرد الراحة يسرى فى صدرها فى تلك الليلة الحارة الملتهبة . نظرت إلى ابنتها بحنان وفخر :

ـــ فعلا .. صدق من قال إن العقل زينة !

لكن الأب لم يتخلص من قلقه :

ـــ أخاف من حدوث شقاق بينكما فيسقط البيت على رءوسنا جميعا !

ـــ إن الدرس الذى تعلمته على يديك يا بابا فى هذه الليلة .. رفع بعض الغشاوة من على عينى .. فقد كنت أرى فى الدنيا أغنية صادحة .. أو زهرة جميلة أو نسمة منعشة .. لكن الجانب الآخر الذى رأيته الليلة فى دقائق جعلنى أنضج سنوات كان يمكن أن أقضيها فى أوهام .. وثقافتى التى علمتنى هذا الجانب المثالى من الحياة قادرة على منحى السلاح الذى يمكن أن أواجه به الواقع .. كل ما أرجوه أن تكون نار التجربة هادئة إلى حد ما حتى تنضجنى دون أن أحترق ..

قال الأب وكأنه ينهى الحديث مكتفيا بهذا القدر من التوفيق فى معركته الشائكة الحرجة :

ـــ على بركة الله ..

أضافت الأم :

ـــ وليجعل الله لك فى كل خطوة سلامة ..

اجتاحت أمل رغبة جارفة لتخلو إلى نفسها . نهضت قائلة وهى تنظر إلى خصاص النافذة الذى تسللت منه أول بشائر لخيوط الفجر :

— تصبحان على خير .. لقد أوشك الفجر على الطلوع !

سألها أبوها وبقايا قلق تنضح على نبراته :

— هل أخبره بموافقتك ؟! إنه ينتظر !

قالت أمل بمنتهى الحسم والجدية :

— إن الموافقة أو الرفض أمور ليست لها علاقة بالمواقف القدرية التى يجد فيها الإنسان نفسه فجأة دون أن يعلم ..

لم يدرك الأب مغزى كلامها ، لكنه خاف أن يدخل الحوار فى طرق مسدودة مرة أخرى فاسترخى بظهره على وسادته وهو يقول :

— تصبحين على خير .

فى حين كان لسان الأم الصامت يلهج بالدعاء لها .

ذهبت أمل إلى غرفتها فوجدت قطتها لا تزال تغط فى نومها ، فأخذتها فى أحضانها والدموع تنهمر فى صمت من عينيها . غبطت قطتها الوادعة على طمأنينتها ونومها العميق وتنفسها الهادئ الرتيب . بلغ مسامعها زئير الأسد فى الحديقة . أعادت قطتها إلى الفراش وفتحت نافذتها فوجدت الضباب يلف الحديقة فى غلالة سمراء لا تمزقها سوى المصابيح التى لا تزال مضاءة بوميضها الأصفر الذهبى . كانت كلما تسمع زئير الأسد ترثى لحال الحيوانات السجينة وراء القضبان الحديدية ، لكنها هذه المرة — دون أن تدرى — رثت لحالها .

٣

أصبحت الدنيا فى نظر أمل غير الدنيا . تمنت أن تقطن فى حديقة الحيوان ، فى قفص يحميها من هذا الوحش القادم من الصحراء . إن ضياع الحرية فى أحد الأقفاص أرحم من فقدانها معه . فإذا كانت الحيوانات قد فقدت حريتها ، فإن كيانها لم يهدر ، أما هى فكانت كشاة تساق إلى الذبح . وجاء يوم الذبح وتوأم فكرها داعبتها فى حديث تليفونى بقولها إن حسد الآخرين الذى أثار غيرة صديقاتها وزميلاتها . — حتى وفاء صديقة عمرها — يتبعها كظلها : جمال ومال ونجاح ، لكنها كانت قد فقدت روح الدعابة فردت عليها فيما يشبه الجفاء بأنها تتمنى أن يصيبها الحسد هذه المرة فى الصميم ، فليس هناك ما تحرص عليه ، لكن وفاء اعتبرت ردها مجرد تغطية أو تبرير لانحرافها بعيدا عن طموحها الثقافى والجامعى . فقد كانت وفاء تعتقد — كما كانت أمل تظن من قبل — أن عصر إرغام الفتاة على الزواج من رجل لا يناسبها ، وخاصة إذا كان فى سن أبيها ، قد ذهب وولى بلا رجعة .

وجدت أمل فى الاستعداد للزفاف والتجهيز له مهربا من التفكير فيما ينتظرها . وكان عزاؤها الوحيد أنها نجحت فى تقديم أوراقها إلى مكتب التنسيق ، وتم قبولها فعلا فى قسم الفلسفة ، بل واشترت الكتب والمراجع المطلوبة ، كل هذا دون علم طلال بك . وعندما طلب أبوها أن تخفى الكتب بعيدا عن عينيه ، وألا تأخذها معها فى الفيلا الفاخرة التى اشتراها لها طلال بك فى الهرم وسجلها باسمها حتى تكون عش الزوجية السعيد ، كان ردها

بمنتهى الحسم والحزم عندما قالت لأبيها : إنها كتب مثل أية كتب أخرى ، وليس لطلال أن يمنعها من ممارسة هوايتها المفضلة فى القراءة والاطلاع . شعر أبوها أن مهب العاصفة لا يزال قائما فابتعد عنه ولزم الصمت .

كان طلال بك قد عرض على أمل أن يصطحبها مع أسرتها إلى باريس حتى تنتقى ملابس العرس والسهرة والمجوهرات والعطور التى تفضلها ، لكنها أصرت بمنتهى العناد على تفضيلها لصناعة بلادها ومنتجاتها . لكن طلال بك رفض هذا المنطق وأبرق إلى وكيله فى باريس الذى كان لبنانيا من الذين يلعبون بالبيضة والحجر ، وسرعان ما حضر إلى القاهرة ومعه كل ما تشتهيه أية فتاة من ملابس ومجوهرات وعطور . وذهلت أمل لأسعارها الفلكية ، وأدركت بحسها الذى لا يخطئ أن الأسعار مرتفعة فعلا ، لكن سمسرة اللبنانى هى التى جعلتها فلكية . لكنها لم تعبأ لأن طلالا نفسه لا يقيم للمال وزنا ، فالأرض فى بلده كفيلة بطوفان الذهب الأسود من أعماقها ، وسرعان ما يتحول إلى ذهب أصفر ودنانير وجنيهات وعربات وقصور ويخوت وطائرات وبحيرات وشواطئ ومجوهرات وملابس وعطور . فعلى الأقل بذل الوكيل اللبنانى جهدا واستخدم ذكاءه فى أعمال الوكالة والسمسرة ، أما طلال هذا فلم يفعل شيئا فى سبيل الحصول على ثروته التى يكاد يغرق فيها حتى أذنيه . إنه يريد فقط أن يتزوج ويجدد شبابه بشراء منابع الشباب . وكانت أمل متأكدة تماما أنها لن تكون المنبع الأخير عنده برغم أنها قررت ألا تنضب أبدا . على كل حال فقد بدأت التجربة الجديدة فى تعليمها أشياء لم تكن تخطر على بالها ، فمثلا أدركت أن ثقافة الحياة لا تقل فى قيمتها بأية حال من الأحوال عن ثقافة الكتب التى تستمد روحها وجوهرها من الحياة نفسها .

كانت ليلة من ألف ليلة . ازدانت القاعة الكبرى فى الفندق الفاخر المطل

على النيل بالثريات المتلألئة والورود النضرة والعطور التى تبعث النشوة قبل البهجة . حضر الزفاف علية القوم . وجوه رأتها أمل من قبل فى الصحف والمجلات أو على الشاشة الصغيرة . وجوه صافحت طلال بك بالابتسامات والقبلات والأحضان والهمسات ، وكانت أمل تظن أن زوجها لا يعرف فى مصر سوى أباها . جاء أحد الوزراء السابقين وظل يتهامس مداعبا طلال بك ، وهو يكاد ينحنى له حبا واحتراما . لمعت ومضات آلات التصوير وكأن ما يدور مناسبة تاريخية لا بد أن تسجل فى الصور التى ستنشرها الصحف والمجلات . اختلطت الأمور على أمل فلم تعرف إذا كانت سعيدة أم قلقة أم متوترة أم مذهولة أم تائهة ؟! إن كبار القوم ينحنون لها مُسَلمين مهنئين وكأنها أميرة تنتمى إلى إحدى الأسر المالكة العريقة !! هل يخلب بريق الذهب لب الناس إلى هذا الحد ؟! بحيث يبهر الغنى قبل الفقير ؟!

جاءت راقصة شهيرة وهى تهتز على دقات الطبول المحمومة . كانت شبه عارية وهى تتمايل بجسدها الأسمر كغصن البان على ركبتى طلال فى جلسته بجوار أمل فى « الكوشة » . لاحظت أمل أن عينى طلال قد مسحتا أجزاء معينة فى جسد الراقصة التى فاحت من فمها رائحة الخمر وهى تتمايل على صدر أمل التى بدت آية فى الجمال الذى خلب لب الجميع مما جعل الراقصة تبالغ فى حركاتها المثيرة حتى تشد العيون إليها ، وخاصة عيون الرجال .

بدت أمل لوحة أبدعتها يد فنان من فنانى عصر النهضة . كان رداؤها الأبيض المرصع بالمجوهرات الدقيقة بطبقاته الخفيفة الشفافة وذيله الطويل الذى أشرفت وفاء على فريق الأطفال الذى حمله حتى « الكوشة » ، هذا الرداء كان مثار حسد صديقاتها اللاتى حرصن على أن يقرصنها فى ركبتها لعلهن يتعرضن للإصابة بنفس العدوى . لم يكن فكر أمل واضحا متبلورا

كعادته ، لكنها لا تنسى جملة همست بها زميلة لها فى أذنها . قالت : فلتذهب الجامعة إلى الجحيم !! هذه الجملة غاصت فى قلبها كالسكين فى الزبد . أدركت أن صديقاتها قد تأكدن من أن ما يدور كان من تخطيطها المحكم الذى أدى فى النهاية إلى الإيقاع بهذه الدجاجة التى تبيض ذهبا . ولن يصدقن أنها سيقت إلى هذا المصير كالشاة فى طريقها إلى سكين الجزار . على كل حال فإنها لن تهتم أبدا بإقناعهن بأى شىء ، لأن معركتها الحقيقية مع طلال نفسه وبعيدا عن أعين الآخرين . كانت متأكدة أن المعركة آتية لا ريب فيها ، لكن الذى أقلقها أن أبعادها واحتمالاتها كانت غامضة مبهمة مثل ذلك الضباب المتكاثف الذى اعتادت رؤيته فى الصباح الباكر وهو يلف حديقة الحيوان بغلالة رمادية مثيرة .

كانت عينا أمل كعيون الحوريات السوداء الواسعة المحاطة بهالة نورانية من الإشعاع المشرب بالحمرة ، فى حين تحول شعرها الأسود اللامع إلى إطار دقيق يفصل بين الطرحة المتدفقة من رأسها حتى كتفيها وبين وجهها المرمرى الناطق بشهوة مكبوتة لانطلاقة الحياة . أما طلال بك فقد بدا أصغر سنا وأكثر شبابا وحيوية بعد أن أخفى صلعته « باروكة » سوداء أنيقة جعلته يشبه نجوم السينما عندما يتحذلقون فى ملبسهم . لكن القريب منه عندما يدقق النظر يكتشف التجاعيد الغائرة فى رقبته وتحت عينيه . وهو ما لاحظه صبرى ابن عم أمل عندما صافحه مهنئا ومقبلا ثم مال على أذنها هامسا كالبرق وقال دون أن يسمعه طلال : « كان الأقربون أولى بالمعروف » . لكن أمل تجاهلت كلماته تماما وابتعدت برأسها عنه بحيث أسرع هو الآخر إلى الابتعاد كى يتيح الفرصة لغيره للسلام والتهنئة ، وإن كانت أمل قد لاحظت الشباب والحيوية والدعابة المصرية فى صبرى ، بحيث لم تستطع أن تمنع نفسها من مقارنتها

بتصابى طلال وتكالبه على مباهج الحياة وملذاتها الحسية ، ليس لحيويته المتدفقة بلا ضابط ولكن لأمواله المنهمرة دون حساب .

أما عبد الحميد ومفيدة فقد عاشا فى دوامة من البهجة والقلق . البهجة لأن الأمور سارت على ما يرام برغم عناد ابنتهما وصلابتها ، والقلق لأن عبد الحميد لم يسترح لإصرار أمل على تقديم أوراقها للجامعة دون علم طلال وإرادته ، فى حين أن إحساسا انتاب مفيدة بأن ابنتها تضمر شيئا غامضا ، فهى ليست من الفتيات اللاتى يستسلمن بسهولة . فإذا كانت قد أحنت رأسها للعاصفة فذلك من أجلهما فقط ! فهى تعرف كم تحبهما وعلى استعداد للتضحية لإسعادهما ! لكنها فى الوقت نفسه قادرة على صنع العاصفة بنفسها لنفسها فى اللحظة المناسبة لها . لقد تعلمت فى الكتب ما جعلها تفكر بعقلية ابنة الأربعين . إنها ابنتها وهى أدرى بها !

جلس صبرى إلى مائدة عبد المنعم وزوجته وأطفالهما الثلاثة . بدا القلق والإحباط فى عينى صبرى الزائغتين اللتين لم تستقرا على حال ، فى حين كان عبد المنعم سعيدا قرير العين . فهذا الزواج من شأنه تدعيم أواصر المعاملات والعلاقات بين أسرته وبين المليونير العربى ، كما أن إنجاب أمل لأطفال عديدين سيجعل جزءا من ميراث المليونير الأسطورى يئول إلى أسرته . إن هذا الزواج صفقة رابحة بكل المقاييس ، وقد أثبتت أمل ذكاءها وسعة أفقها بحيث لم تترك ما تعلمته فى الكتب ، يفسد عليها مستقبل الرخاء والرفاهية . أما زوجة عبد المنعم التى ارتدت كل ما عندها من مجوهرات وصبغت شعرها بلون ذهبى لامع الصفرة فكانت تود أن تحضر معها كل صديقاتها من الإسكندرية لرؤية الأمجاد التى تعيشها لحظة بلحظة مع زوجها العصامى ، ومشاهدة الحفل الأسطورى الذى يحييه كبار المطربين والمطربات وغيرهم من مشاهير الفنانين

الذين تركوا كل ارتباطاتهم من أجل الاشتراك فى فرح حبيبهم المليونير الذى طالما أقام لهم الليالى الملاح فى القاهرة ، والذى منحهم عن إحياء ليلة العرس ما يحصلون عليه فى شهور من السهر والعرق .

لاحظ عبد المنعم عينى صبرى الزائغتين وكان يعلم جيدا ما يدور بخلده . علق بقوله دون أن يرفع عينيه عن الصدر العارى للمطربة الصادحة :

— إن الزواج قسمة ونصيب !

رد صبرى وهو يشاركه النظر فى الاتجاه نفسه :

— الحياة كلها قسمة ونصيب !!

— ألا زلت مضربا عن العمل فى ورشة عمى ؟!

— ليس من المعقول لمهندس تخرج فى كلية الهندسة أن يعمل ميكانيكيا فى ورشة سيارات بساقية مكى !!

رثى عبد المنعم لعقليته المريضة :

— إن العبرة بالعمل المربح حيثما يوجد . كما أنك بعلمك فى قسم الميكانيكا تستطيع تطوير ورشة أبيك بحيث يمكنها إصلاح السيارات الحديثة والمتطورة .

— كان معى فى الكلية من الزملاء والزميلات من يغير السيارات مثلما يغير ملابسه .. فهل يعقل أن أتحول إلى ميكانيكى يرقد تحت سياراتهم لإصلاحها ؟!

— إنك تستطيع تنمية الورشة بحيث يمكن أن يصبح لديك توكيل للسيارات وقطع الغيار فيما بعد !

— ليس فى ساقية مكى !!

— إذا .. ما خططك بالنسبة للمستقبل ؟!

— المستقبل بيد الله !!

— لا جدال حول ذلك .. لكن الله أعطانا عقلا ندبر به أمورنا ؟!

أجاب صبرى وقد نفد صبره وتضاعف سأمه وإحباطه :

— إننى فى انتظار تعيينات القوى العاملة !

فلم يتمالك عبد المنعم نفسه وقال بلهجة الرافض :

— إنك تبذر فى ثروة وضعها الله بين يديك !!

لم يرد صبرى بل تشاغل بمتابعة المطربة التى كانت تتلوى وتهز حاجبيها ، فصمت عبد المنعم بدوره مداعبا طفله الصغير الجالس بجواره حتى لا يغلبه النعاس .

مرت الساعات زاخرة بالضحكات والتعليقات والقفشات وطلقات سدادات زجاجات الشامبانيا ، وأصوات المطربين والمطربات ، ودقات طبول الفرقة الموسيقية ، ولمعة الماس فى أصابع الرجال وحول أعناق النساء التى فاحت منها عطور مسكرة ، وومضات آلات التصوير من مختلف الأركان ، وعيون الرجال المتمسحة بصدور الجميلات الناهدة . ومع انتهاء الحفل عند اقتراب الساعة من الرابعة صباحا انتظم حملة المشاعل فى صفين من الراقصات اللاتى تنضح أجسادهن شبه العارية بالعرق والشهوة ، وسار الجميع على دقات الطبول والصاجات ذات الرنين المسعور ، إلى جناح المليونير فى الفندق حيث أدخل زوجته وأغلق الباب .

لم تسترح أمل للأضواء الساطعة فى الغرفة الفسيحة وإن كانت غير مباشرة . ودت لو استطاعت أن تقلل منها ، لكنها عللت نفسها بأن الظلام سرعان ما يسود ويخفى كل الموجودات بين طياته . لكن الظلام لم يسد بل جاء طلال وجلس إلى جوارها فوق حافة الفراش . ركزت عينيها فى اتجاه

الأباجورة الفخمة المضيئة بلون وردى هادئ ، فأدرك أنه خجل العذارى . انعكس الضوء الوردى على وجهها ووجنتيها فبدت مخلوقة أثيرية . وضع يده على طرحتها لكنها تراجعت قليلا . احتضنها طلال وقبلها بعنف فى وجنتها ثم انتزع الطرحة فآلمتها مشابكها فى شعرها ، لكنها لم تظهر أى ألم على وجهها . كان شعورها شعور القادم على معركة فاصلة ليس فيها وقت للاهتمام بالآلام والجروح . تسللت يده إلى سوستة الرداء الخلفية التى تبدأ من العنق حتى أسفل الظهر . فتحها إلى منتصفها فأمسكت يده قائلة دون أن ترفع عينيها من على السجادة الوثيرة تحت قدميها :

ـــ لا أحب الغرفة مضاءة بهذا الشكل !

ابتسم وهو يحتضنها بعنف ظاهرى :

ـــ إننى خبير بخجل العذارى .. لكننى مغرم فى الوقت نفسه بمشاهدتهن ومراقبتهن كما ولدتهن أمهاتهن !!

انطلقت الغصة الكامنة فى قلب أمل إلى حلقها فقالت بحشرجة :

ـــ إننى لا أستطيع أن أفعل ما فعلته العذارى الأخريات قبلى !

فتح السوستة إلى نهايتها قائلا بعجرفة أثارت مقتها :

ـــ إنك مثلهن تماما .. وما يسرى عليهن يسرى عليك !

وجدت أمل أن المقاومة فى ليلة كهذه لن تجدى ، ويجب ألا تخدع نفسها ، فقد اشتراها بأمواله وعليها أن تجاريه حتى تعرف ثغرات ضعفه . عندئذ يمكنها اقتحام القلعة ودك حصونها من الداخل . خلع الرداء من ذراعيها وهو يقول مقتربا من فمها :

ـــ إن الاستسلام الكامل هو الدليل على الحب الحقيقى !

شمت رائحة الخمر التى فاحت من فمه فانتابها بعض الغثيان ، لكنها

تمالكت نفسها واحتملت عبث يديه بملابسها الداخلية الرقيقة الشفافة . وجد جرحا صغيرا قديما أسفل البطن فسألها عنه فأجابت دون أن تنظر إليه : إنه مكان عملية المصران الأعور . وتمنت أن يأتى طبيب التخدير حتى لا تشعر بالعملية المقززة التى ستجرى لها الليلة .

جلس على السجادة وخلع حذاءها الأبيض وجوربها الشفاف الطويل الذى يضاهى لون ساقيها وألقى بهما فى أحد أركان الغرفة ، إذ يبدو أن الخمر قد بدأت فى التلاعب الكامل برأسه ولسانه . ألقى بعيدا بما تبقى من القطع الشفافة التى لا تزيد على حجم الكف الواحدة فشعرت بقشعريرة تسرى فى مسامها ، وكأنها هبت عليها من هواء الغرفة المكيف . كان سبتمبر من أحب الشهور إلى نفسها الجياشة بالمشاعر والعواطف العاشقة للحياة . لكنه خيب ظنها هذه المرة . تنبهت فأدركت أن طلالا ابتعد عنها . بحثت عنه من طَرف خفى حتى لا يلحظها فوجدته قابعا كما ولدته أمه فى أحد مقاعد الأركان ، فى حين أوشكت عيناه على القفز فوقها . صحيح أنها قرأت كتابين أو ثلاثة فى التحليل النفسى للسلوك الجنسى ، قرأتها خفية ، لكنها لم تقرأ عما يفعله هذا المتصابى فى ركنه النائى . لا شك أنها قادمة على عالم غريب شاذ يستحق الدراسة ، وشعرت فى تلك اللحظة أن الأسلحة التى ولدت بها يمكن أن تمحق هذه الدودة .

لا تعرف لماذا تذكرت رواية قرأتها للأديب الفرنسى فرانسوا مورياك بعنوان « قبلة الأبرص » التى استطاع فيها جان بلوبر الرجل الكريه المريض أن يتزوج من الفتاة الجميلة الساحرة نومى دارتيل بسبب ثروته الضخمة التى غطت على شخصيته الهزيلة المهترئة فى نظر الآخرين . وكان هذا الزواج المقزز بل الصفقة الرابحة مصدر فخر لأسرة الفتاة كلها . وعندما ترددت الفتاة فى

الإقدام على هذا الزواج ، انهالت عليها النصائح من كل أفراد أسرتها بأن الزواج ينتج الحب كما تنتج شجرة الخوخ ثمار الخوخ . وبعد النصائح انهالت الأسئلة عليها : كيف يتسنى لها أن ترفض المزارع والحقول وقطعان الخراف والأوانى الفضية النفيسة والثروة الموروثة من أجيال عشرة مضت ؟! ويتم الزواج بالفعل .

نظرت أمل هذه المرة بكل تركيز على هذا المتصابى القابع فى مقعده . أصابته النظرة بمس كهربى فنهض وجلس إلى جوارها ، وشفتاه تجريان على عنقها وصدرها الصاعد الهابط . شيء ما قال لها فى أعماقها إنه يمثل دور العاشق الولهان . فهو وإن كان يملك أسلحة الثروة ، فهى تملك أسلحة العقل والشباب والحيوية . فإذا كانت هى المستقبل ، فهو الماضى . أمسك بذراعها كى تحتويه بين أحضانها لكن يدها اصطدمت « باروكته » فظهرت نصف صلعته ، عندئذ ألقى هو بالباروكة بعيدا وفتح فمه ضاحكا بلا معنى فرأت بعض أسنانه المغطاة بطرابيش ذهبية . ابتعدت عنه حتى التصقت بالكومودينو حامل الأباجورة . جذبها حتى ألقى بها ممددة فوق الفراش ، فأخفت مكامن أنوثتها بيديها . فجأة وجدت الظلام يسود الغرفة فشعرت براحة تشبه إلى حد كبير التخدير الذى مرت به فى عملية المصران الأعور برغم أنها لم تشعر بشيء على الإطلاق . تذكرت وصف مورياك لبطلة ليلة الزفاف المؤلم :

« كان على بلوير أن يكافح طويلا للتخلص من تصلبه وتحجره هو أولا ، ثم ضد فتاة هربت الحرارة من جسدها . وعند الفجر الباهت أعلنت تنهيدة خافتة ضعيفة انتهاء الصراع الذى دام ست ساعات ، ولم يجرؤ جان بلوير الناضح بالعرق أن يتحرك ، كان أقبح من دودة تتمدد بجوار هذه الجثة الباردة

التى تخلى عنها فى نهاية المطاف » .

لكن الأمر لم يستغرق مع طلال أكثر من ساعتين ، أدركت أمل بعدهما أن إحساسها بالسيطرة على مقدراتها والذى فقدته منذ اللحظة التى طلب فيها طلال يدها ، هذا الإحساس قد عاد إليها أقوى ما يكون . وبانت معالم الطريق مع انقشاع الضباب ، وبدا الأمر أقل مأسوية مما ظنته فى البداية . كان طلال ممددا إلى جوارها فى غطاء أبيض خفيف ، يغط فى سبات عميق جعله يبدو مثل إحدى جثث المشرحة ، نهضت من فراشها ، فلم تحتمل رائحة عرقه على جسدها وسرعان ما كانت فى الحمام تغتسل وتتعطر .

٤

تهادى اليخت ذو البياض الناصع فوق أمواج البحر المتلاطمة بزرقتها حول جوانبه . على البعد كانت بعض أسماك الدرفيل تنبثق وسط الأمواج ثم تغطس فى حركة دائرية كباليه مائى . وفى الفترات التى تسللت فيها الشمس من بين السحب البيضاء والرمادية كانت أجساد الدرفيل تومض بلون فضى كالسيوف اللامعة . كانت الموسيقى الصادحة فى أرجاء اليخت تحمل أمل على أجنحة الخيال فى وقفتها فى شرفة اليخت وهى تتأمل هذه اللوحة الرائعة التى ابتدعتها يد الفنان الأعظم . كانت ترتدى بنطلونا أبيض فى لون اليخت وبلوزة زرقاء داكنة مثل الأمواج ، فى حين جمعت خصلات شعرها الطويلة بشريط وردى وأخفت عينيها السوداوين الواسعتين خلف نظارة شمسية فى لون السماء .

لم تسأم من متابعة المنظر الخلاب الذى شغلها عن وجود طلال الذى

جلس على مقعد فى نفس الشرفة يقلب صفحات بعض المجلات الفنية والجنسية . فهو لا يحب القراءة وإن كان يعشق مشاهدة الصور المثيرة . كان يرتدى زيا بحريا فبدا كأنه ربان اليخت ، لكنه لم يكن يفقه شيئا فى قيادة اليخوت . ولذلك قاد اليخت طاقم أمريكى حاول طلال أن يبعده قدر الإمكان عن أمل بعد أن دار حديث بينها وبين الربان الأمريكى الذى أذهلها بثقافته ، وأذهله جمالها ، لكنها لم تهتم كثيرا بإطرائه عندما تأكدت أن ثقافته تزيد على ثقافة ربان بحرى بدرجة لم تستطع استيعابها . إنه يتكلم فى السياسة والاقتصاد والفن بنفس مهارته فى الحديث عن حرفته . وتعجبت كيف رضى هذا الربان بأن يقود يختا لرجل مثل طلال فى حين أن فى إمكانه أن يصبح وزيرا للبحرية الأمريكية ؟! كذلك فقد كان يجيد الحديث بالعربية الفصحى ويصر عليها برغم معرفة طلال للإنجليزية ، وكثيرا ما كان يتجاذب معه أطراف الحديث حول أحوال الأسرة المالكة فى بلد طلال ، وهى الأسرة التى يرتبط بها بأوثق الروابط ، سواء على مستوى المصاهرة أو على مستوى المعاملات المالية والتجارية .

خفض اليخت من سرعته قليلا ، وأصبح إيقاع آلاته مكتوما مما أتاح الفرصة للموسيقى كى تصدح مع تلاطم الأمواج . تلاشت الموسيقى وأعلن الربان فى الميكروفون الصغير أن جزيرة كابرى فى انتظارهم ، فلم يتبق سوى ساعة ويرسو اليخت فى مينائها الصغير . رفعت أمل عينيها فوجدت عند خط الأفق بقعة بارزة وسط البحر يمتزج فيها اللون البنى بالأخضر برغم السحب التى انحنت عليها تكاد تقبلها . لم تجد أمل فى زواجها من طلال بشاعة المأساة التى وجدتها فى أول الأمر . صحيح أنه تافه وسطحى ومغرور ولا يرى فى الحياة سوى متعها الحسية ، وله بعض التصرفات الشاذة ، لكنه فى الوقت

نفسه أتاح لها ما يمكن أن يشغلها عنه ، وأن يزيل قضبان السجن التى كادت تخنقها فى الأيام الأولى من الزواج . إنها تخوض الآن تجربة مثيرة ، ليست معه ، ولكن بمفردها ، تجربة أحيت رغبتها القديمة فى كتابة رواية تدخل بها تراث الرواية العربية . ولذلك بدأت فى تسجيل مذكراتها اليومية برغم استهزاء طلال بما تفعله ، عندما تأكدت أن تجربتها من الجدة بحيث يمكن أن تنتج رواية بالجدة نفسها .

— مضت ساعة ولم تفتحى فمك بكلمة ؟!

جاءها صوت طلال من جلسته بعد أن ألقى بمجلاته على المائدة المعدنية الصغيرة أمامه . التفتت إليه دون أن تغير من وقفتها المستندة إلى سور اليخت :

— إن المنظر الخلاب أروع من أى كلام !

أشعل سيجارا ونظر إلى خاتمه الماسى بفخر وقال :

— لا تحاولى الظهور بمظهر الشاعرة المرهفة الحس .. فلم يزد تعليمك على الثانوية العامة .. أما أنا فقد درست فى جامعات أمريكا وإن كنت لم أكمل دراستى !!

تذكرت أمل أنها التحقت بكلية الآداب دون علمه ، فغمرها طوفان داخلى من السعادة لبعد نظرها وقدرتها على استشراف آفاق المستقبل برغم كل المعوقات التى برزت فجأة فى طريقها . كان إحساسها بالقوة والتفوق يتزايد يوما بعد يوم وخاصة بعد أن تعلمت أو علمت نفسها كيفية السيادة فى الفراش بحكم أنها اللغة الوحيدة التى يفهمها طلال . وعندما عجز عن مجاراتها فى حيويتها وانطلاقها وطول نفسها ، أصبح يعايرها بعدم إكمال تعليمها ، وهو الذى أجبرها على هذا ، بل ويتباهى بدراسته فى الجامعات الأمريكية . لكن أمل لم تمنحه أية فرصة ليستفزها ، فقد كانت ثقتها العائدة إلى نفسها بكل قوتها

خير مرفأ لها .

سألها بلهجة توشى بالتهكم والسخرية :

ــ لماذا لم تردى ؟!

شدت أمل عينيها من حنايا المنظر الساحر :

ــ أبدا .. إننى لم أحاول الظهور بمظهر الشاعرة المرهفة الحس .. كل ما هناك أننى عبرت عن الإحساس الذى أثاره المنظر فى نفسى !!

ــ تعالى .. اجلسى هنا إلى جوارى !

قالها بلهجة الأمر فأمرتها حكمتها فى اللحظة نفسها بالطاعة ، فذهبت وجلست على مقعد إلى جواره . فأمسك يدها وضغط عليها بطريقة آلمتها ، لكنها تجاهلت الألم وابتسمت وهى ترى ملامح جزيرة كابرى تتضح تدريجيا :

ــ لولا زواجى منك لما رأيت هذه الدنيا ؟!

اصطنعت الابتسام وهى تسحب يدها من يده فى رقة :

ــ كانت الرحلة فكرتك .. ولم أجبرك على القيام بها !

قال وهو يضع ساقا على ساق :

ــ إنك لا تستطيعين أن تجبرينى على فعل أى شىء !

لم ترد . كانت بهجة الطبيعة المحيطة بها قد امتصت كل هجماته . سألها :

ــ أتعرفين لماذا أصر دائما فى كل رحلة بحرية على أن أبدأ من الإسكندرية إلى كابرى ؟!

أثار حب استطلاعها برغم ضيقها به فسألته فى اقتضاب :

ــ لماذا ؟!

ــ لأن الملك فاروق ملك مصر والسودان أبحر فى « المحروسة » إلى كابرى مهزوما ذليلا بعد خلعه عن العرش .. أما أنا فقد ذهبت إليها سبع مرات

منتصرا غازيا .. حيث الكل تحت أمرى هناك !

شعرت بالعنجهية تكاد تنفجر على سطح كلماته فحاولت تفريغ الشحنة :

— إنه تاريخ انتهى .. وليست له علاقة برحلتنا هذه !

بدا الضيق على ملامحه وعلق دون أن ينظر إليها :

— إنك تذكرينني بأمى ؟!

— كيف ؟! أنا أعرف من أبى أنها كانت مصرية أيضا ؟!

— أتعرفين كيف تزوجت أبى ؟!

أثار حب استطلاعها مرة أخرى دون أن يدرى فاستجابت لسؤاله :

— لا ..

أشعل سيجاره مرة أخرى :

— جاء أبى مع وفد من الأمراء لزيارة مصر ومقابلة الملك فؤاد .. ففى تلك السنة لم تهبط الأمطار وكاد الجفاف يقتل كل شىء فى بلدنا .

صمت لحظة وهو يسحب نفسا عميقا من السيجار الفاخر ذى الرائحة النفاذة فسألته :

— هل جاءوا طلبا للمعونة ؟!

— ليس هذا هو المهم .. وإنما المهم أن الملك فؤاد رفض مقابلتهم بحجة انشغاله مع شخصيات أهم !

— وهل رفض منح المعونة لهم ؟!

تساءل فى حنق واضح :

— تصرين على تأكيد فضلكم علينا !! سأشفى غليلك .. وافق الملك فؤاد على منح المعونة بدون مقابلتهم .. وترك سكرتيره ليستضيفهم ويقيم لهم حفلة

فى منزله .. وقامت زوجته وابنته برعايتهم .. مما أذهلهم من تبرج المرأة فى مصر .. لكن الشيء العجيب أن أبى وقع فى غرام الابنة التى سرعان ما بادلته حبا بحب فى الأيام القليلة التى أمضاها فى مصر .. وتواعدا على اللقاء عندما يعود إلى مصر بمفرده ليطلب يدها من أبيها .. فقد كان أبى فى مثل وسامتى .. وكانت أمى مجنونة بحبه وخاصة عندما يرتدى العباءة والعقال !.

تأملت أمل ملامحه فلم تجد الوسامة التى تكلم عنها ، لكنه لم يكن قبيحا برغم جفاف بشرته . استأنف قصته دون توقف :

ـــ وعاد بالفعل إلى مصر بمفرده .. ودهش أبوها عندما طلب يد ابنته الوحيدة المدللة .. ولم يكن يعلم أنهما تواعدا على الزواج مهما كانت العقبات .. فرفض بمنتهى العنجهية والاستنكار من طلب كهذا .. مما حفز أبى على الإصرار على تنفيذ مخططه .. فهربت معه إلى السويس وهناك أبحرا إلى بلدنا وتزوجا هناك ..

ـــ وهل عاشت سعيدة معه ؟!

ـــ من ؟!

تذكر طلال أن الحديث كان عن أمه فاستدرك :

ـــ كانت عائلتها قد قاطعتها تماما .. بل وتبرأت منها لدرجة أن أباها اعتبرها ميتة وأعلن هذا لكل من سأل عنها .. ومع ذلك لم تستطع أن تتخلى عن عنجهيتها . كانت تظن أنها ستصبح أميرة أسطورية من أميرات الشرق الغامض .. ففوجئت بالصحراء تحيط بها من كل جانب . وأحيانا كان الماء الوفير من الترف الذى لا يحصل عليه كل إنسان .. وأحيانا أخرى كان أبى يتركها وحيدة أياما متتابعة لانشغاله مع الأمراء .. كما حكم عليها بألا تترك أى جزء من جسدها مكشوفا وذلك باستثناء عينيها حتى ترى طريقها .. كذلك

لم يكن مسموحا لها بمحادثة أى رجل غير زوجها ..

لم تستطع أمل أن تكتم فضولها :

— ألم يكن أبوك ثريا مثلك ؟!

— لم تكن ينابيع الزيت قد تفجرت بعد .. وكان اعتمادنا الأساسى على النخيل والجِمال وبعض الموالح وقطعان الضأن .. ولذلك خابت آمالها وأصبحت تهلوس ليل نهار بمصر التى كانت قد سدت فى وجهها .. وسعد أبى عندما حملت ظنا منه أنها ستنشغل فى جنينها ثم فى وليدها .. لكن ظنه خاب عندما أنجبتنى وأهملتنى تماما .. ولولا أن أبى عهد بى إلى مربية ، فإن الله وحده يعلم ماذا كان يمكن أن يحدث لى ؟!! فقد تحولت إلى مخلوقة غريبة فى كل أفكارها وتصرفاتها .. ثم أضربت عن الطعام .. وفى يوم عاد أبى من رحلة مع بعض الأمراء فوجدها جثة بلا حراك .. فقد انتحرت بتناول كل أقراص زجاجة المنوم الذى لم تكن تستطيع النوم بدونه ..

سرت قشعريرة فى بشرة أمل التى سألته دون تفكير :

— وكم كان عمرك عندما انتحرت ؟!

— لم أكن قد تجاوزت السنة الأولى من عمرى ؟! ولذلك فإننى لا أتذكر شكلها !!

— ألم تر صورتها على الأقل ؟!

— لم يكن مسموحا للنساء بالتصوير !!

— لكن لا بد أن لها صورا أخذتها معها من مصر ؟!

— مزقها أبى كلها لأنها كانت متبرجة فيها .. بل كانت فى بعضها عارية الصدر وتتشبه بممثلات السينما ..

— وكيف عرفت قصتها بكل هذه التفاصيل ؟!

عاد طلال إلى جلسته فى شرفة اليخت بعد أن ألقى بسيجاره المنطفئ بين الأمواج المتلاطمة حول جوانبه فى حين ظلت أمل فى انتظار إجابة سؤالها . قال :

ــ حكاها لى أبى منذ طفولتى .. وكنت كلما نسيتها يذكرنى بها حتى حفظتها عن ظهر قلب !

سيطرت القصة على مخيلة أمل التى رثت من صميم قلبها لهذه المخلوقة الرقيقة التى راحت ضحية أحلامها الغامضة وشطحاتها العاطفية . لكن لماذا قال لها طلال إنها تذكره بها ؟! هل لأنها تملك نفس الكبرياء ؟! ربما ! لكنها لن تنتحر بسببه فى حين يمضى هو فى ممارسة حياته والتنقل من امرأة إلى أخرى ! إن حياتها أغلى من ألف طلال ، ولا يمكن أن تفرط فيما منحه الله إياها . لقد ألقى طلال عليها درس العمر دون أن يدرى ، وستلقنه بدورها درس العمر حتى يعرف أن الفوارق بين جيلهما وجيل أمه أضخم بكثير من الفواصل بين جيله وجيل أبيه ، وحتى يدرك أنها تختلف تماما عن ابنة المعلم فتوح صديق أبيها والتى راحت ضحيته عندما غرر بها ورفض الزواج منها ، فاضطرت أن تبيع جسدها لتعيش . كانت أمل على يقين كامل بأنه تزوجها لأنه لم يجد وسيلة أخرى تمكنه من الحصول عليها .

أبطأ اليخت من سرعته وكاد ضجيج آلاته أن يتلاشى مع اتضاح معالم الجزيرة الفاتنة الناعسة المستسلمة لغزل الأمواج ولمساتها . دار اليخت حول الجزيرة إلى أن بلغ منطقة اليخوت ذات الألوان الزاهية الناصعة ، والشرفات والأسطح التى استلقت عليها الحسان شبه عاريات أو عاريات فى استسلام كامل لأنامل الشمس الدافئة أو أنامل العشاق الساخنة . تذكرت أمل « المايوه » الذى كانت قد اشترته خصيصا للرحلة دون علم طلال ، فأرادت

أن تجس نبضه :

— هل يمكن أن أرتدى المايوه حتى أتمتع بالشمس مثلهن ؟!

نظر إليها فى دهشة بالغة :

— هل جننت ؟! إننى إذا كنت قد سمحت لك بارتداء البنطلون فهذا استثناء بسبب الرحلة .. أما عندما تعودين إلى مصر فسيكون لك نظام آخر ..

— وماذا سيكون هذا النظام ؟!

أجاب على سؤالها بسؤال آخر :

— لماذا ذكرت سيرة « المايوه » ؟! هل اشتريت واحدا ؟!

اضطرت إلى الكذب الذى تمقته ، لكن ما باليد حيلة :

— لا ..

احتقرت نفسها فهربت من إحساسها بتكرار سؤالها :

— وماذا سيكون هذا النظام ؟!

— لن تخرجى من البيت إلا بإذنى أو بإذن أبيك فى حالة غيابى !!

إذا فالسجن فى انتظارها بعد رحلة شهر العسل . لم ترد فأضاف :

— وأرجو ألا ترتكبى غلطة أمى ؟!

نظرت إليه فاهتز عندما كان اليخت يلقى بمرساته :

— لا تخف .. فإن حياتى أعظم منحة لى من الله .. ولن أفرط فيها بالبساطة التى تتصورها !!

مع سكون محركات اليخت وامتلاء رئتيها بهواء البحر المشبع بالملح المنعش شعرت أن الحياة كلها تقف إلى جانبها مبتسمة مشرقة برغم هذا المخلوق القادم من العصور المظلمة .

٥

كانت أياما كالأحلام الوردية . ليس بسبب صحبة طلال ، فقد كانت تتمنى أن تزور هذه البلاد بصحبة شاب مثقف مستنير تحب الحياة من أجله ، ولكن أين هو هذا الشاب الغنى الأرستقراطى المثقف الذى إذا تزوج فإنه لن يتزوج إلا من طبقته ؟! فقد علمتها الأيام أن تعشق الحياة لذاتها ، وخاصة أن طلالا كان ينوى إطفاء جذوة هذا العشق داخلها بمجرد انتهاء شهر العسل ، لكنها كانت متيقظة تماما لكل محاولاته .

مضت أيام كابرى كأنها لحظات . كانت الفيللا الأنيقة التى تقبع على ربوة صخرية تطل على البحر مثل القصور الصغيرة التى قرأت عنها فى أقاصيص طفولتها . ومع شروق الشمس كانت تهرع معه إلى الشاطئ حيث تستلقى هناك وإن كانت محرومة من مداعبة الشمس لجسدها ، فى حين كانت عينا طلال مشدودتين بأسلاك غير مرئية إلى الأجساد العارية المستلقية فوق الرمال أو متهادية مع الأمواج الراقصة . إنه لا يشبع من تأمل الأجساد تأملا نهما فى حين يمنعها من إغراق جسدها بين طيات الأمواج التى تبتعد عنها أمتارا قليلة . لو كان يحبها فعلا لما نظر إلى سواها ، فجمالها لا يقل عن السابحات الفاتنات إن لم يزد عليهن . وكانت قد تناولت معه الغداء ذات مرة فى أحد مطاعم كابرى المزدحمة ، وحدث أن جلس إلى المائدة أمريكى من أصحاب الملايين تجاذب معه أطراف الحديث ثم التفت إليها وقال لها على مسمع منه برغم صخب الموسيقى : إن عينيها تشعان بسحر الشرق وغموضه ، فما كان من طلال

إلا أن ابتلع غداءه وعاد بها فورا إلى الفيللا .

وفى روما شاهدت مبنى الكوليزيام واستمعت إلى تصفيق الرومان وهم يتابعون المصارعين الذين يتقاتلون فيما بينهم أو مع الأسود . ففى المساء يذهب السائحون ليستمعوا إلى الرياح وهى تقتحم فتحات المبنى محدثة دوامة داخل دائرته ، فينبعث منها صوت أشبه بالتصفيق والهتاف . رثت أمل لضحايا البربرية الرومانية حين كان الأغنياء والسوقة على حد سواء يستمتعون بتعذيب الآخرين وقتلهم فى النهاية .

وكان طلال يؤكد لها دائما بتلميحاته وحركاته وأحيانا بتصريحاته أنها لم تكن لترى هذه الأماكن لولاه . كان استمتاعه فائقا بإحساسه بأنه يمنّ عليها ، وأنه يزور معها هذه البلاد كى تتثقف ، أما هو فقد زارها مرات لا يذكر عددها على وجه التحديد . لم تعبأ أمل بتصريحاته أو تلميحاته بل طلبت منه أن تزور البندقية وفلورنسا اللتين قرأت عنهما كثيرا فى كتب التاريخ والفن ، لكنه رفض طلبها بحزم أدهشها ، برغم أنه كان يقضى الليل فى الأندية الليلية لمشاهدة فقرته المفضلة التى تقوم فيها الراقصة بخلع ملابسها قطعة قطعة إلى أن تصبح كما ولدتها أمها ، وفى الوقت نفسه كان يستنكر أى طلب لها بحجة ضيق الوقت وأن أعمالا ضخمة فى انتظاره فى لندن لإنجازها .

فى باريس أصرت على مشاهدة المتاحف وخاصة متحف اللوفر فرضخ لأنه اعتقد أن الزيارة لن تزيد على ساعة على أكثر تقدير ، وعندما رآها تشاهد اللوحات بانبهار شديد وتنوى المرور بكل القاعات ، أصدر إليها أمرا بمغادرة المتحف على الفور فرجته أن تشاهد لوحة « الجيوكندا » وستخرج معه بعدها ، وعندما دخلا قاعة « الجيوكندا » التى وضعت داخل صندوق زجاجى محكم وملتصق بالجدار وحولها حارسان كحرس الشرف ، رأى

طلال « الجيوكندا » لأول مرة وتعجب كيف عرفت أمل أنها موجودة فى هذا المتحف ، وعندما وجدها مبهورة أمامها جذبها من يدها بعيدا وهو يقول :

ــ إنها تشبه امرأة قبيحة كانت تبيع الخبز فى طفولتى على ناصية الشارع الذى كان يقع فيه بيت أبى !!

لم ترد أمل وحمدت الله على أن الواقفين لا يعرفون العربية . لكنها فوجئت بطلال وهو يدفعها خارجا بحماس شديد قائلا :

ــ هيا لأريك قصر فرساى !!

كانت الأمطار الخفيفة تغسل الشوارع فى الخارج . قالت له وهى تركب السيارة الفاخرة ذات السائق الفرنسى :

ــ شاهدت نهر السين من نوافذ اللوفر .. فلم أجد أعظم من النيل الذى رثيت للحال التى بلغها !!

ــ ليست للنيل قيمة بدون الناس الذين يستخدمونه !

برغم أنها التقطت تعريضه بأهلها ، لكنها سرعان ما اقتنعت بحقيقة ما قاله . نظرت خارج النافذة والسيارة تعبر ميدان الكونكورد حيث المسلة المصرية تقف شامخة محاطة بأكثر من نافورة ، وعلى اليمين بدت حدائق التوليرى بخضرتها اللامعة تحت قطرات المطر برغم السحاب الداكن الذى يغطى العاصمة الفرنسية . لم تشعر أمل أنها ترى هذه الأماكن لأول مرة ، فكثيرا ما قرأت عنها أو شاهدتها فى السينما أو التليفزيون ، وأخيرا رأتها بعينيها وهى تجوس وسطها بسيارة لا يركبها إلا أغنياء باريس .

تجول طلال مع أمل فى قصر فرساى كما لو كان يعرفه قاعة قاعة وغرفة غرفة . هنا صنع تاريخ فرنسا فى أحرج لحظاته ، بل تاريخ العالم فى بعض

اللحظات . كان طلال فخورا بالقصر ، بقاعات المرايا وقاعات الاستقبال ذات الستائر المهولة المصنوعة من القطيفة الحمراء ، لدرجة أن أمل شعرت أنه يتكلم عن أحد القصور فى بلده . لم يتكلم عن تاريخ القصر الحافل بل اقتصر فى حديثه عنه على مظاهر البذخ والأبهة والفخامة ، ثم ختم حديثه بأن قصر أحد الأمراء فى بلده يضاهيه فى بذخه وفخامته وإن كان يمتاز عليه بأنه مجهز بآخر الأجهزة الحديثة التى أنتجتها التكنولوجيا العالمية .

لم تمر ليلة من ليالى باريس إلا واصطحبها إلى أحد الأندية الليلية التى تقدم فقرة خلع الملابس ، حتى حفظت أمل خبايا الشانزلزيه والبيجال كبنات باريس . لم يكتف طلال برؤية الراقصات بالعين المجردة بل كان يحضر معه نظارة مكبرة ذات حجم صغير حتى يرصد كل التفاصيل . وفى آخر ليلة فى باريس كان قد حجز مائدة للسهر فى ملهى المولان روج ، وبعد فقرتين ظهر فوق المسرح زنجى عملاق مع فتاة شقراء كالحوريات الشفافة التى سرعان ما تخلصت من ملابسها فقلدها الزنجى من خلال رقصات مسعورة على دقات طبول بدت وكأنها صادرة من غابة قريبة . لم يحتمل طلال أن تشاهد أمل ما يدور على المسرح فنهض بعينين زائغتين وغادر الملهى وأمامه أمل التى اجتاحها إحساس يشبه التشفى منه .

فى لندن نزلا فى فيلته الأنيقة التى تطل على حديقة هايدبارك . كانت سعيدة بمنظر الخضرة الممتدة أمامها حتى مرمى البصر . لكن طلالا لم يصطحبها لمشاهدة معالم لندن كما فعل من قبل فى روما وباريس . كانت تمنى نفسها بزيارة برج لندن الذى قرأت عنه كثيرا ، وخاصة جواهر التاج المحفوظة فيه ، ومشاهدة متحف الشمع الشهير ، وقصر باكنجهام الذى يقع على مقربة من سكنها . لكنها فوجئت بإهمال طلال لها إهمالا لا يعنى سوى أن

تقبع فى مكانها ، فى حين كان وكيله الإنجليزى يأتى إليه صباح كل يوم ليصطحبه إلى حيث لا تعلم عنه شيئا ، وأحيانا كان يتركها طوال اليوم بمفردها وحتى ساعة متأخرة من الليل . كما أنها لم تسترح لنوعية العلاقة بينه وبين وكيله الشاب ذى العينين الزرقاوين ، والخصلات الذهبية المسدلة على جبينه ، وشعره الذى ينافس شعرها فى طوله ، ولولا طول قامته الذى يجعله يبدو كعملاق لبدا امرأة فاتنة الجمال ، حتى ذقنه الناعم الأحمر لم يوش بأى اخضرار مكان الحلاقة . وكانت معاملة طلال له فى منتهى الرقة التى أثارت غيرة أمل التى تأكدت من السعادة وهى تدب فى أوصال طلال كلما جاء الفتى الإنجليزى لاصطحابه .

أحست أن السجن الذى كان فى انتظارها فى القاهرة ، قد بدأ فعلا فى لندن ، وخاصة فى أيام الغمام والأمطار . لم تكن هناك ثلوج متساقطة ، لكن الوحشة الباردة التى تربعت داخلها كانت أقسى وأمر . فاتحته مرة فيما تعانى منه فما كان منه إلا أن قال لها بمنتهى العنف والعنجهية :

ــ إننى لن أقضى عمرى معك فى السياحة والنزهة .. فلدى أعمال ومشروعات تحتاج دائما إلى إشرافى الشخصى المستمر .. ولا تظنى أن ما مضى كان شهر عسل .. إنه كان إجازة بالنسبة لى بعد فترة حافلة بالعمل المجهد والسفر المتواصل !!

لم ينتظر ردها بل خرج مع وكيله وأوصد الباب خلفه بصوت أحدث صدى داخلها . جاءتها ربة البيت الإنجليزية تسألها عن الطعام الذى ترغبه على مائدة الغداء فأجابتها بجفاء أنها ستتناول غداءها خارج البيت . وبالفعل ارتدت ملابسها الثقيلة وسرعان ما كانت تخطو فى الشارع أولى خطواتها بمفردها منذ زواجها من طلال .

كانت الأمطار تداعب وجهها مع بعض الرطوبة التى تسللت إلى ساقيها برغم البنطلون الصوفى الثقيل الذى يحيط بهما . لكن نسيم الحرية الذى ملأ رئتيها جعلها تنطلق بحذاء هايدبارك بنفس الخطوة السريعة التى تميز بنات لندن . بعد توغلها داخل الحديقة الشاسعة قادتها قدماها إلى قصر باكنجهام الذى عرفته من الحارسين القابعين على حصانين عند مدخله دون أية حركة كما لو كانا تمثالين من شمع . ركزت عينيها ضاحكة على وجه أحدهما لعله يبتسم أو حتى يرمش بعينيه ، لكن محاولتها باءت بالفشل وإن كانت قد أيقنت أنه يحاول التحكم فى نفسه قدر استطاعته . وفجأة دوى نفير وبعض الصيحات العسكرية فأدركت فى الحال أنه ميعاد تغيير الحرس الذى يعد من المعالم السياحية التى يصر السياح على مشاهدتها فى لندن . ولمحت بالفعل مجموعات من السياح الذين كان بعضهم ينظر إلى ساعته فى انتظار العرض . سمعت أمل وقع ثقيل لحوافر خيول على الممر الحجرى ، وسرعان ما حلت الخيول براكبيها محل خيول النوبة التى انتهت ، فى حين كان قائد الحرس ينادى على طابور العرض الذى عقده ليحل مكان الحراس الذين غادروا مواقعهم .

كانت قبعات الحراس العالية ، سواء النحاسية الصفراء منها أو السوداء المصنوعة من الفراء مثار إعجاب أمل ، لكنها لم تجد فى العرض الإثارة التى تكلم عنها أخوها عبد المنعم عندما زار لندن قبل ذلك . فليس هناك ما يشد الانتباه سوى القبعات والسيوف اللامعة والصيحات المتشنجة ، وفيما عدا ذلك ، كانت فضلات الخيول السمينة الضخمة تملأ الأرض ، بل ويطؤها قائد العرض بقدميه حتى لا ينحرف عن خطوته العسكرية المستقيمة .

سارت أمل حتى ماربل آرش أو القوس الرخامى فقارنته بقوس النصر فى باريس فبدا قزما . كان السير قد أشاع الدفء فى جسدها فأنزلت ياقة معطفها

المرفوعة حول عنقها وإذا بها تجد نفسها فى شارع أوكسفورد الشهير بمحلاته الضخمة وحركته التجارية التى لا تهدأ . كان موكب الحياة يسير بإيقاع سريع لم تتعوده من قبل فى مصر التى لم يحدث أن ابتعدت عنها قبل هذه الرحلة . انطلق بها الحنين إلى مصر وأمها وأبيها ودادة حفيظة وقطتها بوسى وحديقة الحيوان وزئير الأسد . كل الذكريات تبدو بعيدة فى المكان والزمان على الرغم من أنه لم يمض عليها أكثر من شهرين . أدركت أمل لأول مرة فى حياتها أن الزمن لا يقاس بالساعات والدقائق وإنما يقاس بالأحاسيس والمشاعر . فالزمن لا يعنى شيئا بالنسبة للساعة التى تقيسه بمنتهى الانضباط ، لكنه يعنى كل شىء بالنسبة للإنسان ، إنه حياته نفسها . تذكرت أمل حصص الفلسفة وكتبها التى عشقتها ، وانتابتها السعادة التى تجتاحها كلما خطر على بالها التحاقها بقسم الفلسفة دون علم طلال الذى تمنت أن يظل كعادته مسافرا معظم العام بعيدا عن مصر حتى تستمر فى دراستها خلسة . صحيح أن الثقافة التى حصلت عليها فى هذه الرحلة السريعة لم تكن لتحصل عليها من الكتب والأفلام ، لكن طلالا لم يقم بالرحلة من أجل الثقافة أو حتى من أجل شهر العسل كما اعترف لها صراحة هذا الصباح ، وإنما قام بالرحلة لإبهارها وتأكيد إحساسها بالعجز فى مواجهة هذا العالم الواسع المتشعب الذى يتصرف فيه كما لو كان رهن إشارته . لكن هيهات أن يشعرها بالعجز ، فالثروات يمكن أن تتراكم أو تتلاشى ، أما الشباب إذا تلاشى فلا عودة له . إنه كلما شعر بالعجز معها فى الفراش ، ضاعف من عنجهيته وصلابته وتشدده . وهى سعيدة بهذه الأعراض لأنها تدرك السبب الحقيقى لها . إن الإنسان يستطيع إجادة كل مظاهر التخفى والإدعاء فى أى مكان إلا الفراش الذى لا يتعرى جسده فيه فحسب بل وروحه أيضا . كانت تجربة ضخمة ومعقدة

ومبكرة بالنسبة لأمل لكن عقلها الناضج ساعدها على الارتفاع إلى مستوى الموقف .

صافحت عينيها بعض المجلات الجنسية الفاضحة المعلقة حول أحد الأكشاك فى الشارع الواسع الصاخب فتذكرت طلالا كما تذكرت وكيله الإنجليزى الذى يمده بأحدث ما صدر من هذه المجلات التى يخفيها طلال عنها ، لكنها تعرف أين يخفيها ومع ذلك لم تحاول حتى مجرد تصفحها !! ولذلك عرفت من رحلتها كما عرفت من كتبها من قبل أن المراهقة لا ترتبط بسن معينة عند الذين يفتقرون إلى النضج العقلى ، وخاصة هؤلاء الذين جاءتهم الثروات الطائلة دون أن يكدحوا فى سبيلها ، مثل الابن الذى يرث والديه دون أن يكون قد تلقىَ التربية الصالحة التى تؤهله لاستثمار ميراثه وتنميته .

لم تدخل أمل محلا بعينه . كان لديها كل ما لمحته فى نوافذ العرض ولذلك كانت مستغرقة فى تأملاتها وهى تسير على الطوار المزدحم بالمارة من مختلف الجنسيات واللغات . انطلقت على غير هدى ، فقد كان الانطلاق فى حد ذاته سعادة فائقة بالنسبة لها . لم تخف من أن تضل طريقها ، فالشارع مستقيم ويبدو بلا نهاية . فكرت فى زيارة مواقع السياحة والثقافة فى لندن ، لكنها خشيت أن يجرفها نهمها للمعرفة فتتأخر عن العودة ويحدث ما لم يحمد عقباه . ومع ذلك لم تستطع أن تمنع قدميها من الانطلاق ومتابعة الأوتوبيسات الحمراء ذات الدورين وطوابير الناس أمام دور السينما والمسرح ، والهابطين والصاعدين من فوهات مترو الأنفاق . لماذا لا ترى مترو الأنفاق بعد أن سمعت عنه كثيرا فى مصر ؟! أيعقل أن تتجنبه وهى على بعد خطوات منه ؟!

قادتها قدماها إلى أول فتحة فهبطت مع الهابطين ، وسرعان ما قطعت

التذكرة ووجدت نفسها فوق سلم كهربى فى طابور منتظم على يمينه ، وبمجرد وصولها إلى الدور الأسفل سارت بين الجدران المغطاة بالقاشانى الأبيض ، لكنها لم تلتفت إلى اللافتات والأسهم التى تشير إلى اتجاه السير . سمعت صخبا عاليا وقرقعة وهواء متدفق عندما وجدت نفسها على الطوار أمام القضبان الحديدية التى وقف عليها أحد القطارات ، والركاب يصعدون ويهبطون فى لمح البصر من أبوابه التى أغلقت آليا ثم انطلق محدثا ضجيجا كصوت الرعد فى حين جاء آخر فى الاتجاه المضاد ليقف على الناحية الأخرى . لم ترضخ أمل لرغبتها فى الركوب خشية أن تضل طريقها . فقد خرجت من البيت بدون إذن طلال وفى نيتها العودة قبله . عادت أدراجها لكن السلم الذى ظنته أنه سيؤدى بها إلى باب الخروج ، أوصلها إلى محطة أخرى لخط مختلف . قرأت اللافتات الزرقاء المعلقة لكنها فوجئت بأسماء لا تمت إلى اسم المحطة التى هبطت إليها بصلة . صعدت وهبطت أكثر من سلم . تارة وجدت نفسها عند باب للرحيل وتارة أخرى عند باب للوصول . اضطرت إلى سؤال الراحلين والقادمين لكن خطوتهم كانت أسرع من أن يلتفت إليها أحد ، وعندما توقف البعض لها نظر إليها نظرات زائغة ثم ذهب إلى حال سبيله . قتلها الحنين إلى مصر حيث يدل الناس أى سائل على مقصده حتى لو لم يكونوا على علم به . إنهم لا يحتملون أن يردوا سائلا حتى لو ضللوه . استمرت أمل فى الصعود والهبوط ، وتحول إحساسها بالحيرة إلى اختناق لعدم قدرتها على الخروج من هذا الجب المعدنى . بل إن حيرتها مع طلال تضاءلت أمام وقوعها فى هذه الشبكة المجدولة من قضبان حديدية وسلالم كهربية

وقاشانى أبيض لامع وأصوات وأصداء . شاهدت شحاذا استند إلى أحد الجدران يعزف الجيتار ويضع قبعته مقلوبة أمامه على الأرض ليلقى فيها المارة بالبنسات ، فأدركت أن مصر ليست البلد الوحيد الذى يعانى من أعراض التسول ، لكن المتسولين فى مصر أكثر حظا منهم فى إنجلترا إذ أنها لم تجد بنسا واحد فى قبعته .

حاولت فى حيرتها أن تحفظ اللافتات التى لم تؤد إلى شارع أوكسفورد حتى لا تعود إلى ممراتها مرة أخرى ، وأخيرا وجدت نفسها على السلم الكهربى الصاعد إلى طوار أوكسفورد فتنفست الصعداء عندما وجدت نور السماء الذى حجبته السحب والأمطار الخفيفة التى تداعب وجوه المارة . نظرت إلى ساعتها فوجدتها تقترب من الثالثة فانتابها إحساس شديد بالجوع والخوف من أن يكون طلال قد عاد إلى المنزل إذ أنها لا تعرف مواعيده ، وهو لا يحكى لها شيئا عما يفعله فى بعده عنها . شاهدت أحد الأتوبيسات الذاهبة إلى « ماربل آرش» فركبته بعد أن تأكدت من السائق عن مقصده . وفى دقائق كانت تسرع الخطى وسط « هايد بارك » حتى بلغت الفيلا الأنيقة فإذا بها تجد السيارة « الرولز رويس » السوداء قابعة فى الجراج . عجبا !! إنه اعتاد فى الأيام الأخيرة قضاء اليوم بطوله خارج المنزل والعودة بعد منتصف الليل . واليوم تحلو له العودة فى وضح النهار عندما فكرت فى مجرد التجول فى شارع أو شارعين .

دخلت فوجدت طلالا يجلس إلى مكتبه وأمامه وكيله الإنجليزى الذى كان يقوم بإخراج بعض زجاجات الأدوية الصغيرة من حقيبته والتى سرعان ما تلقاها منه طلال وأخفاها بالعجلة نفسها فى أحد أدراج المكتب وهو ينظر إلى أمل حتى يتأكد من أنها لم تلحظ ما أخفاه ، لكنه لم يدرك أنها كانت تعلم جيدا أنه بواظب على المقويات والفيتامينات التى يقال إنها تجدد الشباب وتعيد

الحيوية للمتشبثين بالحياة أكثر من اللازم . سألها بحسم محاولا إبعاد عينيها عن يده التي أغلقت الدرج ولعبت بعلبة السيجار الموسيقية دون وعى :

— أين كنت ؟!

— انتابنى السأم فتجولت فى شارع أوكسفورد لبعض الوقت ؟!

— وعرفت أيضا شارع أوكسفورد ؟! يبدو أنك لم تفهمى أسلوبى بعد .. فقد خرجت بهذه البساطة دون إذنى .. اصعدى وسألحق بك حالا !!

وعلى الرغم من أن الحوار دار بالعربية ، فإن الشاب الإنجليزى كان يتتبعه بطريقة تدل على استيعاب معناه تماما . انطلقت أمل على السلم الخشبى المغطى بسجادة حمراء لم تمنع ألواحه من الأنين تحت قدميها المتوترتين . جلست على مقعد ضخم ينتمى إلى عصر الملكة فيكتوريا وإحساس القادم على معركة يجتاحها . أفاقت من خواطرها على صوت أقدامه على السلم وإذا به يقف أمامها واضعا يده فى وسطه :

— ليس لوجودك معنى فى لندن .. ستعودين إلى القاهرة على أول طائرة مسافرة إلى هناك .. فأنا لا أستطيع الجمع بين حراستك وبين أعمالى الكثيرة وخاصة فى لندن !!

سألته وهى تنظر إلى السجادة تحت قدميها :

— هل هذا عقاب لمجرد خروجى لشم الهواء ؟!

— قلت لك من قبل أكثر من مرة إنه ليس من حقك أن تسألينى عن أى شيء ؟! عليك أن تنفذى أوامرى فقط !

ابتلعت أمل غصة فى حلقها وتساءلت مرة أخرى :

— وهل ستبقى فى مصر لحراستى ؟!

— إنها مهمة أبيك فى غيابى !

سعدت لمسألة غيابه الذى يبدو أنه سيكون أسرع مما تتصور ، وتمنت أن

يمتد أيضا أطول فترة ممكنة . قالت فى استسلام سعيد :

ــ أنا تحت أمرك !

تعجب لهذه النغمة الخانعة المفاجئة والتى لم يتعودها منها من قبـل ، فسعد بدوره قائلا بمنتهى الثقة :

ــ سأطلب من وكيلى أن يحجز لك مقعدا على أول طائرة إلى القاهرة !

سعدت أمل مرة أخرى لعودتها إلى القاهرة وإن كان القلق انتابها قليلا لأنها لم يحدث أن ركبت الطائرة بمفردها من قبل ، لكنها سرعان ما استمدت من ثقتها بنفسها زادا جديدا . وسألته متخابثة :

ــ وماذا عن أوامرك التى يجب أن أنفذها فى مصر ؟!

تضاعف إعجابه بنفسه عندما ظن أنه نجح فى ترويضها أخيرا . أجاب بمزيج من السعادة والثقة والغرور :

ــ ستتلقين أوامرى تليفونيا من خلال أبيك !

استمرأت لعبة التخابث عندما وجدت أنها تنطلى عليه تماما . سبلت عينيها وقالت بصوت حالم كله تشبيب ووجد :

ــ لكنى لا أستطيع العيش بعيدا عنك .. فربما قتلنى إحساسى بالوحشة .. إنك الآن بالنسبة لى الدنيا كلها !

غمرته أمواج السعادة والغرور والإحساس الطاغى بالفتوة ، لكنه تمالك نفسه وقال بلهجة رجل الأعمال المجهد المشحون بالمسئوليات :

ــ وهل أترك أعمالى وحساباتى التى تمتد عبر أوروبا وأمريكا ؟! لكننى مع ذلك سأحاول قدر الإمكان أن أقتطع من وقتى من حين الآخر لأمر عليك بالقاهرة !

تداركت أمل الموقف وقالت بلهجة زاخرة بالتضحية والإيثار :

ــ لم أقصد هذا على الإطلاق !! فإننى لست من الأنانية بحيث أعطل

مشروعاتك الضخمة الهائلة .. لدرجة أننى لا أطلب منك زيارة القاهرة إلا إذ كانت الزيارة بداعى مباشرة أعمالك .. أما أنا فسأعيش بين الزيـارة والأخرى على ذكريات رحلة العمر التى قضيتها معك وعلى أمل زيارتك القادمة .

لم يكن طلال بظن أن عقابه لها بإعادتها فورا إلى القاهرة سيأتى بهذه النتيجة السريعة المذهشة ! إذا فإن عنجهيتها الفارغة لم تكن سوى محاولة فاشلة لتغطية إحساسها بالقصور والضعف . كان متأكدا أنها ستعجز عن الاستمرار فى اتخاذ هذا المسلك المفتعل ، وها هى الآن تدرك أن لا حياة لها أو لعائلتها بدونه .. إنهن كلهن سواء وإن كانت هذه قد صمدت فترة أطول بكثير من القليلات السابقات اللاتى مررن عليه ، أما الباقيات بطول البلاد العربية وعرضها فقد كن على أتم استعداد لنظرة واحدة منه . حتى ابنة المعلم فتوح استسلمت له تماما دون زواج بل ودون أى مقابل ، وعندما حاول أبوها الاعتداء عليه لقى جزاءه فى السجن على يد مجرم آخر .

نظر طلال إلى عينى أمل فوجد فيهما كل ما يتمناه ، لكنه تجنبهما عائدا إلى لهجة الأمر :

ـــ عليك الآن بإعداد حقيبتك ! فربما كان سفرك بعد ساعات معدودة !

قالها واستدار هابطا على درجات السلم التى أنت تحت قدميه ، فطفحت ثقته بنفسه وإعجابه بقدراته الفائقة حدا جعله يشعر بأن وزنه نفسه قد زاد بدليل الأنات الصادرة عن درجات السلم .

٦

أعلن القائد فى الميكروفون دخول الطائرة المجال الجوى المصرى . نظرت أمل من النافذة التى كانت تستند إليها بمرفقها . دق قلبها بعنف برغم أنها لم تر شيئا . فقد كان الظلام يلف كل الموجودات باستثناء شريط بعيد من المصابيح الخافتة التى تدور مع حركة الطائرة التى أبطأت من انطلاقها وزادت من هبوطها . ها هى القاهرة الحبيبة أخيرا بكل صخبها وجمالها ومتاعبها ! ظنت أمل أن شريط المصابيح أضواء ممر الهبوط ، لكنها وجدته يبتعد ويتلوى متضائلا .

لم تستطع أمل أن تركز فكرها على شىء بعينه . استسلمت لمزيج من الأفكار والمشاعر المتداخلة : قسم الفلسفة وهل يمكنها الانتظام فى الدراسة فى غيبة طلال وبدون علمه حتى النهاية ؟ هل تستطيع صديقة عمرها وفاء أن تمدها بالمحاضرات التى سيعجزها وجود طلال عن حضورها ؟ هل يمكن أن يحدث حمل فيعطلها عن دراستها ؟ وماذا لو لم يحدث حمل ؟! هل سيظل أبوها وأمها قانعين بوضع مثل هذا وهما لا يكادان يخفيان رغبتهما فى حفيد لهما يرث جزءا من هذه الثروة الهائلة ؟ ماذا يمكن أن يكون تصرف طلال معها لو علم أنها تواصل دراستها وأنها خدعته وهى التى لا تزال فى سن أبنائه ،لو كان له أبناء ؟! هل يمكن أن يطرد أباها من خدمته ، وقد يلقى مصير المعلم فتوح ؟! إنها تجازف وتقامر بل وتخاطر بكل شىء فى سبيل إشباع نهمها للعلم والثقافة ، فهل هذه أنانية أم طموح أم خطوة حتمية لتحقيق الذات ؟! لقد فتح هذا الزواج الغريب عينيها على حقائق لم تكن تخطر على بالها فى يوم من الأيام . إن خبرة الشهرين الماضيين تفوق خبرة عمرها كله عمقا وشمولا ! إنها تشعر أنها

تعدت الثلاثين من عمرها ! بل تعدت الخمسين عندما تتعامل مع طلال حاشدة كل ذكائها وثقافتها التى تلقتها فى الكتب وتتلقاها الآن عن الحياة نفسها . ما أروع أن يسعى الإنسان إلى اكتشاف لغز الحياة !!

انتشرت الأنوار والمصابيح أسفل الطائرة فعرفت أنها فوق القاهرة أخيرا. القاهرة الملتحفة بغلالة رقيقة شفافة من الأتربة أو الرمال أو الضباب !! لا تعرف ! لكن نظرتها إلى الحياة لا تزال ضبابية ، تماما كما ترى القاهرة الآن أمام جناح الطائرة الذى يهتز قليلا فوق المبانى والشوارع التى كشفت أخيرا عن معالمها . ها هو النيل العظيم يشطرها إلى نصفين ، وتلهث السيارات بأنوارها البيضاء والحمراء بحذائه ثم تتفرع مختفية ، ويظهر غيرها . طوفان من النور والحركة لا يهدأ ، مثل طوفان المشاعر والخواطر المتدفق داخلها .

لم تسترح أمل لحزام المقعد الذى ربطته حول بطنها تنفيذا لأوامر القائد . كانت الطائرة تدور حول المطار الذى كشف عن تفاصيله الدقيقة وطائراته الواقفة جنبا إلى جنب فيما يشبه الطابور . ضاعفت الطائرة من هبوطها ثم سمعت أمل ما يشبه الدقة التى اهتزت لها الطائرة وسرعان ما كانت تجرى على الممر الذى صافح جناحيها بجرس شرف من أضوائه على الجانبين . ترقرقت الدموع فى عينى أمل وطردت إحساسا أوحى إليها بأنها أصبحت قاربا بلا دفة وسط بحر متلاطم الأمواج !

هدأت الطائرة من سرعتها عند منحنى الممر ثم دخلت ساحة المطار ووقفت تماما ، لكن محركاتها لم تتوقف عن الهدير . سرعان ما جاءت السلالم المتحركة على عجلات والتصقت بالأبواب التى فتحت ، فى حين كان الركاب قد اصطفوا فى طابور سار بهم إلى السلم حيث وقف طاقم المضيفين يحيونهم . هبطت أمل على درجات السلم المعدنى فلفحتها سخونة القاهرة برغم أن أكتوبر كان على وشك أن يسلم أيامه لنوفمبر . لم تستطع أن تتخلص

من معطف الفراء الذى أحال جسدها داخله إلى شعلة متوهجة بالسخونة والعرق . كانت يداها مشغولتين بحقيبتين صغيرتين .

ركبت الأتوبيس مع باقى الركاب الذين وقفوا يتحدثون بلغات مختلفة . بمجرد وقوفه أمام مدخل المطار هبطت منه . سمعت من ينادى اسمها . نظرت إلى أعلى فوجدت أباها وأمها يلوحان والانفعال يخنق عبراتهما . دخلت صالة الجمرك وانتظرت الإجراءات على أحر من جمر برغم أنها لم تستغرق وقتا طويلا . وفى صالة الوصول كانت القبلات الساخنة والدموع المنهمرة فى انتظارها . أخذ عم عبده السائق الحقائب إلى العربة السوداء الفاخرة القابعة خارج المطار . وعندما هدأت العواطف الجياشة سألها أبوها وهو يستقر إلى جانب السائق فى حين استقرت هى فى المقعد الخلفى إلى جوار أمها التى كادت تحتويها تماما :

ـــ لماذا عدت بمفردك ؟ لقد أخبرنى طلال بك بعودتك تليفونيا وعندما حاولت الاستفسار منه عن السبب أجاب فى اقتضاب : إنه مشغول وليس عنده وقت حاليا لرعايتك ؟!

أجابت أمل وهى تخلع المعطف الثقيل وتزيد من فتحة صدرها :

ـــ لقد قال لى هذا أيضا .. لكنه فى الواقع قرر عودتى لمجرد أننى خرجت للتجول فى لندن بدون إذنه !!

اجتاحت الأب موجة جديدة من القلق :

ـــ وماذا يعنى هذا التصرف ؟!

لكزته الأم فى كوعه مشيرة إلى السائق وهى تقول فيما يشبه التحذير :

ـــ إنها متعبة من السفر .. دعها تسترح الآن .. وسنتناقش فى كل شىء عندما نصل إلى البيت ..

ران الصمت على الجميع ما عدا صخب الانفعال والقلق والخوف داخل

عبد الحميد ، وحفيف إطارات العربة على الطريق . تابع عبد الحميد زحام العربات حوله بعينين شاردتين . فهو أدرى بصلابة ابنته وعنادها ! كان القلق ينهشه منذ أن ركبت اليخت من الإسكندرية ، وها هى الآن تعود بدونه !! وتدعى سببا غير مقنع على الإطلاق ! هل هى نذر الطلاق ؟! هل تجن أمل وتهدم كل ما كافح فى بنائه سنوات طويلة ، فى لحظات معدودة ؟!

قطع عم عبده حبل الصمت متسائلا وهو ينطلق فوق كوبرى أكتوبر :

ــ هل أذهب إلى قصر الهرم أم إلى بيت الجيزة ؟!

عاجلته الأم بإجابتها :

ــ بيتنا طبعا !

وأضافت أمل مؤكدة :

ــ لن أذهب إلى الهرم إلا فى أثناء وجود طلال بك !

أجاب عم عبده وأسنانه البيضاء تتألق وسط وجهه ذى السمرة الداكنة :

ــ تحت أمر السيادة ..

تدخل الأب فى الحوار دون تركيز لأمل :

ــ هذا هو ما اتفقت عليه فعلا مع طلال بك بعد أن كان قد اقترح علينا الانتقال جميعا إلى قصر الهرم . لكننى أقنعته بأن كل أعمالى واتصالاتى تتم فى بيتنا فاشترط أن تكونى معنا فى غيابه !

تذكرت أمل عندما قال طلال لها إن مهمة أبيها فى غيابه هى حراستها . لكنها لم تجد إجابة على السؤال الذى طاردها من لندن إلى القاهرة : حراستها م ؟؟ أو ممن ؟! سوى عدم ثقة طلال فيها التى تعكس عدم ثقته فى نفسه . إنه يتصور أنها ستسلم نفسها إلى أول شاب يقابلها !! قالت أمل فى تخابث :

ــ عنده حق .. فأنا لا أستطيع أن أعيش بدونه فى قصر الهرم !

وقفت العربة أمام باب العمارة . خرجت أمل وألقت بنظرة سريعة إلى

حديقة الحيوان حيث كانت الحيوانات قد هجعت فى أقفاصها وبيوتها . فقد كانت الساعة تقترب من العاشرة مساء . طار أبو قردان من شجرة إلى شجرة ملقيا فضلاته بالقرب من أمل التى ضحكت وقالت :

ـــ إنه يستقبلنى ويرحب بى بطريقته الخاصة !!

سألها عم عبده وهو يضع الحقائب على الطوار :

ـــ متى أحضر لسيادتك غدا ؟!

أجابته بابتسامة عذبة وهو تزيح شعرها إلى الخلف :

ـــ لن أحتاج إليك يا عم عبده إلا نادرا فى غياب طلال بك .. ولذلك أرجو أن تكون مواعيدك مع بابا !

حمل عم عبده الحقائب وسار خلفهم إلى المصعد . فتح الأب الباب ودخل الجميع . سألت أمل أمها مداعبة :

ـــ كيف حال بوسى ؟!

أجابت الأم والمصعد يقف عند الدور السابع :

ـــ إنها فى انتظارك ..

وبمجرد أن أدار الأب المفتاح فى ثقب الباب سمعت أمل مواء بوسى خلفه وارتطامها به من جراء قفزها عليه . دخلت أمل واحتضنت قطتها التى ظلت تلعق شعرها بلسانها وتصدر كركرة عالية فى حين أدخل الأب الحقائب قائلا لعم عبده :

ـــ شكرا يا عبده .. أريدك غدا فى الثامنة والنصف صباحا ..

عاد عم عبده إلى المصعد فى حين أغلق الأب الباب وأمل تصيح وهى تخلع فستانها الصوفى بعد أن وضعت بوسى على مقعد بجوارها :

ـــ أوحشنى كل شىء فى بيتنا !!

هرعت إلى غرفتها وبوسى فى أعقابها وأمها تصيح :

ــ ستصابين بالبرد هكذا !

صاحت أمل بدورها من الداخل :

ــ ليس هناك مثل جو مصر فى حنانه !

دخلت خلفها أمها فوجدتها بملابسها الداخلية . سألتها :

ــ هل أستطيع أن أطمئن على أن الأحوال على ما يرام ؟!

فهمت أمل مقصد أمها لكنها تخابثت متسائلة :

ــ لا أعرف ماذا تقصدين يا ماما ؟!

ــ إننى أعرف مقدار ذكائك الذى يجعلك تفهمين الكلام قبل النطق به !!

ابتسمت أمل وهى ترتدى بيجامتها الحمراء :

ــ لك أن تطمئنى ! فالأحوال على ما يرام !!

لم تسترح الأم لهذه الإجابة العامة فواجهتها مباشرة :

ــ هل هناك ضيف صغير قادم فى الطريق ؟!

أخذت أمل قطتها فى حضنها مرة أخرى :

ــ لا تكونى بهذا التفاؤل يا ماما !

دقت الأم على صدرها وشهقت :

ــ ماذا تقصدين ؟!

ــ إن الفارق فى السن بينى وبينه يكاد يصل إلى أربعين عاما !!

ــ إن الرجل يستطيع الإنجاب حتى السبعين !

ــ إنه من هواة الفرجة والمقويات !!

شعرت الأم أن ابنتها قد دخلت بها منطقة وعرة بعد أن فقدت براءتها الأولى وأصبحت تكلمها بلا خجل أو حساسيات كامرأة مجربة جريئة .

عادت بظهرها إلى الباب محاولة وضع اللمسة النهائية للحوار الشائك :

ــ على كل حال .. أريد ألا تخرجى من المولد بلا حمص .. ضعى هذه

النصيحة كحلقة فى أذنك .. وأنا أدرى الناس بقدراتك .. فعندما تنوين على شىء .. لا تقف فى طريقك عقبة !!

جاء الأب ووقف خلف الأم قائلا :

— هل ستقضيان الليل بطوله فى الثرثرة بعيدا عنى ؟!

هرعت أمل إلى حيث أمها وأبيها :

— سأتمتع بصحبتكما قبل أن آخذ حماما وأنام !

خرج ثلاثتهم إلى الأنتريه . جلست أمل فى مواجهتهما فى حين قبعت بوسى فى حجرها وهى تكركر متظاهرة بالنوم العميق . قال الأب لابنته :

— لن أطيل عليك .. فأنا أعرف أنك متعبة ومرهقة من السفر .. لكننى أريد أن أطمئن عليك وعلى مستقبلك .. هل حدث سوء تفاهم بينك وبين طلال ؟!

قالت أمل بحسم لم يألفه أبوها فى لهجتها من قبل :

— لم يحدث شىء غير ذلك الذى حكيت لك عنه !

— وهل يعقل أن يعيدك بمفردك إلى مصر لمجرد خروجك لشم الهواء ؟!

تضاعفت نبرة الحسم فى ألفاظها الواضحة المحددة :

— إننى لا أكذب عليك !!

تفادى الأب المواجهة الحرجة التى فاجأته بها أمل متسائلا :

— ألم يقل لك متى سيعود ؟!

أجابت على سؤاله بسؤال جديد :

— ألم يقل لك فى محادثته التليفونية معك ؟!

— لم يحدثنى سوى عن ميعاد عودتك وعن بعض التعليمات الخاصة بالعمل !

— وأنا أيضا أصدر لى أوامره بالعودة .. و لم يزد كلمه واحدة على ذلك !

ــ ألم تسأليه عن ميعاد عودته ؟!

ــ قال لى بصراحة إننى لا أملك الحق فى سؤاله عن حركاته أو سكناته !

عندئذ لم تستطع الأم أن تمسك عن الكلام :

ــ إن من حق الزوجة على زوجها أن تعرف كل شىء عنه !!

تساءلت أمل فى سخرية :

ــ تتكلمين عن الزوجة ؟!!

شهقت الأم وهى تدق على صدرها :

ــ ألست زوجته ؟!

أجابت أمل وكأنها تحاول استفزازها :

ــ لا !!

تضاعفت الشهقة المتسائلة :

ــ هل طلقك ؟!

أجابت بنفس الهدوء الاستفزازى :

ــ لم يحدث !!

كان الأب يرقب الحوار بقلب تعالت دقاته وبعينين زاغت نظراتهما :

ــ إن ردودك كالألغاز يا أمل .. تحدثى بوضوح وصراحة !!

قالت أمل بمنتهى الوضوح :

ــ إن عقد الزواج لا يصنع من رجل وامرأة زوجين !!

قفزت الحيرة من عينى الأم :

ــ لا زلت تتكلمين بالألغاز ؟!

أجابت أمل بنفس الاتزان :

ــ الزواج حياة متكاملة وليس مجرّد حبر على ورق ؟

سألها الأب بعصبية حاول كتمانها :

— هل تقصدين أنه لا يعاملك معاملة الزوج لزوجته ؟!

— إننى فى نظره لست سوى جارية من الجوارى اللاتى مر وسيمر بهن فى حياته العريضة !

تبادل الوالدان نظرات كسيرة فقالت الأم :

— إنه لن يجد فى مثل جمالك وشبابك وذكائك ؟!

أشاحت أمل بوجهها بعيدا :

— إننى لا أريد عزاء من أحد ! فأنا الآن أدرك أبعاد واقعى كاملة وأتصرف على أساسها ! لقد مضى زمن الأحلام الوردية بلا عودة !

سألها الأب فى لهفة :

— وهل فى ذهنك أفكار محددة ستتصرفين على أساسها ؟

— سأبدأ دراستى الجامعية بإذن الله !

تأكد الأب من صحة مخاوفه التى ظلت تنهشه منذ زواج ابنته . قال والإحباط يأخذ منه كل مأخذ :

— ألم نتناقش فى هذا الموضوع من قبل ووصلنا إلى قرار حاسم بشأنه ؟

— إننى أعلم كل المخاوف التى تنتابك يا بابا .. لكننى أطمئنك .. لقد تعلمت كيف أنفذ ما يدور فى ذهنى دون صراعات أو مواجهات نحن فى غنى عنها !

— تقصدين أنك ستواصلين دراستك دون علمه ؟!

— نعم !

— وماذا لو عرف ؟! إنه لن يسمح لأحد بأن يخدعه !

— إن فترات غيابه أطول بكثير من فترات وجوده بمصر .. وعندما يأتى فلك على أن ألزم عقر دارى !

— وهل سيستمر هذا الوضع إلى ما لا نهاية ؟! إنه وضع محفوف بالمخاطر !

ـــ إن الإنسان يعيش مع الخطر فى كل لحظة من حياته .. ألم يكن من الممكن أن تسقط بى الطائرة اليوم ؟! لقد هاجمنى هذا الخاطر عدة مرات منذ طيرانها من لندن وحتى دخولها المجال الجوى المصرى حين انشغل ذهنى بخواطر أخرى ؟

لم تمسك الأم لسانها عن التدخل :

ـــ بعد الشر يا روحى .. سلامتك ألف سلامة !

نهض الأب من مقعده فى استسلام وهو يقول لأمل :

ـــ حفظك الله يا حبيبتى من كل سوء .. لكن عليك أن تأخذى حذرك من عم عبده ودادة زبيدة على وجه الخصوص .. إذ يبدو أن طلالا قد جعل منها عينا عليك !!

ـــ وما الذى جعلك تعتقد هذا يا بابا ؟!

ـــ سألت عليك اليوم كما لو كانت تعرف ميعاد وصولك .. وقالت إنها ستمر عليك من حين لآخر لأداء أية خدمة تطلبينها منها .

أضافت الأم :

ـــ ولترصد حركاتك وسكناتك فى الوقت نفسه !!

طغت الثقة على نبرات أمل :

ـــ لا داعى للخوف .. فأنا أعرف المنطق الذى سأتعامل به مع عبده وزبيدة .. إنهما لا يفهمان غير لغة واحدة شاهدت طلالا وهو يتعامل بها معهما ..

سرعان ما فهم الأب قصد ابنته :

ـــ وهل يمكنك أن تدفعى لهما ما يدفعه طلال ؟!

ـــ هل نسيت يا بابا نصيحتك لى بأن أعمل على تأمين مستقبلى ؟!

عاد الأب إلى الجلوس مرة أخرى وهو يرى ابنته فى ضوء جديد تماما . فى

هذه السن الصغيرة ورثت عنه روح رجل الأعمال الذى يقيس كل شيء بمقياس الربح والخسارة . حاول جس نبضها :

— يبدو أن خوفى عليك لم يكن فى محله !! فمن الواضح أنك تعرفين جيدا كيف تعاملينه ؟!

تحمست أمل للثقة التى ظهرت فى كلمات أبيها :

— إذا كان طلال قد اشترى شبابى بماله .. فإن من الحمق والغباء أن أتذرع بالمثالية وأرفض الحصول على المقابل .. بل وعلى أكبر مقابل ممكن .. فابنتك ليست بالرعونة التى قد تظنها !!

نهض الأب وقبل ابنته فى وجنتها داعيا لها بالحظ السعيد ، فقالت وهى فى أوج ثقتها بما تفعله :

— لقد أفهمته بعد أيام قلائل من زواجنا دون أن أفتح فمى بكلمة أننى لن ألبى أية رغبة له إلا إذا كان لها مقابل .. وعندما هددنى مرة بضربى بالسوط إذا لم أرضخ !! أفهمته أن التمنع والدلال من طبيعة الأنثى .. وأن الضرب من شيم العاجز !!

ذهل الأب للتغير الذى طرأ على ابنته وجعلها تتكلم كما لو كانت امرأة مجربة فى الأربعين ، نهض وكأنه ينهى الحوار الشائك :

— لا داعى للضرب على هذه النغمة .. فالشك جزء من طبيعته .. ويمكن أن يظن بك الظنون !

— إننى أستمد الحكمة من ثقافتى !

— لن يخطر هذا على باله !

— لا تخف يا بابا .. فأنا لا أكرر نفسى !!

قال الأب وهو يتجه إلى غرفته :

— سأتركك الآن لتستحمى وتنامى.تصبحين على خير ..

— وأنت من أهله يا بابا ..

دخل الأب غرفته فى حين قالت الأم لأمل :

— أما أنا فسأنتظر فى مكانى حتى تخرجى من الحمام !

— لا داعى لهذا السهر والتعب يا ماما !

قالتها أمل وهى تنهض مقبلة أمها التى أشارت فى اتجاه الحمام مداعبة إياها :

— تفضلى .. لا تضيعى وقتا .. فلولا الملامة لأخذتك فى حضنى الليلة .. إننى أريد أن أعرف كل شىء دقيقة بدقيقة ..

ضحكت أمل وهى فى طريقها إلى الحمام :

— لا تتعجلى يا ماما .. فسأحكى لك من الأساطير ما لم يكن يخطر على بالك .. عن إذنك .

دخلت أمل الحمام مغلقة الباب خلفها ، فى حين قبعت بوسى خارج الباب . تخلصت من بيجامتها الحمراء . كان جسدها قد اغتسل بعرقها فى المسافة بين المطار والبيت ، ثم جف العرق فأثار داخلها إحساسا غير مريح . تخلصت من كل ملابسها وألقت بنفسها فى مياه البانيو الساخنة المعطرة فاستمتعت بلمساتها وهى تتساءل دون أن تفتح شفتيها :

— ألم يخطر ببال طلال فى يوم من الأيام أن يتعلم من المياه فن اللمسات ؟!

٧

دقت ساعة الجامعة التاسعة صباحا حين عبرت أمل الشارع العريض وسارت بحذاء سور حديقة الحيوان إلى أن وجدت نفسها فى مواجهة تمثال نهضة مصر . وقفت لحظات أمامه وكأنها تراه لأول مرة برغم مرورها عليه آلاف المرات منذ طفولتها . لا تعرف لماذا شعرت بحب جارف للفلاحة التى أيقظت أبا الهول حتى يرى نهضة مصر الحديثة ؟! تذكرت طلالا فأسرعت صوب الجامعة التى شمخت قبتها وسط السحب . كانت الأتوبيسات والسيارات وجماعات الطلبة والطالبات مثل نهر بلغ مصبه عند ميدان الجامعة فتفرعت مياهه حول النصب التذكارى لشهداء الجامعة الذين ضحوا بحياتهم من أجل تحرير مصر من الاحتلال الأجنبى .

دق قلب أمل بسرعة عنيفة وهى تدور حول النصب التذكارى محاولة قراءة بعض أسماء الشهداء لكنها كادت أن تتلاشى بفعل الأمطار والرياح والأتربة والرمال . دخلت من الباب الحديدى الكبير واتجهت يمينا إلى كلية الآداب . لاحظت أن فستانها الأخضر الأنيق وحذاءها البنى اللامع المتناغم مع حقيبة يدها ونظارتها الشمسية ، قد جعلا منظرها نشازا وسط معظم الطالبات اللاتى سرن حولها فى ملابسهن المتواضعة وبوجوههن الشاحبة . صحيح أنها زاملت فى المدرسة الثانوية طالبات ترك الفقر والجوع بصمات غائرة على نظراتهن ، لكن الزى المدرسى الموحد كان قادرا على إخفاء الكثير من الفوارق الطبقية والاقتصادية . أما فى الجامعة فيبدو أن لغة الأزياء أصبحت اللغة المفضلة عند أبناء وبنات الطبقات الموسرة الصاعدة . رأتهم أمل وهم يتركون سياراتهم الفاخرة حيثما اتفق فى حين كانت الأتوبيسات تتقيأ وجوها

منهكة هزيلة تلهث صوب باب الجامعة .

شعرت أمل بالعزلة والغربة وهى تدخل مبنى الكلية عندما عجزت عيناها عن مصافحة وجه واحد تعرفه . سألت أحد الطلبة عن جدول السنة الأولى فى قسم الفلسفة فاصطحبها إليه وهو يخبرها بأنه فى نفس السنة . كان رقيقا لطيفا مهذبا . وبرغم مظهره المتواضع وحاله الرقيقة ، أطلت الكبرياء من عينيه العسليتين الحادتين ، والإصرار من شفتيه وفكيه . وقف الاثنان أمام لوحة الجدول المعلق على الجدار حيث تاهت عينا أمل بين أسماء المواد والأساتذة وأرقام المدرجات . ابتسم زميلها قائلا :

ـــ لا تجهدى عينيك .. إننى أحفظ الجدول عن ظهر قلب .. ولن تبدأ المحاضرات اليوم قبل الحادية عشرة .. أما أنا فقد جئت مبكرا للاطلاع على بعض المراجع فى المكتبة ..

استراحت أمل لروحه اللطيفة التى تزيح الحواجز دون تصنع أو تكلف ، كما لاحظت أنه لم يتأمل جسدها أو حتى ملابسها كعادة من قابلتهم من الرجال وخاصة زوجها ، بل كان يخاطبها كما لو كانت زميلا له يرتبط معه بكل أواصر الصداقة . قالت له :

ـــ لن أعطلك عن اطلاعك !

ابتسم قائلا فى دعابة رقيقة :

ـــ أبدا .. فأنا أفضل جو الجامعة والمكتبة على بيتنا الذى لا يحتمل !!

لم تستطع أمل أن تمنع نفسها عن التساؤل :

ـــ لماذا ؟!

ـــ إن أسرتى تعيش فى شقة متواضعة فى أحد أزقة ميت عقبة .. إنها أحد الأحياء الشعبية القريبة من إمبابة والتى ترفع شعار الانفجار السكانى وتطبقه بلا هوادة !!

كانت أمل على وشك أن تنفجر ضاحكة لكنها تماسكت فى إعجاب بثقته بنفسه وعدم خجله من أسرته ومنبته . وقالت :

ـــ إن الانفجار السكانى مشكلة مصر كلها .. وليست مشكلة حيكم فقط !

استمر بنفس روحه المرحة المنطلقة :

ـــ لكن يبدو أحيانا أن كل لعنة تحمل فى طياتها بركة لا يقتنصها سوى الحكيم ؟!

امتزج التساؤل بالابتسام على وجهها :

ـــ كيف ؟!

ـــ فى كل أوقات فراغى كنت أهرب من شقتنا المظلمة الضيقة وحينا الرطب المتفجر إلى المكتبات العامة لأنهل من شتى فروع المعرفة لدرجة أننى لم أعد أشعر بالظلام أو الضيق أو الرطوبة أو الانفجار السكانى !

ضحكت ضحكة عابرة وهى تشعر بألفة غريبة نحوه . قالت :

ـــ وأنا أيضا من عشاق الثقافة والمعرفة .. لم يقع فى يدى كتاب إلا وقرأته من الغلاف إلى الغلاف !

ـــ ويبدو أن هذا هو الدافع وراء اختيارنا لقسم الفلسفة بالذات ؟!

ـــ فعلا !!

تساءل مبتسما فيما يشبه الحرج :

ـــ لكننى لم أعرف اسم حضرتك حتى الآن ؟!

بادلته الابتسام :

ـــ اسمى أمل .. أمل عبد الحميد المصرى ..

قال بجدية محببة :

ـــ وأنا اسمى جلال عبد اللطيف ..

ابتسمت متجاوبة مع رقته العذبة :

ــ أهلا وسهلا ..

ــ أهلا بك .. إنها فرصة سعيدة .. لكن هل لى أن أسألك عن السبب فى تخلفك عن الدراسة لمدة تزيد على شهر ؟!

ــ كنت مسافرة إلى الخارج مع زوجى .. و لم أعد إلا أمس !

نظر إلى خاتم الزواج فى أصبعها وقال :

ــ لاحظت الخاتم منذ أول وهلة .. فرجوت الله أن يعينك على التوفيق بين مسئوليات الزواج ومسئوليات الدراسة !!

شعرت أنه أخ حميم تعرفه منذ الصبا المبكر . تجمع بعض الطلبة حول الجدول فأفسح لهم جلال مكانه مما جعل أمل تتحرك بدورها إلى جواره . نظر إلى ساعة يده التى علاها بعض الصدأ وقال :

ــ أمامنا ساعة ونصف قبل بدء المحاضرة الأولى .. فهل تحبين الذهاب معى إلى المكتبة ؟!

ــ لا مانع عندى !

ــ لكننا سنضطر إلى الهمس حتى لا نزعج الجالسين !

ابتسمت له وسارا فى اتجاه المكتبة . سألته قبل الدخول :

ــ وماذا عن نسبة الغياب ؟!

أجابها وهو يدخل صوب قاعة الاطلاع الكبرى :

ــ من حسن حظك أن أساتذتنا قالوا لنا فى بدء العام إن الالتحاق بقسم الفلسفة يجب أن يكون بدافع الحب .. ولذلك فهم لا يرحبون بمن يحضر فقط خوفا من نسب الغياب . وكانت النتيجة أن الحضور فى كل السنوات أصبح فى غاية الانتظام مع توفير الوقت الذى كان يضيع فى رصد أسماء الغائبين ..

ارتاحت أمل للغاية . فقد كانت نسبة الغياب من أسباب قلقها منذ

زواجها . ذهب الاثنان إلى ركن قصى . أحضر جلال مرجعين من فوق الرف : أحدهما فى الفلسفة الإسلامية والآخر فى الفلسفة اليونانية . وضع الأول أمامها ، جلس إلى جوارها وفتحه مشيرا إلى الفصل الثانى وهو يهمس :

— ستكون أول محاضرتين اليوم عن هذا الفصل .. حاولى الإلمام به حتى تستعدى لما سوف يقال !

— وأنت .. ألن تقرأه ؟!

— إننى انتهيت من المرجع كله منذ أسبوعين .. وعلى وشك الانتهاء من تاريخ الفلسفة اليونانية !

انهمك جلال فى القراءة فى حين لم تستطع أمل أن تمنع نفسها من تأمله من طرف خفى . إنه يكبرها فى السن بشهور قليلة أو سنة على أكثر تقدير . ومع ذلك فإن فكره فى منتهى النضج وسلوكه فى قمة الرقة والتحضر برغم فقره ومعاناته . إن ألغاز الحياة لا تنتهى وليست بعيدة عنا ، فقد توجد فى أقرب الناس إلينا . رفع عينيه تجاهها فضبطها وهى تتأمله فغطت حمرة الخجل وجهها . سألها ببساطة هامسة :

— هل فكرت فى المحاضرات التى فاتتك ؟!

— سأحاول نقلها من أى زميل أو زميلة ..

ابتسم وقد علا همسه قليلا :

— لو كنت أعرف لكتبت محاضراتى من أصل وصورة .. على كل حال تستطيعين استعارة مذكراتى وهى مكتوبة بطريقة منظمة وأعتقد أن خطى جميل سيسهل من مهمة النقل التى يمكننى مساعدتك فيها إذا استغرقت منك وقتا طويلا !!

حاولت الرد السريع لكنها تلعثمت . فقد كانت شخصيته الرقيقة العذبة طاقة مفجرة لكل المشاعر المرهفة داخلها والتى دفنتها بزواجها من طلال .

صحيح أن الثقافة من أروع نعم الله على الإنسان . إنه يتخطى بها كل العقبات التى اصطنعها البشر للتفرقة بين طبقاتهم ومجتمعاتهم .. رأته فى انتظار إجابتها فلملمت شتات فكرها واستدركت :

— فى الحقيقة يا جلال .. واسمح لى أن أناديك باسمك بعيدا عن الرسميات .. إننى لم أعرفك إلا منذ نصف ساعة فقط .. لكننى أشعر أنك أخ كريم أعرفه منذ الطفولة .. ويبدو أن هذا من حسن حظى ..

قال دون أن يرفع عينيه عن المرجع أمامه :

— إن عشاق الثقافة والفلسفة فى العالم كله أصدقاء وإخوة حتى لو لم يحدث بينهم لقاء .. ولذلك فأنا صديق وأخ لأعظم من أنجبتهم البشرية ابتداء من حكماء مصر القديمة حتى آخر الفلاسفة والمفكرين والفنانين المعاصرين . إنهم أقرب إلىّ من أفراد أسرتى ومن جيراننا فى ميت عقبة ..

كان حدسها صادقا منذ البداية . إنه شاب من طينة مختلفة . هذبته ثقافته فأصبحت جزءا لا يتجزأ من كيانه . قالت بنبرات تنبض بالاحترام والإجلال :

— إنك أول إنسان أقابله يرى فى الثقافة وجوده ورسالته فى الحياة !!

— الثقافة هى السلاح الوحيد المضاد لروح القطيع التى لا يحمى الإنسان منها غنى أو فقر .. فإذا كان الأغنياء يتميزون عن الفقراء بثرائهم ، فإنهم لا يختلفون عنهم فى روح القطيع التى تفرق البشر إلى قبائل وقطعان !

كانت أمل فى غاية الاعتزاز بثقافتها إلى أن قابلته . إن ثقافته مرعبة فى عمقها . فقد انتقل فى هذه السن الصغيرة من مرحلة التفكير إلى مرحلة الفكر . صحيح إنها تعرف أشياء كثيرة عن أشياء كثيرة لكنها لم تصل — مثله — إلى تكوين نظرتها الخاصة إلى المجتمع والحياة والكون . ابتسمت هامسة :

— لابد أنك كنت من أوائل الثانوية العامة ؟!

بادلها الابتسام الهامس :

— أبدا على كثرة قراءاتى .. كنت أؤجل الكتب المقررة إلى آخر شهر فى السنة !!

— أليست مثل الكتب التى تفضلها عليها ؟!

— إنها كتب محشوة بالمعلومات وتهدف إلى حشو عقولنا بها .. ولذلك لا تترك فراغا فيها لحرية التفكير .. والحضارة لا تزدهر بحشو المعلومات أو نقلها وإنما بتجديد الفكر وتطويره ..

لم تشأ أمل أن تخبره بأن ترتيبها كان السابع فى الثانوية العامة . إنها أمام فيلسوف صغير لم يسمع عنه أحد بعد . جعلها — من حيث لا يدرى — تشعر بضآلة ثقافتها التى كانت تعتز بها كثيرا . إن كل سؤال ألقته عليه دفعه إلى الرد بنظرية تحمل فى طياتها عصارة الفكر الإنسانى . إنه يشكل بالنسبة لها تحديا جديدا وإن كان من نوع مختلف تماما . آثرت الصمت وقد أضمرت فى نفسها قبول التحدى . إنها الآن تملك المال ويمكنها شراء كل الكتب التى طاردها هو فى المكتبات العامة . نظرت إليه مرة أخرى من طرف خفى فوجدته منهمكا بعينيه بين صفحات المرجع ، فانهمكت بدورها . اخترقت ساعة الجامعة بدقاتها صمت قاعة المكتبة . نظرت أمل إلى ساعتها الذهبية المرصعة بشرر الماس الدقيق فوجدتها العاشرة . عادت عيناها إلى الجرى على السطور وفيما بينها إلى أن سمعت شهقة مكتومة تقول :

— غير معقول !!

نظرت تجاه مصدر الشهقة فوجدت صديقة عمرها وفاء واقفة قبالتها فى بنطلونها الجينز الضيق وبلوزتها البيضاء الفضفاضة وحقيبتها الصغيرة المعلقة على كتفها ومحملة ببعض الكتب والكراسات . دون أن تنبس ببنت شفة

نهضت محتضنة وفاء ، وجلال يراقب المشهد الذى انتزعه من بين سطوره .

ـــ متى وصلت ؟! هل أنا آخر من يعلم ؟! لماذا لم تتصلى بى ؟ هل نسيت رقم تليفونى ؟! هل هانت عليك عشرة العمر ؟! أما أنا فلم تهن علىّ ؟!

لم تحر أمل جوابا فى وجه هذا الطوفان من الأسئلة ، لكنها انتهزت فرصة كانت فيها وفاء تلتقط أنفاسها وسط القبلات والأسئلة فقالت :

ـــ وصلت بالأمس فقط فى العاشرة مساء .. و لم أتصل على أمل أن أراك اليوم وقد حصل !

نظرت وفاء إلى جلال باسمة حيث وقف إلى جوار أمل وقالت :

ـــ ألا يوجد فى الجامعة من لا يعرف فيلسوف الغبراء ؟!

تساءلت أمل فى دهشة :

ـــ من هو فيلسوف الغبراء ؟!

أشارت وفاء إلى جلال ضاحكة فابتسمت أمل قائلة :

ـــ عرفته منذ ساعة واحدة فقط !!

تدخل جلال موضحا فى دعابة :

ـــ لقد أطلق علىّ أحد الأساتذة هذا اللقب لأننى أحاول أن أناقش كل القضايا التى تثار فى المحاضرات !

استمرأت وفاء مداعبتها له :

ـــ لكنك بمناقشاتك تعوق الزحف المقدس .. وتمنع الطلبة من كتابة أكبر قدر مما يقوله الأساتذة !!

أشاح جلال بوجهه بعيدا :

ـــ إنهم كتبة ومسجلون وليسوا طلبة علم !

أعاد جلال المرجعين إلى مكانيهما فوق الرف وعاد يقول :

ـــ هيا بنا من هنا .. فربما تضايق الحاضرون من صوتنا العالى !

تحركت أمل وإلى جوارها وفاء وخلفهما جلال . خرج ثلاثتهم إلى الحديقة التى افترشها ضوء الشمس فأخرجت أمل نظارتها الشمسية من حقيبتها ووضعتها على عينيها . ساروا حول مبنى الكلية يتبادلون الطرائف والملح والذكريات والتعليقات . لكن وفاء قالت لأمل إن مغامراتها فى أوروبا تحتاج إلى جلسة خاصة فى البيت ، فأمنت على كلامها . ومع اقتراب الساعة من الحادية عشرة توجهوا إلى المدرج الذى لفظ طلبة وطلبات المحاضرة السابقة . كان الصفان الأولان قد تم حجزهما بالكراسات والكتب ، فجلسوا فى منتصف الصف الثالث ، جلال على يمين أمل ووفاء على يسارها . تأملت أمل المدرج الكبير بإعجاب بدا فى عينيها ، ولاحظه جلال الذى قال :

— فى هذا المدرج كان طه حسين يلقى محاضراته !

ردت أمل فى سعادة غامرة :

— إذا .. نحن فى مكان تاريخى !

قال جلال وهو ينظر إلى الطلبة الذين توافدوا واكتظ بهم المدرج :

— إن مصر التى أنجبت طه حسين قادرة على إنجاب عشرات غيره !

علا ضجيج الطلبة الذى لم يخفت إلا بدخول الأستاذ وبدء المحاضرة التى تابعتها أمل بشغف وإن كانت بعض الاصطلاحات الفلسفية قد غمضت عليها ، لكنها خجلت من السؤال لتأكدها من قدرة جلال على شرح معانيها لها .

كان اليوم مزدحما بست محاضرات انتهت فى الخامسة مساء . لم تكن أمل قد اعتادت بعد هذا الإجهاد لدرجة أنها لم تستوعب بعض الأفكار فى المحاضرة الأخيرة ، كانت متعبة لكن سعيدة لدرجة النشوة . حيت جلالا مودعة عند البوابة الحديدية الضخمة وسارت مع وفاء فى اتجاه تمثال نهضة مصر . وعدتها وفاء بمساعدتها فى نقل المحاضرات التى فاتتها وعند مدخل العمارة ودعتها

وسارت فى طريقها صوب النيل حيث يقع مسكنها .

بمجرد أن وضعت أمل المفتاح فى ثقب الباب فوجئت بأمها تفتحه من الداخل وتسر فى أذنها :

ــ دادة زبيدة هنا .. وقد تركتها فى المطبخ مع حفيظة لأفتح لك الباب بمجرد أن سمعت صوت مفتاحك .. لقد قلت لها إنك ذهبت مع صديقتك وفاء التى أتت وأخذتك إلى بيتها لتناول الغداء معها ..

ردت أمل هامسة :

ــ ألم تجدى يا ماما عذرا غير ذلك .. إننى أكاد أموت جوعا !!

ــ هذا ما حدث .. وارجو ألا يفلت لسانك بكلمة فأبدو كاذبة !

ــ لا تخافى ..

دخلت أمل المطبخ وخلفها أمها . نهضت زبيدة مرحبة مهنئة بسلامة الوصول وهى تحتضنها بذراعيها المختفيتين تحت طرحتها البيضاء . تخلصت منها أمل برقة ولعابها يسيل داخل فمها عندما رأت قطع اللحم المشوى المتبقية بعد الغداء . لكنها تذكرت أنها تناولت غداءها عند وفاء . قالت زبيدة :

ــ وجدت نفسى بلا فائدة فى قصر الهرم .. فطلبت من الأسطى عبده أن يحضرنى هنا لأية خدمة يمكن أن أقوم بها .. فقد أوصانى طلال بك وأرجو أن أكون عند حسن ظنك ..

ردت أمل بمنتهى التحفظ :

ــ أنت دائما يا دادة زبيدة عند حسن ظننا .. وعندما أحتاج إليك سأطلب من عم عبده إحضارك ..

ــ إننى لا أستطيع أن أقصر فى وصية طلال بك .. ولذلك سأحضر كل يوم حتى أكون دائما فى خدمتك ..

تأكدت أمل أن ظن أبيها كان فى محله فيما يتصل بزبيدة . دست يدها فى

حقيبتها ونفحتها مبلغا كبيرا فى يدها . حاولت زبيدة التمنع فى أول الأمر لكنها سرعان ما دست المبلغ فى صدرها تحت الطرحة وهى فى قمة الإحساس بالانتصار . فقد اكتشفت غياب أمل عن المنزل إلى ما بعد الخامسة مساء ، ثم جاء هذا المبلغ رشوة لالتزام الصمت . لكن هذا يتوقف على أى الطرفين سيدفع أكثر وإن كانت كفة طلال بك ستكون الراجحة فى معظم الأحوال .

جاءت بوسى مسرعة وتمسحت فى ساق سيدتها رافعه ذيلها حبـورا بعودتها . حملتها أمل وغادرت المطبخ وكل أملها أن تغادر زبيدة البيت بأسرع ما يمكن حتى لا تظل اليوم بطوله دون طعام . لكن بمجرد استرخائها على سريرها وعلى صدرها الناهد قبعت بوسى ، حلت النقمة داخلها مكان الجوع وصدر من أعماقها صوت يقول فى حيرة متسائلة :

— أهناك هوان أسوأ من أن تعمل ألف حساب لمربية عجوز مثلها ؟!

٨

كانت أعز أمنيات أمل ألا يحضر طلال إلى القاهرة فى وقت الامتحانات التى لا يمكن أن تتغيب عنها . ففى أيام الدراسة العادية يمكنها التغيب كما تشاء فهناك جلال ووفاء لسد هذه الثغرة . ومن حسن حظها أن طلالا كان قد اتصل بها وبأبيها أكثر من مرة ، وفى كل مرة كانت موجودة لتلبى النداء ، وتبثه لواعج الهوى وسط ذهول أمها التى لم تعرف من أين حصلت ابنتها على كل هذه الخبرة والحنكة فى معاملة الرجال ؟! كذلك لم تعد أمل تعبأ بدادة زبيدة ، لدرجة أنها توقفت عن منحها أبة هبات مما قلل من مرات ترددها بالفعل ، وإن كانت لم تتوقف عن أسئلتها الخبيثة المسمومة .

سارت الدراسة على ما يرام . فقد تمكنت أمل من اللحاق بزملائها ، بل وقلدت جلالا فى الانتهاء من المراجع واحدا بعد الآخر حتى تكون على أتم استعداد لاستيعاب ما سيقال فى المحاضرات حتى نهاية العام . واستغرقتها الدراسة تماما لدرجة أنها لم تعد تتذكر طلالا إلا عندما يتصل تليفونيا . لكنه عاد ليجثم على كاهلها كالكابوس عندما أخبرها أنه قادم إلى القاهرة فى أوائل يناير لقضاء الشهر كله معها هربا من صقيع أوروبا . كانت هناك بعض الأبحاث المطلوب تقديمها فى يناير فأسرعت أمل وسهرت الليالى حتى أتمت أبحاثها فى أواخر ديسمبر وقدمتها إلى الأساتذة المعنيين ، فظن بعضهم أنها قدمت بدافع العجلة والبعض الآخر اعتبرها طالبة مجدة نشيطة ، لكن الجميع شهدوا لها بعد الاطلاع على ما كتبته أنه من أفضل الأبحاث التى قدمت إليهم .

جاء يناير ومعه طلال فانتقلت أمل معه إلى قصر الهرم حيث العزلة والوحشة بعيدا عن دفء والديها . لكنها أخذت معها كتبها ومراجعها التى

لا تفارقها منذ عودتها من أوروبا . كانت قد اشترتها قبل زواجها وأودعتها فى فيلا الهرم على أساس أنها مجرد كتب للاطلاع والتسلية ، لأنها كانت تظن فى البداية أنها ستستقر نهائيا فى الهرم . لكن بمجرد عودتها اصطحبت عم عبده وأحضرتها إلى شقة أبيها . وها هى الآن تعود بها إلى الهرم مع تأكيدات أبيها وتوصياته الحارة بإخفائها بعيدا عن أعين زوجها .

كانت أمل على حق . فلم يكن طلال يقضى سوى الليل معها . وأحيانا كان يعود إلى البيت قرب مطلع الفجر والخمر تفوح من فمه معلنة أين قضى السهرة ؟! لم يكن يخبرها عن حركاته وسكناته ، وهو أمر اعتادته ، لكن حدسها الذى لا يخيب أكد لها أنه على علاقة بشلة من الفنانين الذين يقضى معهم سهراته فى ملاهى شارع الهرم . وكانت مكالماته التليفونية ومواعيده التى يحددها أصدق مؤشر على حركاته تماما . ولذلك كانت على حق عندما أخذت كتبها ومراجعها معها . فقد كانت خير جليس لها ، لدرجة أنها انتهت من كل كتب ومراجع المنهج كله بانتصاف شهر يناير .

وذات ليلة نامت أمل سعيدة لانتهائها من تاريخ الفلسفة الإسلامية التى تشكل أضخم مرجع لديها . كانت تحلم بالكلية والامتحان ووفاء وجلال عندما شعرت بيد تهزها بعنف فنهضت فى فزع . رأته يجلس إلى جوارها وقد تحول بياض عينيه إلى حمرة مخيفة وسوادهما إلى كرتين زائغتين ، فى حين كانت لحيته الصغيرة الملتصقة أسفل ذقنه ترتعش ارتعاشات دقيقة تكاد لا ترى إلا من قرب ، سألته وهى تدعك عينيها :

— كم الساعة الآن ؟!

— لماذا تسألين عن الساعة ؟! إن الوقت لا يهمنى فى كثير أو قليل !!

نظرت إليه فى رعب وهو يجذبها من ذراعها بقسوة قائلا :

— هيا !!

— هيا ماذا ؟!

— أريدك أن تقدمى لى عرضا مثل ذلك العرض الذى قدمته الراقصة الشقراء الفاتنة فى المولان روج فى باريس ! إننى لا أستطيع نسيانه !!

— تقصد التجرد من الملابس قطعة قطعة ؟!

— هذا هو ما أقصده تماما .. هيا .. لا تضيعى الوقت !!

قالها وذهب لإدارة المسجل ذى السماعات المتعددة والمختفية فى قطع أثاث الغرفة ، فعلا صوته لدرجة أن أحالت غرفة النوم إلى ملهى ليلى . وضعت أمل يديها على أذنيها وصاحت :

— سوف يستيقظ الجيران !!

عاد إليها مترنحا وجلس إلى جوارها :

جيرانك الأفاضل لا يحلمون بجار مثلى !! هيا !!

جذبها من صدر قميص نومها فقالت والرعشة تسرى فى جسدها :

— إن الطقس بارد وربما أصابتنى الإنفلونزا !

— ولماذا لم تديرى جهاز التكييف ؟!

— إننى لا أحب التدفئة المصطنعة !!

— قولى إنك لم تتعودى عليها ؟!

— فى بيت أبى ثلاثة أجهزة للتكييف !

— كلها من خيرى وفضلى عليكم ! أنسيت ماذا كان يعمل أبوك قبل أن أعينه عندى ؟! إذا لم يكن قد حكى لك ففى إمكانى أن أقص عليك تاريخ عائلته الكريمة ؟!

— لا داعى فأنا أعرفه بكل تفاصيله !

قالتها أمل باندفاع ندمت عليه . فقد كان من الممكن أن تتركه يقص عليها التاريخ الطويل لعله ينسى ما هو بصدده ، مثل كلب تلقى إليه بعظمة عارية

من اللحم لينشغل بها ويسكت عن النباح . لكنها لم تكن فى قمة وعيها بعد أن أيقظها بهذا الأسلوب الهمجى . نهض طلال وأدار جهاز التكييف على أعلى درجات التدفئة وعاد إليها بنفس الترنح قائلا بنبرات توحى بالوعيد هذه المرة :

ــ هيا .. حتى لا تكون لديك أية حجة أخرى !

حاولت مداعبته كسبا للوقت فأمسكت يده برقة وهو يجلس إلى جوارها :

ــ إن لحيتك تجرح بشرتى كالأشواك !!

انتزع يده منها بعنف :

ــ تقولين هذا للمرة الثانية !! إياك أن تعودى إلى ذلك مرة أخرى !! لن أحلقها من أجل سواد عينيك !!

استدركت بمزيج من الأسف والخوف :

ــ متأسفة .. لم أقصد شيئا يجرح شعورك !!

قال وهو يركز عينيه الزائغتين على حقيبته الصغيرة ذات الأرقام التى لا يعرفها أحد سواه :

ــ هل سنظل حتى الصباح على هذا الوضع السخيف ؟!

انتهزت أمل فرصة حالة السكر التى غرق فيها حتى أذنيه وأرادت أن تعبر عما عجزت عنه من قبل . تلعثمت لكنها قالت :

ــ لابد أن تعلم يا طلال أن هناك فرقا شاسعا بين الزوجة فى بيتها والراقصة فى الملهى الليلى ! وخاصة إذا كانت راقصة من النوع الذى تتحدث عنه !!

نهض واقفا كمن لدغته عقرب :

ــ أخيرا واتتك الجرأة لتعرفينى الفرق بين الزوجة والراقصة ! أحب أن أقول لك : ليس هناك فرق . فهذه أشتريها بعقد زواج ومؤخر صداق وغير ذلك من الأموال والمكاسب التى تعود عليها ، وتلك أشتريها بهدايا الماس

والذهب وحسابات البنوك !!

ندمت أمل على تطور الحوار الذى لم يسر كما تشتهى . لكن سرعان ما حل الذهول مكان الندم عندما أسرع إلى حقيبته وعالج أرقامها ثم فتحها مخرجا منها سوطا صغيرا بمقبض من العاج ينتهى بكرة ذهبية . عاد إليها وهو يضرب به الهواء محدثا فرقعة اقشعر لها جسد أمل . إذا فهذا الهمجى كان جادا عندما هددها من قبل بالضرب بالسوط !! عليها أن ترضخ تماما . فلا وقت للكبرياء . إنها تحت رحمته ولابد أن تدرك هذه الحقيقة البشعة وأن تتعامل معه على أساسها . وقف أمامها وهو يزأر بصوت أعلى من صخب الموسيقى المسعورة :

ــ علمت أنك تزورين صديقاتك وتتناولين الغداء عندهن .. ومع ذلك تغاضيت .. والآن ترفضين تلبية رغباتى التى لبتها من قبل نساء أفضل وأجمل منك الآف المرات !!

قطع السوط هواء الغرفة فأحدث حشرجة مرعبة مع جنون الموسيقى . نهضت أمل من فراشها الدافىء وشرعت فى التجرد من قميص نومها ، ثم من ملابسها الداخلية قطعة قطعة ، فصاح مع حشرجة السوط :

ــ ارقصى مع الموسيقى !!

أتت بحركات محاولة تقليد الراقصات فى ملاهى أوروبا ، لكنها شعرت ــ دون أن تنظر إلى نفسها فى المرآة ــ أن حركاتها ليست سوى تقلصات وتشنجات دجاجة ذبيحة . ومع ذلك استمتع بها مكررا صرخاته وضربات سوطه فى الهواء :

ــ استمرى !! استمرى !!

تجرد بدوره من ملابسه وقبع على مقعد ركنه المفضل دون أن يلمح الدموع التى انهمرت على وجنتيها . لكنها رأته وهو يدقق النظر فى وجهها

منتشيا بمنظر الدموع . كان قد ألقى بالسوط جانبا فتمنت أمل أن تلتقطه وأن تلهب جسده العارى به ، ومع ذلك استمرت فى حركاتها الذليلة وكأنها دمية تتحرك بالزنبرك . فكرت فى أن تقترب منه فى محاولة منها للتحدث المباشر لكنه كان قد سبقها إلى دورة المياه .

عادت إلى ارتداء ملابسها ودست نفسها تحت الغطاء . عاد إليها مرتديا بيجامته الصوفية وارتمى على الفراش بعيدا عنها وسرعان ما علا شخيره . لم تستطع أمل النوم . كانت تقلصات جسدها قد انتقلت إلى أمعائها فلم تحتمل الثورة داخلها فهرعت إلى دورة المياه حيث أفرغت كل ما فى جوفها . وعادت إلى فراشها لتنام من الإنهاك .

فى الصباح زارها أبوها وكان طلال لا يزال نائما . جلس معها فى الشرفة التى تطل على الهرم الأكبر وقد لاحظ شحوب وجهها . سألها :

ــ هل أصابتك وعكة ؟! إنك لا تبدين على ما يرام ؟!

ــ انتابتنى عند الفجر حالة قىء شديدة !

تهللت أسارير الأب فتساءل :

ــ هل ولى العهد فى الطريق ؟!

سارعت إلى النفى مستنكرة :

ــ لست كما تظن !

ــ وما الذى جعلك متأكدة بهذا الشكل ؟!

أجابت وهى تقاوم موجة عارمة من الغثيان :

ــ إننى أدرى بحالى !!

ــ أمك تصر على عرضك على أشهر أطباء الأمراض النسائية إذا استمر الوضع على ما هو عليه !

ــ ليس من حق ماما أن تقول مثل هذا الكلام .. بعد أن شرحت لها كل

شيء بوضوح !

طفح حب الاستطلاع على وجه الأب فتساءل :

— ماذا شرحت لها ؟!

— يمكنك أن تسألها .. فأنا لا أحب أن أكرر حديثى فى هذه الموضوعات الشائكة !

تراجع حب الاستطلاع ليحل مكانه القلق على ابنته :

— هل هناك ما يدعو إلى القلق ؟!

أجابت بمنتهى الحسم وكأنها تقفل باب الحوار :

— ليس بالنسبة لى على أقل تقدير !

تراجع الأب عن المنطقة الوعرة التى أدخلته فيها أسئلته المتتابعة . سعد بمقدم دادة زبيدة التى دخلت بطرحتها البيضاء حاملة صينية فوقها طبق من قطع الكيك وإبريق شاى وفنجانين. نظرت إليها أمل فى حنق بالغ حاولت كتمانه ، وخاصة عندما تكاسلت فى صب الشاى لعلها تلتقط كلمة منه أو منها . تناولت أمل السكرية فى حسم وهى تأمرها :

— اذهبى أنت يا زبيدة .. سأضع السكر بنفسى !

استهجنت العجوز سلوك أمل . رفعت حاجبها الأيسر الرفيع دهشة لكنها رضخت للأمر وتركت الشرفة . نظر الأب إلى الحاجز الزجاجى السميك الذى يحيط بالشرفة المستديرة وقال لابنته وهو يرشف الشاى :

— روعة هذا الحاجز الزجاجى أنه يمنع الهواء والبرد فى الوقت الذى يكشف فيه عن روعة الهرم وعظمته !

فى اللحظة نفسها دخل طلال مرتديا روبه الأحمر اللامع فوق بيجامته الصوفية . نهض عبد الحميد لتحيته وهو يكاد ينحنى انحناءة أعادت لأمل إحساسها بالغثيان . جلس طلال فجلس فى أعقابه عبد الحميد ناظرا إليه

بابتسامة ذليلة فى انتظار انفراج شفتيه بالأوامر والتعليمات . فتح طلال فمه فترك عبد الحميد فنجانه على المائدة ليسمعه يقول :

ــ ماذا تم فى مشروع المياه الغازية والآيس كريم ؟!

ــ هذا ما جئت له اليوم خصيصا .. فقد حصلت أمس على الترخيص على الرغم من أن الاتجاه السائد الآن يهدف إلى التركيز على السلع الضرورية للشعب !

نظر إليه طلال بمزيج من الدهشة والسخرية والاشمئزاز :

ــ أليست المياه الغازية من السلع الضرورية ؟! إننا بمشروعنا هذا نجنب الناس شرب مياه النيل الملوثة !

عقب عبد الحميد مبتسما :

ــ فعلا يا طلال بك .. إنها خدمة إنسانية عظيمة !

لم تحتمل أمل الصمت فأرادت الانتقام لليلة السابقة :

ــ إننا نعشق كل شىء فى النيل .. حتى تلوثه !

كانت نبرات طلال تنذر بعواقب وخيمة :

ــ من اعتاد التلوث لا يستطيع الإقلاع عنه !

احتارت نظرات عبد الحميد بينهما . قال بعينيه لابنته أن تتفادى المواجهة لكنها استأسفت الزحف :

ــ العالم كله يقول إن من يشرب من ماء النيل لابد أن يعود إليه ثانية !

نظر إليها بطرف عينه اليمنى مطلقا كل سهام الاحتقار والاشمئزاز :

ــ فليقل العالم ما يشاء .. فأنا أتردد على مصر بصفة دائمة منذ أكثر من عشر سنوات . ولى فيها مشروعات تقدر بالملايين .. ومع ذلك لم أشرب فيها سوى المياه المعدنية أو المياه الغازية أو الويسكى أو الشمبانيا !!

لم تستطع أمل أن تصمت :

— كل إنسان حر فى تصرفاته !

وضع ساقا على ساق وهز قدمه فى عصبية بعثت الرعب فى قلب أبيها :

— ليس كل إنسان !

تدخل عبد الحميد محاولا تغيير دفة الحوار وتحويلها إلى شاطئ الأمان :

— هذا الأسبوع سنبدأ فى وضع أساسات مصنع المياه الغازية .. على أن تصل الآلات من أمريكا فى الشهر القادم بإذن الله !

— هل يعنى هذا أن يبدأ المصنع إنتاجه عند عودتى المرة القادمة ؟!

دون أن يسأل عبد الحميد عن ميعاد عودته القادمة قال :

— بإذن الله !

فى حين تساقطت الأمطار على قلب أمل المشتعل منذ أمس عندما سمعته ينطق بقرب ميعاد سفره . كانت على وشك أن تندفع وتسأله عن الميعاد بالتحديد لكنها تمالكت نفسها فى اللحظة الأخيرة . فربما أثار فيه السؤال من الظنون والشكوك ما لم تحمد عقباه .

دق جرس التليفون فنهض عبد الحميد مسرعا للرد ثم صاح :

— لندن على الخط يا طلال بك !

نهض طلال وأمسك بالسماعة طالبا من عبد الحميد الذهاب للجلوس مع ابنته . بدأ طلال المكالمة بصوت عال بإنجليزية طلقة ثم خفت صوته إلى درجة الهمس . قبل أن يجلس عبد الحميد فى الشرفة أغلق بابها حتى يأخذ طلال بك حريته . خاطب ابنته فيما يشبه الهمس أيضا :

— إنك تلعبين يا أمل بالنار ! لا داعى لهذه المناقشات الخطيرة التى لن تعود عليك إلا بأوخم العواقب ! أريد أن أرى أمل المتزنة العاقلة وهى تتصرف بحكمة أبيها !

نظرت إليه والشرر يتطاير من عينيها لأول مرة فى حياتها :

— هناك فرق شاسع بين الحكمة والذلة !

مضغ عبد الحميد أسنانه بين فكيه :

— إذا كان لك عند الكلب حاجة !!

ردت أمل بنفس الإصرار :

— لن أقول له يا سيدى أبدا ! إنه زوجى وأنا أدرى بأسلوب معاملته !

— لقد نصحتك خوفا على مستقبلك !

قالت أمل بلهجة لم يألفها أبوها من قبل :

— خوفا على مستقبلك أنت !!

أصابته الجملة فى مقتل لكنه تماسك :

— وهل هناك فرق بين مستقبلى ومستقبلك ؟!

كانت أمل على وشك أن ترد لولا أن أباها وضع إصبعه على فمه علامة التزام الصمت . فقد سمع أقدام طلال تقترب والباب بفتح فانتصب واقفا له وعلى وجهه نفس الابتسامة التى لم يعد لها أى معنى سوى الذل . قال طلال وهو يمشط لحيته الصغيرة بأظافر يمناه :

— سأسافر إلى لندن على أول طائرة تصل إليها . أريد منك أن تقوم بحجز التذكرة الآن .

— تحت أمرك يا طلال بك !!

تهلل قلب أمل وكاد أن يقفز طربا بين جنبات صدرها . لكنها أمسكت به حتى لا يوحى لوجهها بأية انفعالات . تذكرت وكيله الإنجليزى الشاب الذى ينافس الغوانى فى دلالهن والذى أثار اشمئزازها لدرجة الغثيان . لكنه هذه المرة أثار فى داخلها كل إعزاز وتقدير ، فمجرد مكالمة تليفونية منه خلصتها من الكابوس الذى أوشك أن يكتم أنفاسها .

نظر طلال إلى الهرم بروح معنوية عالية جعلته يظن أن روح الدعابة عنده

بلغت قمتها فقال :

ــ لا أرى أية متعة فى مشاهدتكم المستمرة لهذا القبر الضخم ؟! لو كنت قد رأيت هذه الفيللا قبل أن تشتريها يا عبد الحميد لأمرتك بالامتناع عن شرائها . عموما فأنا نادرا ما أجلس فى هذه الشرفة !!

انحنى عبد الحميد نصف انحناءة :

ــ تحت أمرك يا فندم !

ترك طلال الشرفة وفى أعقابه عبد الحميد . لم تتحرك أمل من مكانها . لم تكن تشبع من تأمل الهرم الشامخ إلى عنان السماء . وجدت نفسها تتساءل دون وعى :

ــ هل خطر على بال أجدادنا وهم يشيدون هذه الآثار الخالدة ما سوف يحدث لأحفادهم ؟!

٩

عادت أمل إلى شقة أبيها فى الجيزة . عادت إلى حريتها ومراجعها التى ضبطها طلال ذات مرة وهى متلبسة بقراءتها . وعندما ادعت أنها تقرؤها للتسلية وتزجية وقت الفراغ سخر منها ونصحها بمتابعة مسابقات الكلمات المتقاطعة وقراءة الروايات البوليسية بعد أن اتهمها بالشذوذ والغرابة .

خاضت أمل الدراسة بكل ثقلها محاولة تعويض شهر التشتت الذى عاشته مع طلال . لكن التشتت واصل رحلته معها . فقد ظلت أمها ــ ومن خلفها أبوها ــ تلح على اصطحابها إلى طبيب للأمراض النسائية . فلم يصدقا ما حكته عن تصرفاته الشاذة معها وظنا أنها تسعى إلى تشويه صورته . خاصة وأنها اعترفت أنها لا تكن له أى حب . وأخيرا لم تجد أمل وسيلة للتخلص من هذا الإلحاح سوى الرضوخ لرغبتهما والذهاب مع أمها إلى ثلاثة من أشهر الأطباء بالتتابع . وأجمع الثلاثة على أنها تخلو من أية موانع للحمل سواء أكانت مرضية أم خلقية ؟ مما دفع بأمها فى النهاية إلى نصحها بأن قليلا من الحب يمكن أن يعود عليها بكثير من الثروة . ونظرا لثقة أمل فى أن أمها لن تفهم أى رأى من آرائها ، وأن التفاهم بينهما مستحيل ، أصبحت توافق أمها على كل ما تقول متظاهرة بالاقتناع الكامل الذى أسعدها فى النهاية .

لكن سؤالا طارد الست مفيدة فى صحوها ومنامها : كيف لا ينجب طلال من ابنتها وله من الحريم ما ينتشر فى مشارق العالم العربى ومغاربه ؟! هل عجز الأطباء عن فهم السر فى عدم إنجاب ابنتها للأطفال ؟! إنها تعلم من خبرتها أن العيب غالبا ما يكون فى الزوجة ! فنادرا ما يصاب الرجل بالعقم وخاصة إذا كان مثل طلال المقبل على الحياة والنساء منذ فجر شبابه . لكن الشىء المثير

للدهشة أن عبد الحميد لم يلحظ أنه ذكر أية كلمة عن أبنائه سواء فى بلده أو من زوجاته الأجنبيات . وكان تفسيره لهذه الظاهرة أنه لا يريد أن يطلع أحدا على حياته الشخصيية الحافلة بالأسرار والألغاز .

وذات يوم من أيام مارس التى تبشر بالربيع والدفء عادت أمل من الجامعة فى الخامسة مساء فوجدت سيدة جميلة أنيقة تهبط من سيارة فاخرة أمام العمارة وتسأل البواب عن الأستاذ عبد الحميد المصرى ، فأشار البواب باسما إلى أمل بقوله إنها ابنته . أقبلت الفاتنة بابتسامة خلابة على أمل التى استقبلتها بمزيج من الإعجاب والتعجب . تشبع الجو بأريج عطرها المسكر وهى تمد يدها بالسلام على أمل التى لم تملك سوى أن تقول فى ذهول :

ــ أهلا وسهلا يا فندم .. هل تعرفيننى ؟!

أطلقت السيدة ضحكة رنانة وأطاحت بشعرها الذهبى إلى الخلف قائلة :

ــ كيف لا أعرفك ونحن أقارب !! أنا فدوى الطرابلسى . لعلك سمعت عن اسمى من قبل ؟!

ترقرقت الحيرة فى عينى أمل وخجلت من أن تعترف بأنها لم تسمع عنها من قبل . أعملت ذهنها وبحثت عن كلمات فى سرعة البرق لترد عليها ، لكن عقلها خانها فتلعثمت وخرجت الألفاظ من بين شفتيها متقطعة :

ــ أهلا .. وسهلا .. يا فندم .. فى الحقيقة .. أنا ..

قاطعتها فدوى التى غلبت على كلماتها اللهجة اللبنانية ذات الدلال والرنين الأنثوى :

ــ لا داعى للخجل والاعتذار .. فهذا ما توقعته بالفعل . لكننى لم أتشرف باسمك بعد ؟

ــ اسمى أمل عبد الحميد المصرى ..

قالت أمل اسمها مثلما كانت تنطق به فى المدرسة الثانوية عندما يسألها المدرس عنه . ابتسمت فدوى ابتسامتها الساحرة وسألتها :

ـــ هل لك أخوات بمثل جمالك وخفة دمك ؟!

ـــ ليس لى سوى أخ أكبر يعيش فى الإسكندرية !

حلت الدهشة محل الابتسامة على وجه فدوى وسألتها فى صوت يشبه الهمس وهى تبتعد بها عن البواب حتى وصلتا إلى باب المصعد :

ـــ هل أنت زوجة المليونير طلال العرباوى ؟!

ذهلت أمل وظنت أن شيئا غامضا قد وقع وأن هذه السيدة جاءت لتبلغها به . أسرعت بالرد والتساؤل فى الوقت نفسه :

ـــ نعم !! لماذا ؟! هل حدث شىء ؟!

عادت فدوى إلى ضحكها الرنان :

ـــ حدث كل خير ! هل سنظل هكذا أمام باب المصعد ؟!

استدركت أمل الأمر وانتزعت نفسها من ذهولها وفتحت باب المصعد . وفى لحظات كانتا أمام باب الشقة وأمل تدير فيه المفتاح . فتح الباب وفدوى تكمل الحوار الذى دار فى المصعد :

ـــ إذا .. فنحن رفاق سلاح !!

ضحكت مرة أخرى وأمل تقودها إلى غرفة الصالون حيث جلست واضعة ساقا على الأخرى فظهر نصف فخذها الأبيض المرمرى تحت فستانها الأبيض ذى الحزام الأحمر الذى يتناغم مع حذائها وحقيبتها وياقة الفستان ونهايات أكمامه . أخرجت فدوى علبة سجائرها الذهبية وأشعلت واحدة فى حين تلعثمت أمل مرة أخرى وهى تستأذن منسحبة بظهرها ثم انطلقت إلى غرفة المكتب التى رأت فى ضوئها أباها يجرى بعض حساباته فى ملف أمامه . كان يرتدى روبا بنى اللون فوق بيجاما صوفية . أحس بوجود ابنته فرفع رأسه وهو يخلع نظارته الطبية واضعا إياها على الملف . ابتسم لها لكنها عاجلته بألفاظها اللاهثة :

ـــ قابلت سيدة أنيقة جميلة عند باب العمارة كانت تسأل عنك .. ويبدو أنها إحدى زوجات طلال .. لم أفهم كلامها جيدا .. فقد فاجأتنى بالأسئلة والضحكات فلم أحر جوابا .. فأحضرتها وهى جالسة الآن بالصالون !!

تساءل الأب دون تفكير :

ـــ تسأل عنى أنا ؟! إحدى زوجات طلال ؟! ولماذا جاءت ؟! اللهم اجعله خيرا !! هل أقابلها الآن ؟!

ـــ طبعا .. إنها فى انتظارك !!

نهض الأب تاركا مكتبه كما لو كان تحت تأثير منوم مغناطيسى وهو يقول :

ـــ لا بد أن أبدل ملابسى أولا حتى أمنح نفسى فرصة للتفكير !

سارت أمل خلفه :

ـــ لا داعى لهذا .. فربما كانت فى عجلة من أمرها !

ثم قادته إلى باب الصالون فتركته يدخل ويرى تلك المرأة المشعة فى ضوء الثريا الكبيرة المتدلية من سقف الغرفة . تراجعت أمل واختفت فى حين مد الرجل يده التى شدت عليها فدوى دون أن تقف وهى تستمع إلى كلماته الصاعدة من أعماقه :

ـــ أهلا وسهلا .. يا فندم !

ـــ أهلا بك .. يا فندم !

شعرت فدوى بحرج الرجل وهو يجلس فى مواجهتها لا يجد كلاما يقوله ، فاستأنفت وهى تنفث الدخان نقيا أبيض من بين شفتيها اللتين أعادتا إلى ذهنه طعم التفاح اللبنانى عندما تناوله لأول مرة فى حياته :

ـــ فى الحقيقة يا فندم .. كنت فى زيارة لأختى التى تعيش مع زوجها المصرى هنا .. وصممت على زيارتك قبل سفرى غدا إلى سويسرا .. فقد كانت بى رغبة عارمة لرؤية ابنتك التى سمعت عن جمالها ودلالها من طلال

نفسه !

جمع عبد الحميد شتات فكره لكنه لم يتخلص من حرجه المتسائل :

ــ وهل لى أن أسأل عن نوعية معرفتك بطلال بك ؟!

أطفأت فدوى سيجارتها فى المنفضة البللورية أمامها فتمنى عبد الحميد أن يحضر علبة سجائره التى نسيها فى مكتبه لكنه فضل الإنصات :

ــ أنا الفرع اللبنانى فى شركته !!

ــ هل تشرفين سيادتك على أعماله فى لبنان ؟!

ضحكت فدوى لسذاجة الرجل المفروض فيه أنه يدير أعمال طلال فى مصر :

ــ أنا زوجته اللبنانية .. لكننى الآن أعيش فى سويسرا بعد أن تحولت لبنان إلى جحيم منذ اشتعال الحرب الأهلية !

ــ لكن اسمحى لى أن أسألك عن الكيفية التى عرفت بها العنوان ؟؟ هل أخبرك به طلال بك ؟!

رفعت حاجبها الأيسر الذى يمتزج فيه البنى بالذهبى :

ــ لا .. طبعا .. فطلال حريص دائما على فصل فروع شركته عن بعضها البعض .. خوفا من حدوث أى تكتل ضده .. أما أنا فقد عرفت العنوان من دليل التليفون .. و لم أشأ الاتصال تليفونيا حتى لا تعتذروا عن استقبالى بأى حجة .. فأنا أعلم جيدا موقف الضرة فى مصر !!

ذهل عبد الحميد لجرأة المرأة وصراحتها وقدرتها على فرض نفسها ، وتمنى فى أعماقه أن تغادر الشقة بأسرع ما يمكن . فقد كان وجودها بمثابة القنبلة المتفجرة فى أية لحظة . وحمد الله على أن زبيدة لم تكن موجودة حتى لا تبلغ طلالا بزيارتها فيظن أنه يتآمر ضده . قال فى استسلام :

ــ على كل حال .. أهلا وسهلا ..

ثم تذكر قولها بأنها ستسافر إلى سويسرا حيث تقيم فتظاهر بكرم الضيافة وحسن الاستقبال :

ـــ ماذا تشربين سيادتك ؟!

ـــ لن أمكث طويلا .. أريد فقط أن أثرثر قليلا مع أمل !

كأنها ألقت إليه بطوق النجاة . هم بالنهوض لإحضارها لكنه وجدها تدخل حاملة صينية عليها إبريق شاى وقطع من الكيك . وفى أعقابها أمها التى يبدو أنها ارتدت فستانها الكحلى ومشطت شعرها على عجل . وضعت أمل الصينية أمام فدوى فى حين سلمت عليها أمها مرحبة بقولها :

ـــ خطوة عزيزة يا مدام .. مصر نورت ..

ردت فدوى بفرنسية طلقة :

ـــ مرسى ..

جلست الست مفيدة إلى جوارها على نفس الأريكة فى حين اختارت أمل المقعد المجاور لأبيها حتى تملأ عينيها بمنظر هذه المرأة المدهشة . قربت مفيدة الصينية منها :

ـــ تفضلى .. إنه بيتك تماما !!

ـــ مرسى .. سأتناول الشاى فقط .. فقد زاد وزنى كيلو ونصف فى الأسبوع الذى قضيته فى مصر .. خاصة وأن أختى الآن تجيد الأطعمة المصرية والحلويات الشامية التى لا تقاوم ..

أنست بها الأم عندما وجدتها ترفع الكلفة تماما :

ـــ قطعة واحدة من الكيك لن يكون لها أى مفعول !

ضحكت فدوى وهى تأخذ بالشوكة قطعة وضعتها فى طبقها :

ـــ لا أستطيع أن أرد طلبا للأحباء !

تناولت فدوى قضمة فى حين سألها عبد الحميد :

— لكن سيادتك لم تقولى بعد ماذا قال طلال بك عن أمل ؟!

أنت على ما فى فمها من كيك وأعقبته برشفة شاى ثم قالت :

— ليس من عادته أن يتكلم من تلقاء نفسه .. وإنما لابد من وجود من يدفعه إلى القول بطريقة أو بأخرى !

لم تستطع أمل أن تمسك نفسها عن التساؤل :

— كيف ؟!

ران الصمت على الجميع فى انتظار أن تفتح فدوى فمها بالكلام ، لكنها فتحت حقيبتها وأخرجت علبة سجائرها وأشعلت واحدة بولاعتها الذهبية . فطلب عبد الحميد من أمل إحضار علبته لكن فدوى قدمت له سيجارة أشعلتها له فشكر لها رقتها . ران الصمت مرة أخرى فقالت فدوى :

— جاءنى فى زيورخ منذ أكثر من أسبوعين ومعه وكيله الإنجليـزى وصديقه المفضل . و لم يكن مزاجه على ما يرام . وذات ليلة دفعته إلى الإفراط فى الشراب حتى أعرف ما يعكر عليه صفوه .. فأنا أعرف طباعه جيدا عندما يفقد وعيه .. وبالفعل قص علىّ كل شىء عن أمل مما أشعل حب استطلاعى وقررت أن أرى الطفلة التى نجحت فيما لم تنجح فيه الخبيرات اللاتى مررن به أو مرّ بهن .

طفح حب الاستطلاع على وجه الأم :

— وماذا قال عن أمل ؟!

أطلقت فدوى نفسا طويلا نقيا من الدخان الشفاف :

— قال إن خبرته مع العدد الغفير الذى عرفه من النساء فى مختلف الدول التى زارها أو التى له فيها مشروعات وأعمال .. هذه الخبرة لم تفلح أخيرا فى إخضاع طفلة .. ثم ذكر اسمها كاملا .. طفلة اسمها أمل عبد الحميد المصرى كى ترضخ لنزواته ورغباته .. وعندما سألته : ألا يكفيك هذا العدد الغفير

من النساء ؟ قال بمنتهى اليأس والإحباط إن المسألة لم تعد عنده مجرد رغبة جنسية يريد إشباعها ، وإنما أصبحت تحديا قائما من مجرد طفلة اشتراها بأمواله .. ولابد أن يقبل هذا التحدى حتى النهاية !

ثار بركان الكبرياء داخل أمل و لم تستطع التزام الصمت :

ــ إنه يظن أننا جواريه اللاتى اشتراهن من سوق الجوارى .. لكننى سأثبت له أنه ليس من حق أى إنسان مهما كان ثريا أن يطأ بحذائه كبرياء إنسان آخر مهما كان فقر هذا الإنسان وبؤسه !!

استشعر عبد الحميد خطورة لقاء فدوى بأمل . فهو لا يعرف شيئا حقيقيا عن هذه المرأة كما أنها توقظ بكلماتها مكامن الثورة داخل أمل . حاول أن يطفئ النار الآخذة فى الاشتعال :

ــ على كل حال فنحن جميعا نعيش على أفضال طلال بك وخيره !

كانت أمل على وشك أن تفتح فمها لكن أمها كانت أسبق إلى تدعيم موقف زوجها :

ــ طبعا .. لا ينكر الجميل إلا ابن الحرام !!

دهشت فدوى للسوقية التى طغت على نبرات الأم فلم تعلق وتركت الرد لأمل :

ــ إنه لم يحول مشروعاته إلى ملاجئ للفقراء والأيتام والعاجزين .. بل إنه يستفيد من جهدك يا بابا أضعاف ما يمنحه لك !!

حاول الأب حسم النقاش بقدر الإمكان :

ــ لكن لا تنسى أن هناك مئات غيرى .. يتمنون عملى هذا !

لم تسكت أمل :

ــ ولا تنس أيضا أن الأمانة والإخلاص من العملات النادرة فى هذه الأيام .. وطلال يعرف قيمة هذه العملات جيدا ..

وجدت الأم أن الحوار شق طريقا لا فائدة منه فى إرواء حب استطلاعها . اصطنعت الابتسام وسألت فدوى :

— وهل هذا هو كل ما قاله طلال بك عن أمل ؟!

نظرت فدوى إلى عبد الحميد فيما يشبه الحرج ثم قالت لمفيدة :

— تكلم عما دار بينه وبين أمل .. وكانت حيرته بالغة لأنه لم يعرف ما إذا كانت تتصرف هكذا بناء على سذاجة مطلقة أو نتيجة لمكر دفين ؟!

ومضت عينا أمل فى سعادة بالغة . كانت تظن أنها فى نظره مجرد دمية يلعب بها إرضاء لنزواته ، لكنها اكتشفت أخيرا أنها أوجعته وسببت له الحيرة مما أرضى كبرياءها . أفاقت أمل من شرودها المنتشى على ضحكة فدوى المتسائلة :

— لا أعرف حقيقة ماذا فعلت به حتى يصاب بهذه الحيرة والكآبة ؟!

سرت حمرة الخجل فى وجه أمل :

— فى الحقيقة لم أفعل شيئا على الإطلاق !

واصلت فدوى ضحكها :

— يبدو أنك من أتباع غاندى !؟

سرت أمل لثقافة فدوى ، فعلقت :

— نعم .. فهو بالعصيان السلبى السلمى استطاع أن يهز أركان الإمبراطورية البريطانية وهى فى أوج مجدها وسطوتها !!

استمرت الأم فى تساؤلها :

— وهل قال شيئا آخر عن أمل ؟!

انتهت فدوى من رشفة شاى سريعة . نظرت إلى عبد الحميد فى حرج :

— قال ما لا يصح أن يقال ؟!

قتل حب الاستطلاع مفيدة فنظرت إلى زوجها الذى فهم ما تقصده .

أطفأ سيجارته فى المنفضة أمامه واستأذن دون ندم حتى يترك الفرصة كاملة لفدوى . كان فى قمة الرغبة ليسمع ما سيقال لكنه خرج راضيا . فزوجته ستقص عليه كل شيء بالتفصيل فيما بعد . شعرت فدوى بالارتياح فأبدلت ساقا على ساق ، وأخفضت من صوتها وهى تركز عينيها البراقتين على وجه أمل الجميل :

ــ كنت أعرف أن المصريات يأخذن موضوع الزواج بطريقة مأسوية للغاية .. لكننى أعجبت بنظرتك العملية للموضوع كله .. فأمثال طلال ينظرون إلى الزواج نظرة تختلف تماما عن نظرة الأزواج العاديين الذين قد يعتبرونه فى بعض الأحيان مسألة حياة أو موت .. أما الزواج عند طلال فلا يخرج عن مجرد لعبة مسلية مثيرة يلهو بها كالطفل الذى سرعان ما يملها ويبحث عن غيرها .. وقد يهشمها .. ولذلك فهو ينتقل من زوجة إلى أخرى .. أو من عشيقة إلى أخرى بمنتهى البساطة لعدم ارتباطه بأى منهن عقليا أو عاطفيا .. والزوجة التى ترضى به لسبب أو لآخر .. مثلى ومثلك .. يجب عليها أن تتخلص من كل مفاهيم الزواج التى حلمت بها منذ بداية بلوغها .. وأن تنظر إلى الموضوع برمته نظرة عملية .. وأن تجعله محتاجا إليها دائما حتى تستثمره أطول مدة ممكنة .. فأمواله طائلة ولا نهاية لها .. وجحا أولى بلحم ثوره كما يقول المصريون ..

قالتها فدوى وهى تلقى بخصلاتها الذهبية إلى الخلف ضاحكة ، فشاركتها الاثنتان الضحك فى حين أسرعت الست مفيدة إلى استئناف التساؤل :

ــ وكيف تقوم فتاة صغيرة مثل أمل بعملية الاستثمار هذه ؟!

قالت فدوى لمفيدة بلهجة رجل الأعمال :

ــ أولا يجب أن تتخلص من كل الاعتبارات العاطفية !

لم تستطع أمل أن تمسك عن الكلام :

— إنني لا أكن له أى حب أو حتى احترام !!

نظرت الأم إلى ابنتها محذرة إياها من عواقب اندفاعها . فربما كانت فدوى جاسوسة مدسوسة عليهم من طلال نفسه ، ولذلك أرادت الأم أن تقطع خط الرجعة على ابنتها . فهى تريد أن تأخذ من فدوى ولا تعطى . قالت لأمل بصوت عال حاسم :

— ليست لهذه الدرجة يا أمل ؟! إنك تبالغين !!

وقبل أن تنطق أمل التفتت أمها إلى فدوى وسألتها :

— وماذا يمكن أن تعمل أيضا من أجل عملية الاستثمار هذه ؟!

استأنفت فدوى لهجة رجل الأعمال :

— ما دام قد بدأ فى الزواج من فتيات فى سن بناته .. فهذا أكبر دليل عملى على أفول مجده فى عالم النساء .. ويجب أن نتوقع منه كل الغرابة والشذوذ .. ويجب فى الوقت نفسه أن نحتاط لأنفسنا ..

ومضت عينا الست مفيدة بوميض وحشى وبدت كما لو كانت قد تذكرت شيئا خطيرا غاب عن ذهنها . سألت فدوى :

— وماذا عن أولاده وبناته ؟! إننا لم نسمع شيئا عنهم !!

أطفأت فدوى سيجارة وأشعلت أخرى .

— ألا تعرفين ؟! إنه لا ينجب !!

انتقل الوميض الوحشى إلى عينى أمل وقالت :

— ولا يعقل أن تكون كل زوجاته عاقرات ؟!

— لقد أخذته بنفسى إلى أشهر أطباء العقم فى سويسرا وإنجلترا لكن بدون فائدة ! وهذا ما يحز فى نفسه كثيرا ويجعله يأتى من التصرفات ما لا يتناسب مع سنه ومركزه ..

استمرت الأم فى التحقيق الذى تقوم به :

ــ تصرفات مثل ماذا ؟!

ــ مثل علاقته بوكيله الإنجليزى ! إنه يرافقه كظله فى كل تنقلاته فى أوروبا .. وأحيانا كنت أحس أنه يفضله علىّ .. لكننى لم أهتم لأنه حر تماما فى كل تصرفاته ..

سبقت أمل أمها إلى الكلام وقد نسيت إرهاق اليوم الدراسى :

ــ لقد لاحظت هذا و لم أهتم أيضا :

قاطعتها الأم حتى لا تدلى بكل ما تشعر به :

ــ عموما .. يجب ألا يعلم طلال شيئا عن زيارتك هذه لصالحنا معا !

وضعت فدوى النقط على الحروف :

ــ هذا شيء مفروغ منه .. وعموما فهو الآن فى إنجلترا وسيغادرها إلى بلده .. وربما جاء إلى مصر فى مايو ليتابع بنفسه مشروع المياه الغازية والآيس كريم !

ــ مايو ؟!

قالتها أمل بشهقة متألمة دهشت لها فدرى . إنه شهر الامتحانات . كانت على وشك تفسير شهقتها لولا أن أمها كانت لها بالمرصاد حين سألت فدوى :

ــ وماذا فعلت أنت من أجل عملية الاستثمار التى تكلمت عنها ؟!

ــ فتحت لنفسى حسابا سريا فى أحد بنوك سويسرا .. أضع فيه كل الأموال التى حصلت وأحصل عليها منه .. و لم أطلعه على اسم البنك أو رقم الحساب .. كذلك جعلته يشترى لى الفيلا التى أعيش فيها فى زيورخ .. وأرسلت أخى الصغير للدراسة فى جامعة باريس على نفقة زوجى العزيز ..

تجسدت على وجه مفيدة آيات الإعجاب بذكاء فدوى وحنكتها :

ــ خطوة عزيزة التى دفعت بك إلينا !! لكن هل تودين أن نؤدى لك أية خدمة ؟! فحرام أن تضيع زيارة مثل هذه فى مجرد حب الاستطلاع ومشاهدة

آخر زوجات طلال بك ؟!

أدركت فدوى فى الحال مكامن الخبث فى أسئلة الست مفيدة فقالت :

— إننى واثقة من نفسى جدا ! ولا أسمح لأحد بأن يستخدمنى أداة طيعة فى يده ! فأنا أدرى بأبعاد ما أفعله جيدا !! ولولا وجودى فى القاهرة لزيارة أختى لما أتيت إلى هنا !

خجلت الست مفيدة من نفسها وحاولت تفادى هجوم فدوى الكاسح :

— نرجو أن تتكرر هذه الزيارة كلما أتيت إلى القاهرة !

نظرت فدوى إلى ساعتها ونهضت مستأذنة . حاولت مفيدة التمسك بها وإجلاسها مرة أخرى لكنها قالت فى حزم :

— إننى سأسافر غدا .. وأختى وزوجها فى انتظارى لنسهر معا !

تدخلت أمل فى الحوار :

— نود أن نقوم بتوصيلك إلى المطار !

ربتت فدوى على خد أمل :

— شكرا .. ستقوم أختى وزوجها بهذه المهمة !

أضافت أمل :

— لابد أن نتراسل !

أجابت فدوى وهى تنظر إلى الست مفيدة :

— لا داعى لصالحنا معا .. فربما وقع خطاب بيننا فى يده .. فيظن أننا نتآمر ضده .. عندئذ يمكن أن نخسر كل ما نأمل الحصول عليه !!

خرجت فدوى من الصالون مودعة مفيدة وأمل . هرع عبد الحميد من مكتبه للسلام عليها فى نفس الوقت الذى جاءت فيه بوسى لتتمسح بساق سيدتها . ابتسمت فدوى سائلة أمل :

— قطتك ؟!

— نعم !

— إنها جميلة مثلك !!

ضحكت أمل لعذوبة فدوى ورقتها :

— إنها لا يمكن أن تبلغ درجة جمالك !

— إننا على كل حال من اختيار طلال بك الذى يعشق الجمال فى كل صوره ! حملت أمل قطتها وهى تقول :

— إلا بوسى .. فقد رفض أن تنتقل معى إلى بيته .. إنها فى نظره حيوان نجس !

لوحت فدوى بيدها للجميع . فتحت أمل لها باب الشقة وسرعان ما كانتا فى المصعد . ركبت فدوى السيارة الفاخرة التى أتت بها . لوحت لها أمل بيدها باسمة وهى تنطلق كالسهم . صعدت أمل مرة أخرى فوجدت أباها يناديها من غرفة مكتبه . ذهبت إليه فقال لها :

— لا أريد أن تتأثرى بأية كلمة قالتها هذه المرأة .. إنها جاسوسة مدسوسة عليك من طلال لتعرف نواياك وأهدافك !!

كانت الست مفيدة تجلس فى ركن تتابع دون تعليق . قالت أمل :

— لا وجه للمقارنة يا بابا بين زبيدة وفدوى !

— لقد شككت فى زبيدة .. وثبتت صحة شكوكى فيما بعد !

تدخلت الأم :

— على كل حال يا عبد الحميد .. لم نقل لها شيئا .. فى حين عرفنا منها كل شىء !

— لا تكونى بهذه الثقة يا مفيدة .. فليست هناك زوجة تتمنى الخير لضرتها !

علقت أمل :

— كل ما قالته فدوى سبق أن لاحظته و لم تصدقونى عندما ألمحت إليه ! ولذلك فأنا أصدقها تماما !!

عقب الأب :

— كل همى ألا يصل شىء إلى علم طلال .. أو أن يؤثر كلامها على سلوكك نحوه !!

بلغ السأم مداه من كثرة النصائح المنهالة عليها :

— إنك تعاملنى كما لو كنت لا أزال طفلة !!

ضغط الأب على مخارج ألفاظه :

— إنك طفلتنا بالفعل !

تراجعت أمل إلى باب الغرفة :

— وطالما أننى لا أزال فى سن الطفولة .. فهل يمكن أن أعرف لماذا تزوجت من هذا الكهل ؟!

قالتها أمل دون أن تنتظر اجابة . فقد اختفت منطلقة إلى غرفتها و فى أعقابها بوسى التى قبعت فى حجرها بمجرد استرخائها على مقعد مكتبها الرمادى الصغير . إنها ترفض رأى أبيها تماما فى فدوى . وحتى لو كان رأيه صحيحا ، فماذا يهم ؟! إن الشىء الوحيد الذى لا شك فيه ، أنها بعد مقابلة فدوى أصبحت أكثر قوة وثباتا من ذى قبل . لقد رأت طلالا فى ضوء جديد . إنه ليس ذلك الجبار الذى ينحنى له أبوها إجلالا واحتراما ! إنه ليس ذلك الوحش الذى كانت تقبع أمامه كالحمل الوديع ! إنه كهل متهالك زاخر بثغرات الضعف التى يحاول تغطيتها بأسمال بالية مثل شحاذ فى يوم مطير بارد . كم تشعر الآن بقوتها الحقيقية فى مواجهته ! مواجهته التى تتمناها الآن لاختبار القوة الذى تنوى أن تسحقه فيه سحقا !

تذكرت قول فدوى عن احتمال مجيئه فى مايو . صحيح إن مايو شهر الامتحانات . لكن حلول طلال لم يعد يشكل كارثة ، حتى لو كان فى وقت الامتحانات . إنها أصبحت سيدة موقفها وستظل . كانت نافذة غرفتها مفتوحة ، وزجاجها مغلقا . وبرغم الظلام الذى تدثرت به الأشياء فى الخارج بعيدا عن المصابيح الصفراء المشرقة ، فإن أمل استطاعت تبين معالم الأشياء : سور الحديقة والأشجار الضخمة المتكاثفة عليها وحولها ، وبعض طيور أبى قردان القابعة أو النائمة بين الأغصان ، والشارع العريض المار بتمثال نهضة مصر الذى يطل على كوبرى الجامعة .

كم أحبت أمل هذا المنظر الذى رأته سنوات متتابعة و لم تمله ! لكن الوقت الآن ليس وقت الخواطر والذكريات . ولذلك قبعت أمام نافذتها تفكر فيما عسى أن تفعله لو جاء طلال فى مايو !

١٠

لم يعد جلال مجرد زميل لأمل بل أصبح صديقا بمعنى الكلمة . لم يحز رجل من قبل فى حياتها الاحترام والتقدير اللذين شعرت بهما تجاهه . كان نمطا فريد فى نوعه ، حتى فقره كان من أسباب إعجابها به . فقد رفعته ثقافته العميقة الشاملة إلى حيث لا يقيم الإنسان بمعايير الفقر والغنى . ولذلك رأت أمل أن المقارنة بينه وبين طلال ليست فى صالح الأخير على الإطلاق برغم أمواله الطائلة . حتى التقارب بين اسميهما كان يحدث فى داخلها نوعا من المفارقة المضحكة ، فالأول يوحى إليها بالإجلال ، فى حين كان الآخر يذكرها بالأطلال .

ذات يوم اعتذر أستاذ الفلسفة الحديثة عن محاضرتين له ، فكان عليها أن تنتظر ساعتين حتى المحاضرة التالية . وجدت جلالا يمد الخطى خارجا من مبنى الكلية فى طريقه إلى المكتبة فأسرعت خلفه حتى لحقت به . ابتسمت متسائلة :

ـــ إلى أين ؟!

أبطأ من خطاه حتى توقف قائلا :

ـــ سأمضى الساعتين فى الاطلاع !

ـــ ألم تنته من قراءة كل المراجع ؟!

ـــ إنه سؤال لا تلقيه فتاة فى مثل ثقافتك واطلاعك ؟! فالإنسان المثقف يظل يتعلم من المهد حتى اللحد !!

ـــ لم أقصد هذا يا جلال ؟! لكننى بعد تردد طويل أحسست أن هناك أشياء لابد أن أفضى بها إليك !! فأنت خير صديق يمكننى أن آخذ رأيه فى مثل

هذه الأشياء !

أطلت الدهشة من عينى جلال المجهدتين ومسح شعره الخشن بيده اليمنى .

لم يكن رده جاهزا سريعا كعادته منذ أن عرفته أمل :

— تحت أمرك ؟!

لم تسترح أمل لهذه النبرة الرسمية المتحفظة :

— لن أستهلك من وقتك أكثر من نصف ساعة !!

قال برقة لم تلحظ مثلها من قبل :

— وقتى كله تحت أمرك !

تحركت بين ممرات الحديقة فسار إلى جوارها دون أن ينظر إليها كعادته . كان عدد الطلبة والطالبات والسيارات قد تناقص إلى حد كبير . فالعام الدراسى كان على وشك أن يجمع أوراقه ويرحل ، فى حين كان دفء الربيع يقوم بتسليم أيامه إلى سخونة الصيف . اكتست الحديقة بخضرة يانعة داكنة كثيفة ، وأشاعت بعض الزهور أريجها ، وزقزقت العصافير متراقصة بين الأفنان والأوراق . قالت أمل وهما يدوران حول الحديقة المحيطة بقاعدة ساعة الجامعة :

— إن الربيع أحب فصول السنة إلى قلبى .. لقد تعلمت منه الاعتدال فى كل شىء .. وذلك قبل أن أتعلم من الفلسفة أن الفضيلة وسط بين إفراط وتفريط !!

— إن لكل فصل جماله ومذاقه .. فليس أروع من أن يدرك الإنسان المعنى الكامن وراء كل الموجودات فى هذا الكون !

ضحكت أمل ضحكة خاطفة وتساءلت :

— ألا زلت تمارس هوايتك فى تحويل كل إجابة لك إلى قضية فلسفية ؟!

— إن إنسان بلا فلسفة فى الحياة مثل سفينة بلا دفة !

— أتعرف أننى استفدت من مناقشاتك معلومات وأفكارا لا تقل فى كمها وكيفها عما حصلت عليه من دراستى نفسها ؟!

نظر إليها جلال فاكتشف أنه لم ير من قبل فى مثل جمال عينيها الواسعتين السوداوين . إنهما أشبه ببحيرة عميقة الأغوار فى عالم أسطورى هجره الليل والنهار و لم يعد يخضع لقوانين النور والظلام . لاحظت أمل أنه يتأمل عينيها لأول مرة مما جعله يستدرك فى شىء من الإحراج :

— ليس لى أى فضل عليك .. فلولا عقلك الناضج وثقافتك الشاملة ونظرتك العميقة لما استطعت الحصول على التقديرات التى حصلت عليها . بدليل أنك تفوقت علىّ فى مادة « فلسفة الحضارة » !

انتشرت مسحة خفيفة من حمرة الخجل فى وجنتى أمل :

— يبدو أن الآراء التى ضمنتها ورقتك كانت طليعية أكثر من اللازم بحيث لم يتقبلها الأستاذ الذى تجاوز سن المعاش ..

تخلى جلال عن جديته وابتسم :

— إن لسانك لا يقطر إلا شهد الكلام !

سرى داخل أمل مس غامض كمس الكهرباء أشاع ما يشبه التخدير الذى أوحى إليها بأن إحساس الأخوة داخلها تجاهه أوشك على التلاشى . فقالت دون مقدمات :

— تصور يا جلال إننى أعرفك منذ أكتوبر الماضى .. ونحن الآن فى أواخر أبريل .. و لم أعرف عنك سوى أنك تقطن فى « ميت عقبة » وأنك تهرب من جو البيت الخانق إلى المكتبات العامة .

— ليس هناك فى حياتى ما يمكن أن يثير اهتمامك أو اهتمام أية فتاة أخرى !

أيقظها إحساس مفاجئ بالضيق . فهى ليست أية فتاة أخرى :

— إن الصداقة تحتم أن يعرف الصديق صديقه حق المعرفة !

— إن حياتى كتاب مفتوح وممل لمن يريد القراءة !

— دع الحكم للآخرين !

ابتعدا عن الساعة فى حركة دائرية حول قاعة الاحتفالات التى تعلوها القبة الكبيرة . رأى جلال شعرها الأسود الفاحم الناعم اللامع الذى يكاد يصل فى استرساله إلى منتصف ظهرها محدثا تضادا جميلا مع بلوزتها البيضاء المحبوسة بشقاوتها داخل البنطلون الجينز الضيق . تعجب لهذه المخلوقة الساحرة المضيئة الثرية التى تجد متعة فى صداقة معدم مثله !! لقد حكت له عن رحلتها إلى أوروبا مثلما يحكى لها هو عن رحلته سيرا على الأقدام بين الجامعة وميت عقبة عندما يحاول توفير أجرة المواصلات !! لمحت من طرف خفى نظراته إليها فقال دون تفكير :

— سأحكى لك كل شيء حتى لا تظنى أننى أبخل عليك بالدرر واللآلىء . إن أسرتى مثل آلاف الأسر المطحونة التى لا تصل أحيانا إلى حد الكفاف . فأبى ظل يعمل طيلة حياته ساعيا للبريد .. وكان يتمنى أن يعمل بعد إحالته إلى المعاش لكن ضعف بصره أجبره على الاعتزال .. لكن نظرا لسمعته الطيبة لدرجة أن كل رؤسائه كانوا ينادونه « بعم عبد اللطيف » ، استطاع أن يوظفنى فى وقت فراغى ساعيا للبريد فى مكتب الزمالك لعلى أحصل على أكبر قدر ممكن من البقشيش والهبات .. ولا أزال أقوم بهذه المهمة بعد التحاقى بالجامعة كى أعول أسرتى الكبيرة .. كما تقوم أمى بحياكة الملابس للجيران والأصدقاء ، يساعدها فى ذلك أبى الذى يقوم بشراء لوازم الحياكة وأعمال الكى .. أما إخوتى فلم يكمل منهم الكبار تعليمهم واشتغلوا كصبيان فى حرف مختلفة .. فى حين ينوى الصغار تتبع خطواتهم .. ولذلك يعتبرنى أبى نور عينيه الذى يريد له أن يفلت من أسوار الظلام المحيطة بعائلتنا بأى ثمن .. فأنا فى نظره رائد فضاء أسرتنا الذى يتحتم عليه اختراق المجال الجوى لها ..

ابتسم جلال وهو يصف نفسه بالريادة فى الفضاء ، فى حين زاد إجلال أمل له . إن الصدق الذى يقطر من كلماته ونبراته عملة نادرة فى هذه الأيام . عملة تفوق فى قيمتها كل أموال طلال . دون أن تنطق بكلمة واحدة صعدت درجات السلم الرخامى الفسيح الصاعد إلى مدخل قاعة الاحتفـالات الكبرى ، جلست على أعلى درجاته وأشارت إلى جلال فجلس إلى جوارها وفى مواجهتهما حديقة المدخل بكل ازدهارها . قال :

— ألم أقل لك إن قصة حياتى هى الملل بعينه ؟!

أغرقته بنظرات الحنان والاحترام :

— منذ متى أصبحت قصص الكفاح العظيم مثارا للملل ؟!

— إنك مجاملة بطبيعتك يا أمل !! وعلى كل حال أنا أشكر لك رقتك وتعاطفك !!

اندفعت أمل دون تفكير :

— إن الذى بيننا لا يمكن أن يكون عطفا !! كما أنك لست فى حاجة إلى عطف من أى إنسان مهما كان هذا الإنسان !!

دهش جلال لحماسها المندفع الذى لا ينم إلا عن صدق عميق :

— كثيرا ما سألت نفسى عن السر فى إصرار فتاة مثلك ولدت وفى فمها ملعقة من ذهب على صداقة ساعى بريد مثلى ؟!

ضغطت على مخارج ألفاظها حتى لا تفوته كلمة واحدة :

— ألا تعرف أن أبى بدأ حياته سمسارا للشقق المفروشة والخالية .. وكان يزاول وظيفته على كرسى من ثلاث أرجل فى ميدان أم المصريين .. ولولا طلال الذى عينه وكيلا لأعماله لكنت الآن أعانى مما تعانى منه !

صمت وهى تتمنى أن يسألها عن سبب زواجها من طلال . لكنه خيب ظنها :

ــ لنفرض أن هذا صحيح .. فإن الواقع يؤكد أن الفرق بيننا مثل المسافة بين السماء والأرض !!

قالت بحسم مفاجئ :

ــ أرجوك .. لا تفرض شيئا .. فأنا لا أكذب عليك !!

استدرك مسرعا :

ــ لا أقصد هذا أبدا .. لكننى خفت أن يكون تواضعك محاولة للهبوط إلى مستواى الذى عيرنى به سمير عندما قال لى إن من ينظر إلى أعلى لابد أن يصاب بالتعب فى النهاية !!

اجتاح الذهول أمل من وقع المفاجأة :

ــ من سمير هذا ؟!

ــ إنه زميلنا صاحب العربة البيضاء الفاخرة والأناقة التى تثير إعجاب معظم الزميلات !

تذكرته أمل فى الحال فتساءلت :

ــ هذا الطالب التافه الذى يحفى حاجبيه كالنساء ؟!

ــ لا أعتقد أن أحدا ينظر إليه نظرتك هذه !

مدت ساقيها على الدرجات الهابطة فظهر أحمر أظافرها براقا تحت حذائها الرقيق :

ــ لكنك لست ذلك الذى يتأثر بكلام تافه مثله ؟!

ــ ما قاله كان الصدق بعينه .. ولذلك كنت فى الفترة الأخيرة أتفادى الإكثار من لقائك والحديث معك حتى لا أثير غيرته وبالتالى يثير حولك شبهات أنت فى غنى عنها تماما .. خاصة وأنك متزوجة ولا أحب أن تمسك كلمة من قريب أو بعيد .. فأنت لا تعلمين مكانتك عندى ؟!

طمست موجات النشوة المفاجئة نبضات قلبها عند سماعها للجملة

الأخيرة . تساءلت فى خبث طفولى :

— لم أكن أعرف أن لى مكانة عندك ؟!

عادت إلى جلال طبيعته الجادة المتحفظة :

— إن الصداقة التى بيننا من نوع لا يمكن أن يفهمه أمثال سمير ! إنها صداقة العقل والفكر التى تعلو على كل الاعتبارات التقليدية !

لم تفهم أمل ما يقصده « بالاعتبارات التقليدية » ، لكنها خافت أن يدور الحوار حول قضايا مجردة . قالت بنفس جديته :

— إنك الرجل الوحيد الذى لم ينظر إلى كأنثى قط ! من هنا كان إصرارى على صداقتك التى أتمنى أن تستمر إلى الأبد بإذن الله !!

أحاط ركبتيه بذراعيه فبدا فتق فى كم القميص تجاهلته أمل . قال :

— إن مشكلة العلاقة الجنسية بين الجنسين فى مصر أن المرأة فى نظر الرجل ليست سوى أنثى كما أن الرجل فى نظرها مجرد ذكر .. ولذلك لا يوجد للعقل مكان بينهما .. أما أنا فلن أنظر هذه النظرة إلا إلى المرأة التى سأحبها وسأتزوجها .. لكن هذا لا يعنى أن العقل لن يكون له نصيب أيضا فى عملية الحب والزواج عندى ..

عادت إلى ثنى ركبتيها فوق الدرجة التالية :

— لكن لا تنس أن الزواج إذا نهض على العقل وحده فإنه يتحول إلى صفقة تجارية فى النهاية قد تنتهك إنسانية أحد الطرفين أو كليهما معا !!

— هذا محتمل جدا !

— إننى أقول لك هذا الكلام من واقع تجربتى الخاصة .. وليس من مجرد قراءات فى الكتب ! لقد كان زواجى من طلال صفقة تجارية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى !

نظر جلال عبر الحديقة المستديرة المورقة صوب بوابة الجامعة الحديدية ،

وتشاغل بتتبع السيارات الداخلة والخارجة . أدركت أمل أنه لا يزال يصر على تجنب الخوض فى هذ الموضوع ، فقررت وضع النقط على الحروف :

ــ لماذا تصر على تجاهل الرد علىّ كلما ذكرت اسم زوجى ؟! وحاولت أن أوضح لك أسباب وظروف زواجى منه ؟!

تردد فى الرد ولكنه قال فى اقتضاب واضح :

ــ لأننى لا أملك الحق فى الخوض فى موضوع يخصك أنت وحدك !!

ــ وإذا كنت أنا صاحبة الموضوع أصر على أخذ رأيك فيه فأنت لا تعلم كم أحترم رأيك وأستفيد منه سواء فى حياتى العامة أو الخاصة !

ــ إن التدخل فى الشئون الخاصة للآخرين أمر شائك للغاية .. ويمكن أن يؤدى إلى ما لا تحمد عقباه !

تضايقت أمل من استخدامه لكلمة « الآخرين » . إنه مستميت فى ترسيخ الحواجز بينه وبينها ، واستماتت بدورها فى معرفة سر هذا الهروب الدائم ، فى حين أن زملاءها يتمنون منها كلمة أو نظرة أو ابتسامة لدرجة أنها سمعت أحدهم يقول لسمير هذا خلسة : إنها أجمل من وقعت عليها عيناه !! قالت لجلال بلهجة تمزج الحسم بشىء من الصرامة :

ــ لا تتصور أن رأيك قرار نهائىّ بالنسبة لى ! إنك يمكن أن تقول ما تشاء .. لكن القرار فى النهاية قرارى .. وبالتالى ليست ثمة مسئولية عليك !!

ابتسم محرجا :

ــ على كل حال أشكر لك ثقتك العظيمة فى !! كما أرجو أن أكون أخا حقيقيا لك .. وإن كنت لا أطمع فى هذا الشرف !!

عاد إلى اللهجة الرسمية المتحفظة مرة أخرى فقررت الدخول إلى الموضوع مباشرة :

ــ فى الحقيقة يا جلال كان زواجى مثل القدر الذى لا فكاك منه ..

كنت مخيرة فقط بين الزواج من رجل فى سن أبى ويختلف عنى قلبا وقالبا وبين أن أهدم كل ما بناه أبى اعتمادا على مشروعات هذا الرجل !

صمتت فى انتظار الرد الذى جاء بطيئا متلعثما بعض الشىء :

— فى حياة الإنسان مواقف كثيرة تنعدم فيها قدرته على الاختيار !!

— لكننى حتى الآن لا أعرف إذا كان ما فعلته صوابا أم خطأ !!

— الصواب والخطأ قد يمتزجان فى بعض المواقف الحرجة والمصيرية بحيث يصعب وضع الحدود الواضحة بينهما .. بل إن الإنسان قد يتخذ قرارا تتراوح فيه نسبتا الصواب والخطأ .. ويبدو أن النسبية التى تحكم حياتنا قد جعلت الصواب المطلق والخطأ المطلق من رابع المستحيلات !

سعدت أمل لانطلاقه فى إبداء آرائه التى تعشقها برغم إصراره على التزام الحديث عن القضايا العامة .. توغلت به فى منطقة وعرة :

— لكن الشىء الوحيد الواثقة منه تماما أننى أمقت زوجى من صميم قلبى !

لم يفتح جلال فمه فاستمرت فى استدارجه بطرق الموضوعات التى تثيره :

— قد تظن من كلامى هذا أننى ضد التزاوج مع العرب .. فأنا أعلم جيدا تعصبك الشديد للقومية العربية ؟!

— إن تعصبى للقومية العربية لا يمكن أن يكون تعصبا للتخلف العربى .. فالقومية العربية هى ألد أعداء التخلف فى كل صوره .. ولذلك كانت معارك جمال عبد الناصر ضد الرجعية لا تقل فى ضراوتها عن معاركه ضد إسرائيل !

— لكننى منذ طفولتى وأنا أسمع من أبى كلاما مرعبا عن عبد الناصر .. حتى خفت منه دون أن أعلم شيئا حقيقيا عنه !! فقد رحل و لم أكن تجاوزت السادسة من عمرى !

ــ كنت أنا أيضا فى مثل سنك تقريبا .. لكننى عندما نضجت قرأت كل شىء عنه ! أما موقف أبيك منه فأمر طبيعى ومتوقع تماما .. فقد جاءه الخير كله مع الدخول الطفيلية التى ترعرعت فى أعقاب رحيل عبد الناصر !

شردت أمل للحظات فظن جلال أنه جرح إحساسها فقال :

ــ ألم أقل لك إن التدخل فى الشئون الخاصة يمكن أن يؤدى إلى ما لا تحمد عقباه ؟!

استدركت أمل عندما وجدت الحرج يجتاح حركته القلقة على السلم :

ــ أبدا .. أبدا .. إنك تتكلم كما لو كنت تعيش معنا .. فلو كان أبى مستقلا فى عمله وناجحا فى مشروعاته الخاصة به لما تزوجت من هــذا الكهل !!

ــ كان كلامى بصفة عامة .. و لم أقصد أباك بالذات !

ــ لم آخذ الحوار بصفة شخصية .. لكننى أحب أن أسألك بدورى : لو كنت قد نشأت فى أسرة ثرية .. أو استطاعت أسرتك أن تبلغ حد الثراء مثل أسرتى هل كان من الممكن أن تعبر عن الآراء نفسها ؟!

شعر جلال بالتحدى الفكرى الكامن فى السؤال :

ــ لا أعرف .. فالطبقة الاجتماعية تلعب دورا خطيرا فى تشكيل رؤية الإنسان إلى الحياة .. لكننى متأكد من أن توازن المجتمع اختل إلى حد كبير بعد عبد الناصر .. إذ كيف نفسر ظهور عدد مذهل من أصحاب الملايين فى مجتمع فقير مثل مجتمعنا ؟! إن أخطر ظاهرة يمكن أن تهدد أى مجتمع هى الاتساع المطرد للهوة التى تفصل بين الأغنياء والفقراء . وعندما يتحول الغنى إلى غباء واستفزاز وإصرار على توسيع الهوة فإن الأغنياء أنفسهم هم الذين سيدفعون الثمن .. أما الفقراء فلن يكون لديهم ما يدفعونه أو يخافون عليه ..

ــ تقصد من يسمونهم القطط السمان ؟!

ــ المسميات لا تهم .. لكن من يقرأ التاريخ ويستوعب معانيه جيدا يدرك أن العدالة الاجتماعية هى خير ضمان لاستقرار المجتمع ونموه !

ــ لم أكن أعرف أن تفكيرك بهذه الثورية ؟ فسلوكك الهادئ المتزن لا ينم عن ذلك !

ــ إن الثورية هى علم تغيير المجتمع إلى الأفضل ! وليست لها أدنى علاقة بالتشنج أو الحقد أو غير ذلك من الاتهامات التى يحاول البعض إلصاقها بالبعض الآخر .. وخاصة أن تبادل الاتهامات أصبح الهواية المفضلة لمعظم المجتمعات المتخلفة !

انتهزت أمل فرصة الحوار الساخن الذى أشعل حماس جلال :

ــ واضح أن كل كلامك ينطبق على زوجى !

ــ إن ما يفعله زوجك صحيح تماما من وجهة نظره .. ولو كان مؤمنا حقا بعروبته لما قام بمشروعاته التى تنتج الكماليات ولا تفيد اقتصادنا القومى .. إن مصر فى نظره فرصة لاستثمار أمواله وللتمتع بمباهجها وللتنفيس عن عقده النفسية القديمة !

ــ تتكلم كما لو كنت تعرفه تماما ؟!

ــ ليست هناك ثمة ضرورة كى أعرفه .. فهو جزء من ظاهرة عامة .. فإذا فهمنا الظاهرة ككل سهل علينا استيعاب جزئياتها !

ركزت أمل عينيها على ملامحه المجهدة :

ــ لكن الظاهرة التى لم أستطع تفسيرها حتى الآن هى ارتباطى الشديد بك برغم كل التناقضات التى تفصل بيننا ؟!

لاحظ جلال ضغط أمل على « ارتباطى الشديد بك » لكنه استمر فى نفس تحليله للأمور :

ــ إن زمالة الحياة الثقافية الحقة والتبادل الموضوعى للأفكار دون عقد

أو حساسيات من أشد وسائل الارتباط الوثيق بين البشر !

لم تصل أمل إلى الإشباع الحقيقى الذى أرادته من الحوار . كان هدفها منه غير واضح تماما ، ومع ذلك أرادت الاستمرار فيه لعلها تصل إلى بغيتها . فتشت عن موضوعات جديدة لكن البحث أعياها خاصة وأن جلالا التزم الصمت . دقت ساعة الجامعة فنظر إلى ساعته ذات المعدن الصدىء والزجاج المشروخ وقال :

— لم يتبق على المحاضرة سوى نصف ساعة ..

لم تحرك أمل ساكنا فأضاف :

— يبدو أن كلامى كان مزعجا ؟!

— إنك نفيت بنفسك وجود أية عقد أو حساسيات بيننا !

— إذا .. هيا بنا .. حتى نحصل على مقعدين فى المقدمة !

سبقها إلى النهوض لكن الاثنين فوجئا بسمير يقف أسفل الدرجات بسرواله الأبيض الضيق وسوار معصمه الذهبى وهو يكاد يصيح :

— ما الذى جمع الشامى بالمغربى ؟!

هبطت أمل والتحدى ينتفض فى عروقها ، وقفت أمامه وخلفها جلال :

— إن الذى جمع بينهما هو الذى جمعنا بك الآن !

قال سمير بوقاحة لم يستطع مداراتها :

— لا أفهم ما تقصدين ؟!

ردت أمل والتحدى يتصاعد داخلها :

— مثلما لم أفهم ما قصدته أنت !

تفادى جلال الحرج الذى أشعلته أمل ، فقال بوداعة :

— إذا لم نتحرك الآن فلن نلحق بمقاعد المقدمة !

سار ثلاثتهم صوب مبنى الكلية دون تبادل كلمة واحدة فى حين حرص سمير على التهام بنطلون أمل بعينين مكشوفتين . كانت أمل تسير بينهما فتخلفت قليلا ثم انحرفت يسارا بحيث جعلت جلالا فى المنتصف . تجاهل سمير هذه الحركة لكنه لم يفقد أمله فى الفوز بهذه الفاتنة : زوجة الكهل وصديقة المعدم .

١١

عاد طلال إلى القاهرة فى مايو كما قالت فدوى تماما . لم يتبق على امتحان أمل سوى أسبوع فى حين أعلن طلال أنه سيبقى شهرا على الأقل لحضور افتتاح مصنعى المياه الغازية والآيس كريم وبداية توزيع إنتاجهما من الإسكندرية إلى أسوان . أما أمل فكانت قد استعدت لكل الاحتمالات منذ أن سمعت باحتمال مجيئه من فدوى ، وذلك بعد أن استوعبت دروسا عملية منها ، وأخرى نظرية من جلال .

لم تنتظر أمل الانتقال إلى قصر الهرم مع مجيئه إلى القاهرة بل سبقته وأشرفت على إعداده لاستقباله بهمة أذهلت زبيدة التى لاحظت من قبل ، مجيئها وكأنها محكوم عليها بالإعدام وفى طريقها إلى حبل المشنقة . ثم أسرعت مع الأسطى عبده لاستقباله فى المطار مما أذهل أباها وأمها اللذين ذهبا فى سيارتهما الخاصة . فقد أخبرتهما أنها ستعود به إلى قصر الهرم دون المرور ببيت الجيزة ، لدرجة أن الست مفيدة قالت لزوجها عبد الحميد وهما فى طريقهما إلى المطار إن تصرفات أمل أصبحت غير مفهومة وأعربت عن مخاوفها من أن تأتى ابنتهما بتصرف قد يعود عليها بأوخم العواقب ، فربما كانت لهفتها الغريبة على لقائه غطاء تخفى به شطحة مدمرة ، لكن عبد الحميد طمأنها إلى أن أمل بدأت فى استيعاب حقيقة النعمة التى تعيشها بعد أن شاهدت بنفسها فى الجامعة زملاء يتمتعون بالشباب والفقر الذى قد يعجزهم فى المستقبل عن مجرد إعالة أنفسهم .

استقبلت أمل طلالا بالأحضان بمجرد هبوطه من الطائرة ، لدرجة جعلته ينظر إلى من حوله فى خجل . بعد السلام والتحية أمسكته من يده وقادته عبر

ممر الوصول حيث السيارة الفاخرة التى وضع فيها الأسطى عبده الحقائب . ودعت أمل أبويها الذاهلين وأمرت الأسطى عبده بالانطلاق إلى الهرم .

التصقت أمل بطلال فى المقعد الخلفى ثم مالت برأسها على كتفه ، لكنه لاحظ نظرات عبده فى المرآة أمامه فأعاد رأسها إلى وضعه السابق فى شىء من الحرج ، لكنها ابتسمت له ابتسامة ساحرة أجبرته على التساؤل :

ــ ألاحظ تغييرا مفاجئا لكنه مدهش على أية حال !

هطلت قطرات الإغراء الأنثوى المكثف من عينيها . ضمت شفتيها فى رقة بالغة وكأنها تتذوق طعم قبلة مخدرة . قالت هامسة :

ــ كنت حمقاء عمياء .. لكن غيابك علمنى أن حياتى بعيدا عنك هى العدم بعينه !

ــ هل حدث شىء غيرك هكذا ؟!

ــ قتلنى الشوق إليك .. فأدركت كم كنت مقصرة فى حقك وأنا التى أعيش فى خيرك وحنانك وحبك !!

لم يتمالك نفسه فربت على وجنتها دون أن يفتح فمه بكلمة ، فاستأنفت فيضان مشاعرها الهادر فى صمت :

ــ حتى لحيتك التى صور لى غبائى وجهلى خشونتها ، أدركت فى غيابك أنها رمز الرجولة والفحولة الأصيلة !

اغرورقت عيناها بالدموع الصامتة فربت على وجنتها مرة أخرى قائلا بهمس متهدج :

ــ فلنؤجل كل شىء حتى يحتوينا بيتنا !

ــ لقد منحت زبيدة إجازة نصف يوم على أن تعود غدا متأخرة !

لم يرد طلال وإن كان قد شعر بسخونة جسدها الملتصق به برغم هواء العربة المكيف ، لكن يبدو أن حرارة مايو قد تقمصت جسدها . كان فستانها

الحريرى الوردى الخفيف ينساب حول حناياها ومنحنياتها كالغدير المترقرق وسط حديقة غناء فيحاء . فقد استخدمت أمل العطر المخدر الذى كان قد اشتراه لها فى أثناء إقامتهما فى باريس ، و لم تقربه إلا قبل مغادرتها الهرم اليوم بلحظات .

كانت الساعة تقترب من التاسعة والعربة السوداء تنطلق عبر شوارع القاهرة المزدحمة الصاخبة مثل وجدان أمل ، والمضيئة مثل رغبة طلال . تشتت الظلام وهرب إلى أعلى المدينة مثلما شقت العربة كوبرى أكتوبر وانحدرت يسارا مارة بسور حديقة الحيوان . سألها طلال فى تخابث كشفته فى الحال :

ــ كنت أريد المرور على أبيك لمناقشة آخر خطوات افتتاح مصنعى المياه الغازية والآيس كريم !

مالت برأسها مرة أخرى على كتفه :

ــ إن مشروع زواجنا السعيد يأتى فى مقدمة المشروعات كلها !

ترك رأسها هذه المرة على كتفه والعربة تخترق أسفل نفق الهرم فى طريقها إلى عش الأحلام الذى وقفت أمامه فهبطا منها وأسرع عبده إلى حمل الحقائب داخله . أمره طلال بك بإحضار السيد عبد الحميد غدا إليه فى تمام الساعة الحادية عشرة ، فاستأذن ومضى .

بمجرد إغلاق الباب عليهما احتضنته أمل فى شوق بالغ وانهالت على وجنتيه وشفتيه ولحيته بالقبلات الجافة ثم المبتلة ، فاحتضنها بدوره محاولا عصرها بين ذراعيه ، وعندما شعر بجسمه يعتصر ، لم يحتمل الضغوط المتصاعدة فتخلص منها برفق بحجة رغبته الشديدة فى الاستحمام للتخلص من وعثاء السفر . سبقته إلى الحمام لإعداده وخلط مياه البانيو الساخنة بعطور المسك والعنبر . تركته يدخل الحمام لتسرع إلى غرفة النوم التى رشتها بعطر باريسى أخاذ

عبق كل أركانها وسبح بين طيات هوائها الرطب المكيف . فى مواجهة الفراش وضعت مائدة صغيرة حملت كل المشهيات التى يفضلها طلال : الأسماك المشوية والكافيار والجبن الروكفور والجروبير وصلصة التوابل الهندية ولحم الضأن والويسكى والبيرة . تخلصت من فستانها الوردى وألقت به فى قاع دولابها ، كانت ملابسها الداخلية الحمراء القانية مركزة وموجزة للغاية بحيث لم تزد عن حجم الكفين . ارتدت قميصا من الدانتيللا السوداء الشفافة التى تصارعت مع بشرتها المرمرية البيضاء فأحدثت ثورة بركان أطلق حممه . لم يصل القميص إلى بداية الفخذين . نظرت إلى نفسها فى المرآة فوجدت شعرها الأسود الطويل الفاحم الناعم يمتزج بقميصها فبدت كأنها حورية من حوريات الأساطير التى داعبت خيال الإنسان منذ أقدم العصور .

ذهبت إلى جهاز الاستريو المثير فأدارته بموسيقى تنطلق بالمستمع على أجنحتها إلى آفاق لم يبلغها من قبل . خففت من أضواء الغرفة بحيث لم تترك سوى الضوء الأحمر الخافت المنبثق من الأباجورتين . كانت هناك كرة زجاجية معلقة فى أحد أركان الغرفة قرب السقف لم تحاول أن تعرف حقيقتها أو وظيفتها من قبل ، خاصة وأن طلالا لم يستخدمها من قبل . وضعت مقعدا تحتها ، وقفت عليه وضغطت على زر خلفها فإذا بها تدور فى مدارها النحاسى اللامع وتحول الغرفة كلها إلى نجوم متلألئة وكواكب أرجوانية وأقمار تتلاعب بكل ألوان الطيف .انقلبت الغرفة إلى كون يدور بمجراته وأفلاكه وشهبه ونيازكه ، والرأس يدور معه دون أن تمس الشفاه قطرة واحدة من الخمر .

شعرت أمل أن الجرعة تضاعفت أكثر مما يجب . كانت على وشك إيقاف الكرة البلورية ، لكنها تذكرت فى وقفتها فوق المقعد أنه لم يتبق على امتحانها أكثر من أسبوع فهبطت وأعادت المقعد إلى المائدة الصغيرة . استرخت على

ظهرها فوق فراشها ودارت عيناها مع دوران الألوان والأضواء والأشكال الفلكية التى أزالت جدران الغرفة وانطلقت بها إلى أبعاد وأغوار سحيقة فى الكون .

طغت الموسيقى الصادحة فى أركان الغرفة فلم تسمع أمل أقدام طلال الذى وقف بروب الحمام مذهولا بما يدور : الموسيقى والأضواء والعطور والمائدة الصغيرة الحافلة بالمشهيات ، والفتنة المسترخية على الفراش . تلاشت كل التساؤلات التى احتشدت فى ذهنه لانشغاله باحتمالات ما سوف يجرى . هل يمكن أن يكون هذا الانقلاب نتيجة للشوق الذى قتلها أم أنها تضمر شيئا آخر ؟ إنها صغيرة لكنها داهية ! لأول مرة يواجه بتحد حقيقى فى عالم النساء ! حتى فدوى الناضجة الخبيرة كانت أوضح من هذه المراهقة التى تصور فى بداية الأمر أنها ستكون لعبته . فدوى تريد الثروة والرفاهية فى مقابل المتعة التى تقدمها له بالمواصفات التى يريدها ، أما هذه النائمة المبتسمة المتفجرة فلا يعرف اتجاه الريح معها ؟! لقد أحالت الغرفة إلى قارب صغير وسط محيط متلاطم الأمواج وهادر بالإغراء الذى لا يقاوم ، حتى الغرق فيه يصبح متعة لا تعادلها متعة .

لم تنهض أمل وإن كانت قد تقلبت قليلا دون أن تغادر عيناها وجهه الذى بدا عليه بعض الشحوب هذه المرة . قبل التحدى فجلس إلى جوارها . التفت ذراعاها حول رقبته فانحنى عليها . ألصقت شفتاه بشفتيها . احتملت شفتها السفلى أشواك لحيته الصغيرة . انعكست أضواء الكرة البللورية وألوانها على صلعته التى لمعت فبدت تجاعيد وجهه واضحة فى عينيها اللتين فتحتهما وأغلقتهما مع لمح البصر . أبعدته فى رفق :

ــ سنتناول عشاءنا أولا فلابد أنك جائع ؟!

كان قد تناول عشاءه فى الطائرة ، لكنه وجد فى العشاء فرصة مواتية

لتأجيل الامتحان . عجيب أمر هذه الفتاة ! لقد جعلته من حيث لا تدرى ، يشعر أنه مقبل على امتحان معها وهو الذى خبر كل أنواع النساء على سطح هذه الأرض ؟! نهض واقفا :

ــ عندك حق !

نهضت بدورها قافزة وجلست إلى المائدة فى مواجهته . لم تغادر الابتسامة الغامضة وجهها وهى تضع قطعة من الكافيار فى فمه الذى كشف عن ثلاثة أسنان لبست طرابيش ذهبية . كان ينظر إليها فى ريبة تحولت إلى خوف ، لكنه تدارك الأمر وتجرع كوبا من البيرة المثلجة أعقبها بكأس من الويسكى ، وأمل تسرع إلى إعداد الكأس وراء الكأس مع قطع السمك والجبن واللحم المتدثر بالتوابل الهندية . امتزجت النشوة فى رأسه بالسخونة فى جسده فاستعاد ثقته فى فحولته . سيريها ليلة العمر ، سيثبت لها أن نضج الرجولة خير ألف مرة من طيش الشباب .

انتهت المأدبة المتأجحة المتوهجة . عادت أمل إلى فراشها تتابع بقع الألوان والأضواء المتحركة على جسدها كما لو كان جسد امرأة أخرى . لم تعرف أن لها شخصية يمكن أن تأتى بمثل هذه التصرفات . لكنها على كل حال أعجبت بنفسها ، فلأول مرة تجد نفسها سيدة الموقف بلا منازع . ظلت تنادى طلالا بعينيها فاضطر إلى أن يصب آخر كأس فى جوفه وذهب للاسترخاء إلى جوارها . حركت الهواء بيدها أمام وجهها ثم خلعت قميصها وألقت به إلى جوار الفراش . تذكر طلال روب الحمام حول جسده فخلعه بدوره . تلاعبت بالشعيرات القليلة المتعلقة بصدره . ثم نهضت واقفة إلى جوار الفراش وهى تأتى بحركات إيقاعية على النبضات الموسيقية الصادحة والأطياف الضوئية الدائرة التى تحالفت مع الخمر داخل طلال فنهض جالسا وهو يفرك عينيه . إنها ترقص وتتعرى أفضل من راقصات فرنسا . إنها متعة

للعينين المحدقتين الآخذتين فى الاتساع بلا انطباق للرموش . أخذت فى الاقتراب منه على ركبتيها فوق الفراش مستعرضة بالحركات الرشيقة المنتظمة كل مكامن الفتنة والإغراء فيها . تكسرت كل قيود الخجل ، فهو زوجها على كل حال . وهى لا تفعل ذلك أمام غريب . انحنت بشفتيها الساخنتين تطارد بهما مواقع البرودة فى جسده فلم يحتمل أكثر من هذا واحتواها بكل كيانه . سألته :

ـــ هل تحبنى كما أحبك ؟!

ـــ بل أكثر !! إننى على استعداد لأن أحضر القمر إليك لو شئت !!

ـــ إننى لا أطلب المستحيل ! إنما مجرد طلب بسيط للغاية !

ـــ سألبى لك ما تشائين !

ـــ هذا وعد ؟!

ـــ ولا يمكن أن أرجع عنه !

ـــ كما أرجو ألا تظن أننى خدعتك !

حاول أن يفيق لكن الأوان كان قد فات :

ـــ لا أفهم ما تقصدين ؟!

خرجت ألفاظها واضحة محددة برغم موجات الموسيقى الصادحة :

ـــ قبل أن تتقدم لطلب يدى كنت قد قدمت أوراق إلى مكتب تنسيق الجامعات وقبلت بالفعل بكلية الآداب .. لكننى أطعت أوامرك بعدم الذهاب إلى الجامعة .. وكل ما أطلبه الآن أن تسمح لى بالتقدم إلى الامتحان وإن كنت واثقة من رسوبى !

حاول طلال أن يتذكر الكتب التى رآها بين يدى أمل ، لكنه استراح لإطاعتها الأوامر ، أما الامتحان فأمره سهل إذا كان رسوبها مؤكدا كما تقول . سألها :

— وما سر اهتمامك بحضور الامتحان ؟!

— ليس فى الأمر أى سر !! كنت أهرب من الملل فى غيابك بالشوق إليك وبقراءة كتب الفلسفة .. ولولا ذلك لما احتملت غيابك !

سرت داخله نشوة الفخر بنفسه :

— لا أستطيع التراجع فى عهد قطعته على نفسى !!

— لست حريصة على التقدم للامتحان .. لكن أرجو أن تجعلنى كظلك حيثما تذهب إذا رفضت فكرة الامتحان .. فإن الشوق فى غيابك عذاب لا يحتمل !!

حاول تركيز تفكيره قدر الإمكان :

— لا بأس من التقدم إلى الامتحان إذا اقتصر الأمر عليه !

كبحت جماح نشوة الانتصار وقالت هامسة فى أذنه وهى تقبلها :

— وإن كنت أفضل أن أبقى بجوارك جارية لك ؟

عصفت به الرغبة فأغرقها بالقبلات والكلمات اللاهثة المتقطعة بينها :

— هذا والله منتهى الحب !! الأخريات يسلكن هكذا لكنهن لم يصرحن به على الإطلاق !! إن سحر الكلمة من أشد الخمور وطأة فى العالم !!

لكن الوهن بدأ يدب كالنمل الزاحف فى أطرافه . تخلص منها برفق وهرع إلى مقعده المفضل فى الركن القابع تحت الكرة البللورية . قفزت عيناه تمسح جسدها بجنون . فرأى ما لم تره عينا رجل من قبل . دارت أمل فى دوامة الضوء واللون والموسيقى والعرق حتى نسيت خوفها القديم من السوط الصغير ذى المقبض العاجى والرأس الذهبى القابع فى حقيبته الصغيرة التى تلازمه كظله .

١٢

سارت الأمور كما اشتهت أمل وخططت لها تماما . كانت أيام الامتحان هى أيام التحدى الأكبر . فقد حاربت فى جبهتين بصمود لا يعرفه سوى أشد الرجال مراسا . لكنها حرمت من لقاء جلال الذى كانت تتمتع به أحيانا عندما يسير معها من الجامعة حتى باب العمارة ، وهما يتجاذبان أطراف الحديث عن كل شىء يخطر على بالهما . كان الأسطى عبده يقوم بتوصيلها ثم يعود قبل الميعاد الذى تحدده له لإعادتها إلى الهرم . وقد لاحظ جلال بدوره تحفظها الشديد معه بل وتجنبها إياه ، فاحترم رغبتها ، خاصة وأن هذا السلوك تجاوب تماما مع نظرته إليها كسيدة متزوجة ، وهى نظرة كانت حافلة بكل آيات الاحترام والتقدير والفهم العميق .

أما عبد الحميد والست مفيدة فلم ينقشع الذهول عن سلوكهما تجاه ابنتهما أو طفلتهما التى تأتى بالعجائب وكأنها تملك خاتم سليمان الذى أحال طلالا إلى خاتم فى إصبعها . كيف أقنعته واستدرجته إلى الموافقة على التقدم للامتحان ؟! لم يعرفا ! فلم تعد أمل تصارحهما بشىء . لكن سعادتهما الدافقة جعلتهما يغفران لها غموضها الذى أوعزاه إلى وجودها فى قصر الهرم بعيدا عنهما وانهماكها فى الامتحان وانشغالها بزوجها ، وإن كانا قد حرصا على رؤيتها بصفة يومية تقريبا .

انتهى الامتحان مع زيارة طلال لمصر . شعرت أمل بفراغ يكاد يبتلعها تماما . ليس لأن طلالا قرر الرحيل ولكن لأن معركة الامتحان التى خاضتها كانت قد شغلتها تماما . والآن حلت الإجازة التى لن ترى فيها جلالا طوال ما يقرب من أربعة أشهر . عرضت على طلال أن يصطحبها معه حتى تكون إلى

جواره ، وإن كانت رغبتها الحقيقية هى رؤية المزيد من أوروبا التى سحرتها برغم كل شيء ، لكنه قال لها إنه عائد إلى زيورخ ليقضى فيها أكثر من شهرين ، وهى مدينة مملة وإن كانت جميلة ، فلن تجد فيها من يلقى عليها بتحية الصباح أو المساء فى حين سيكون مشغولا فيها بأعماله ليل نهار . خافت أمل أن يكون كلامه محاولة لجس نبضها بخصوص فدوى ، فلم تقل سوى أنها ستكون فى انتظاره على أحر من جمر ، وأنها ستظل تعد الأيام حتى عودته القادمة إلى القاهرة ، التى تتمنى من أعماق قلبها أن تكون بأسرع ما يكون .

لم تجد أمل صديقة خيرا من وفاء فى تلك الإجازة المملة . كانت أمل قد أخبرت جلالا برقم تليفونها حتى يتصل بها ، وعليه ألا يفتح فمه بكلمة إذا رد عليه أبوها أو أمها أو دادة حفيظة . لكن لم يحدث أى اتصال وإن كان رنين التليفون قد تكرر على فترات متقطعة دون مجيب حتى عند ردها عليه ، فشكت أمل فى سمير . سمعت فى إحدى المكالمات الصامتة موسيقى صاخبة من النوع الذى يعشقه سمير ويتكلم عنه دائما ، أما جلال فسوف يتصل بها من تليفون كشك السجائر الواقع على ناصية الزقاق والحارة حيث ضجيج الصبية الذين يجرون فى كل مكان كالجرذان ، هذا فى حالة اتصاله الذى لم يتم حتى الآن .

فى يوم ظهور النتيجة مرت عليها وفاء وذهبتا سويا إلى الكلية . كانت أمنية أمل فى رؤية جلال ومقابلته لا تقل فى حرارتها عن رغبتها الشديدة فى التفوق الذى إذا تحقق فإن جانبا كبيرا منه يرجع إليه . بمجرد دخولهما مبنى الكلية قابلهما سمير بسرواله الأبيض الضيق وقميصه المشجر المفتوح قرب الحزام وسواره الذهبى فى اليد اليمنى . قال لأمل :

ــ ألف مبروك .. تقديرك ممتاز وترتيبك الثانية على الدفعة !

سألته دون تفكير :

— هل ظهرت النتيجة ؟!

— منذ نصف ساعة فقط !!

سألته وفاء وصدرها يعلو ويهبط فى عنف :

— وأنا يا سمير .. هل رأيت نتيجتى ؟!

أجاب سمير وهو يزيح خصلة شعره البنى إلى الخلف :

— وأنت أيضا مبروك .. كان تقديرك جيد جدا !

ردت الروح إلى وفاء فاستدركت متسائلة على سبيل المجاملة :

— وأنت .. هل أستطيع أن أبارك لك ؟!

أجاب مبتسما لأمل :

— نجحت بتقدير جيد ..

كانت عينا أمل تمسحان المدخل والممرات المتفرعة عنه لكنها لم تجد أثرا له . لاحظ سمير عينيها فقال وهو يكاد يغمز بطرف عينه اليسرى :

— أما جلال فهو أول الدفعة !

سألته أمل بعينين زائغتين :

— أين النتيجة ؟!

— معلقة فى مدخل القسم !

قالت أمل بعفوية بالغة :

— هيا بنا لنرى ما الأخبار !

سارت معها وفاء وخلفهما سمير حيث تناثر الطلبة الذين عرفوا نتيجتهم فى الممر فى حين تكأكأ الآخرون على اللوحة الزجاجية التى احتوت عدة كشوف . لم تهتم أمل بشق طريقها وسطهم . فلم تكف عيناها عن التقاط كل الواقفين والسائرين والمتكلمين لكنها لم تجده . دست وفاء نفسها حتى بلغت اللوحه للتأكد بنفسها . ظلت أمل واقفة بعينيها الزائغتين وسمير يتأملها

بابتسامة توشى بالسخرية الخفيفة ثم سرعان ما تمسح عيناه بنطلونها الأبيض باستداراته الجميلة المغرية ، والذى سعد باتفاقه مع لون سرواله . عادت وفاء من وسط الزحام والطمأنينة السعيدة تشيع فى وجهها . قال سمير دون محاولة لإخفاء رنة السخرية فى نبراته :

— يبدو أن السيد الفاضل أول دفعتنا .. رأى النتيجة لحظة ظهورها ثم هرع إلى الأسرة الكريمة ليبشرها بالنصر العظيم !

سألته أمل وهى تكظم غيظها :

— ألم تكن موجودا ساعة ظهورها ؟!

دار حول السؤال بإجابة أخرى :

— أو أنه كان واثقا من نفسه لدرجة أن النتيجة فى نظره تحصيل حاصل !!

دهشت وفاء للهجة التى يتكلم بها سمير عن جلال فقالت محذره مداعبة :

— لا تنس أننا كلنا معجبون به ! فهو حبيب الكل دون منازع !

— وفيلسوف الغبراء أيضا ؟!

قالها وقد تحولت السخرية فى نبراته إلى غيرة وحقد لكن وفاء لم تصمت :

— إن هذا اللقب تقدير له ممزوج بالدعابة ولا يحمل فى طياته أى استهزاء أو سخرية .. فالطالب الذى يناقش ويجادل فى المحاضرة خير من الذين يجلسون وكأنهم صم بكم لا يفقهون !

سألها سمير فى صفاقة واضحة :

— من تقصدين ؟!

أجابت وفاء والتحدى يقفز من ألفاظها :

— لا أقصد أحدا بالذات !

لم تكن أمل ملتفتة إلى الحوار بقدر ما كانت تأمل أن تقع عيناها على جلال الذى لم تر له أثرا . هل هو مريض ؟! هل عرف نتيجته وذهب إلى حال سبيله

بحيث لم يره سمير ؟! أم أنه لم يعرف أنها ظهرت ولذلك لم يكلف نفسه مشقة المجىء ؟! أم أن هناك ما منعه من المجىء ؟! لأول مرة ينهشها القلق عليه بهذا الشكل الغريب الذى لم يخف على سمير فلم يكتم وقاحته :

ــ يبدو أن الأنيميا المصاب بها قد منعته من الحضور .. وخاصة أن المسافة بين ميت عقبة والجامعة طويلة لمن يقطعونها سيرا على الأقدام !!

لم تحتمل أمل وقاحته فضغطت على يد وفاء حتى تمنعها من الكلام وقالت :

ــ إن الأنيميا الجسدية أرحم ألف مرة من الأنيميا العقلية !

ــ ماذا تقصدين ؟!

ــ أقصد هؤلاء الذين يتمرغون فى الذهب فى حين لا يساوى عقلهم قطعة من الحديد الصدىء !

لم يستسلم سمير للهجوم الكاسح :

ــ إنهم لم يتمرغوا فى الذهب إلا لاستخدامهم لعقولهم التى تتهمينها بالصدأ !!

ــ عندما تهبط الثروة على الإنسان من حيث لا يدرى ، فإنه لا يعرف قيمتها ويتصور أنها تمنحه القدرة على التلاعب بقيمة الآخرين !!

تدخلت وفاء حتى لا يتصاعد التوتر إلى قمم أخرى :

ــ هيا بنا .. إن هذا الممر مزدحم وحار .. والحديقة فى الخارج لابد أن تكون أكثر إنعاشا !!

تحركت وفى أعقابها سارت أمل ، فكر سمير للحظات ثم لحق بهما خارجا . كان قد ترك سيارته البيضاء الجميلة بجوار الحديقة ، سبقهما إليها . فتحها ودعاهما لتوصيلهما إلى البيت . رفضت وفاء بهزة من رأسها وابتسامة شاكرة فى حين قالت أمل :

— لقد اعتدت السير على الأقدام إلى البيت مع وفاء .. إنها نعمة كبيرة نتمنى ألا يحرمنا الله منها !

عادت إليه صفاقته :

— ذلك لأن المسافة قصيرة جدا .. أما أنا فأفضل الركوب دائما والاستمتاع باستريو السيارة !!

لم تسكت صوت التحدى داخلها :

— وخاصة الموسيقى الصاخبة التى يسمعها بعض الناس بالإكراه عندما يدق جرس التليفون ويرفعون السماعة ولا أحد يجيب !!

نظر إليها وكأنه على وشك أن يقول شيئا ، لكنه تجاهل ما قالته وأشار إليها بيده مودعا وانطلق بسيارته محدثا ضجيجا ودخانا أزعج الواقفين وسط الحديقة وحولها .

قالت وفاء لأمل :

— يبدو أنه يستمتع بمراهقته إلى أقصى حد !!

قلبت أمل شفتيها فى اشمئزاز واضح و لم ترد . سارت مع وفاء فى طريقهما إلى الشارع الذى يفصل حديقة الأورمان عن حديقة الحيوان ، ويبدأ بنصب شهداء الجامعة وينتهى بتمثال نهضة مصر . كان النهار ساخنا منذ بدايته والشمس تلهب الوجوه بسياطها . لاحظت وفاء توتر أمل برغم تفوقها العظيم فى الدراسة ، فلم تكن بالسذاجة التى يمكن أن تخفى عن عينيها هذا الشىء الغامض الذى يربطها بجلال ، وإن كانت قد تجاهلت مناقشته تماما معها خوفا من أن تخوض معها منطقة وعرة تتجمع فيها كل الصخور والمتناقضات بين جلال وطلال . قطعت وفاء حبل الصمت :

— إننى أدعوك إلى الغداء معى اليوم احتفالا بنجاحنا !!

قالت أمل بصوت لا يحمل بصمات الابتهاج المفروض فى موقف كهذا :

ــ ستقلق ماما عليّ .. فهى تعرف أننى سأعود إلى البيت بمجرد معرفة النتيجة !

ــ الأمر فى غاية البساطة .. سنتصل بها تليفونيا لتهنئتها بتفوقك . وإبلاغها بتأخرك حتى العصر أو المغرب !

كانت أمل على وشك مقاومة إغراء الدعوة لكن وفاء أضافت بحسم :

ــ إننا لم نجلس على انفراد منذ نتيجة الثانوية العامة !!

سرحت أمل ببصرها عبر الشارع المغطى بالأشجار الكثيفة الباسقة ، وتذكرت ذلك اليوم . إنه يبدو بعيدا بُعد عشرات السنين برغم أنه مر منذ عام واحد فقط . قالت وشبح ابتسامة يرتسم على محياها :

ــ كما تشائين !!

عاد الصمت مرة أخرى يطبق عليهما وهما يعبران الشارع الجانبى المؤدى إلى كورنيش النيل الذى تراجعت فيه الشمس قليلا بسياطها اللاهبة . فى عمارة عالية تطل على النيل دخلت أمل مع وفاء إلى المصعد حيث الدور الثالث . أدارت وفاء المفتاح فانفتح الباب ودخلت خلفها أمل وهى تتذكر لحظات السعادة والمذاكرة التى قضتها مع وفاء . دخلت وفاء المطبخ وأنبأت عم سلامة بمجيئها . فهو يتردد على البيت فى الأسبوع مرتين لإعداد الطعام . ذلك أن أم وفاء تعمل أستاذة بكلية الطب ، فى حين يشغل أبوها رتبة اللواء فى سلاح المهندسين . أما وفاء فطفلة أبويها المدللة لأنها آخر العنقود بعد ثلاثة أبناء : الأول يعمل معيدا فى كلية الطب ، والثانى فى السلك الدبلوماسى ، والثالث تخرج هذا العام فى كلية الهندسة والتحق بسلاح المهندسين كأبيه .

قادت وفاء أمل إلى الشرفة المطلة على النيل حيث الكراسى البامبو المتناثرة حول مائدة مستديرة عليها مفرش أخضر مثبت بدبابيس رسم . جلست أمل وسرعان ما اختفت وفاء ثم عادت حاملة صينية عليها زجاجتان من المياه

الغازية المثلجة التى ينتجها زوجها طلال وتغطى إعلاناتها شاشات التلفزيون وإعلانات الشوارع وصفحات الصحف . ابتسمت أمل وهى تتناول الجرعة الأولى . لاحظت وفاء ابتسامتها وهى تجلس فى مواجهتها :

— أراك تبتسمين لأول مرة منذ أن قابلتك هذا الصباح ؟!

أجابت أمل وهى تملأ عينيها بالنيل وأشجاره العريقة :

— لأنك لم تجدى مشروبا تقدمينه لى إلا المشروب الذى ينتجه طلال !

رفعت وفاء حاجبها الأيمن فى دهشة ثم استرخت فى مقعدها :

— لم أكن أعرف أن له مشروعات بهذه الضخامة ؟!

— إنه يتصور أن فى إمكانه شراء البشر أنفسهم بأمواله الطائلة !

بدت الجدية المطلقة على وجه وفاء وهى تنتهى من زجاجتها :

— أتعرفين يا أمل أننى كنت أظن أنك ارتكبت غلطة عمرك يوم رضيت بالزواج من طلال .. ولم أر فى الضغوط التى تعللت بها سوى غطاء لإخفاء موافقتك الحقيقية .. لكننى فى الشهر الأخير تأكدت أنك كنت على صواب فى قرارك هذا !

وضعت أمل زجاجتها دون أن تكملها :

— لابد أن تعرفى يا وفاء أننى إذا كنت أضطر أحيانا إلى الكذب على طلال فإننى لم أكذب على أى إنسان آخر فى حياتى .. ولذلك فالضغوط التى حدثتك عنها كانت ضغوطا حقيقية تماما .. ولولاها لما رضيت بالوضع المهين الذى أعانيه !

مسحت حمرة الحرج وجه وفاء :

— لم أكن أقصد هذا .. وإنما كنت أريد أن أقول إن رغباتنا ومثلنا وأحلامنا شىء والواقع شىء آخر تماما !

— فعلا .. لم أقابلك كثيرا فى الفترة الأخيرة ! ولا أعرف ما الذى غير

تفكيرك ؟

ـــ كنت قد تعرفت على شاب لطيف للغاية كان يجلس إلى جوارى ذات مرة فى المكتبة .. تبادلنا الحديث الهامس فعرفت أنه معيد بكلية الهندسة وعلى وشك أن يناقش رسالته للماجستير فى نوع جديد من الخرسانة استطاع أن يبتكره من خلال أبحاثه ، ويتميز بسعر رخيص للغاية ويصلح لبناء المساكن الشعبية بصفة خاصة .. وكان حماسه للمساهمة فى حل أزمة الإسكان لا يقل عن حماسه للحصول على الماجستير . وتعددت لقاءاتنا فى المكتبة ثم انتقلت إلى الحديقة والكافتيريا . وكان الإعجاب متبادلا بيننا ، أو نوع من الحب القائم على اتفاق فى الميول الفكرية والعقلانية أكثر من مجرد عاطفة هوجاء أو حب من ذلك النوع الذى نقرأ عنه فى الروايات . حكى لى كل شىء عن نفسه وعائلته . فهو الأخ الأكبر لأربع أخوات ، وأبوه موظف حكومى كادح أوشك أن ينهى مدة خدمته ، أما أمه فهى ست بيت . وحالة أسرته الاقتصادية لا بأس بها . فهم يعيشون فى منزل يملكه الأب فى إمبابة ويدر عليه إيرادا من تأجير الطابقين الآخرين .

كانت أمل تتابع الحكاية باهتمام بالغ جعلها تعلق دون تفكير :

ـــ أى أنه ينتمى إلى الطبقة المتوسطة ؟!

ـــ فعلا .. المهم أنه وسط حماس الإعجاب والحب تقدم لطلب يدى من بابا .. كانت زيارته لطيفة هادئة لكن حقائق الواقع جثمت عليها كالكابوس !

كانت أمل على وشك أن تفتح فمها للحديث لكن وفاء استمرت وكأنها تسعى إلى التخلص من عبء يبهظ كاهلها :

ـــ كان أول سؤال لبابا عن الشقة .. احتار باسم ووعده بالبحث عن واحدة .. ثم سأله عن المهر والشبكة فقال إنه سيدخر أقصى ما فى وسعه حتى

يفى بطلباته .. كما شاركت ماما فى الحوار فقالت ضاحكة : إن من يسعى للإسهام فى حل مشكلة الإسكان لابد أن يبحث عن شقة لنفسه أولا !!
وانتهت الزيارة بوعد بابا له بالموافقة على زواجنا إذا وجد الشقة المناسبة خاصة وأننى لا أزال فى السنة الأولى بالكلية .. وبابا لا يؤيد زواجى فى أثناء الدراسة .. حتى لا أتمزق بينها وبين مسئوليات الزواج .. لكننى لم أشعر بالتمزق فعلا إلا بعد ارتباطى بباسم .. إن حياتى معه أصبحت حلمى الأكبر فى حين أن الواقع يجبرنى على أن أصحو منه عنوة ! حتى حلمى بالعمل بالصحافة لم يعد يلح علىّ كما كان من قبل !

امتلأت نبرات أمل بالعتاب المتسائل :

— كل هذا جرى دون أن يكون عندى أية فكرة عنه ؟! وأنا التى كنت أحكى لك عن حياتى خطوة خطوة ؟!

نظرت وفاء إليها فيما يشبه الحرج لكنها تساءلت فى حسم :

— لم أحك لك شيئا عن باسم لأنك كنت مشغولة فى الفترة الأخيرة إما بطلال فى البيت أو بجلال فى الجامعة !!

اعتدلت أمل فى جلستها المسترخية . فقد كانت المرة الأولى التى تفتح فيها وفاء موضوع جلال بهذه الطريقة الغريبة التى تدل على أنها كتمته فى نفسها مدة طويلة . سألتها أمل فيما يشبه الذهول :

— ما هذا الذى تقولينه عن جلال ؟! إنك تتكلمين عنه كما لو كنت قد غرقت تماما فى حبه ؟!

لم تنفعل وفاء بل وضعت النقط على الحروف :

— إن صداقتنا يا أمل هى صداقة العمر .. فإذا لم أصارحك بكل شىء فلن تجدى النصيحة الخالصة من أى إنسان آخر .. خاصة وأن عمى وطنط لا يعرفان شيئا عن موضوع جلال !!

حاولت أمل التماسك وادعاء الاسترخاء فى مقعدها :

— ليس بينى وبين جلال سوى زمالة جامعية بحتة .. وغير ذلك مجرد أوهام فى ذهنك ليس لها أساس من الصحة !!

تقبلت وفاء التحدى بصدر رحب ووجه باسم :

— يمكنك أن تقولى هذا الكلام لأى شخص آخر إلا أنا !! إنك عجزت هذا الصباح عن إخفاء خيبة أملك عندما لم تجدى أثرا لجلال .. فقد كان كيانك كله مشتاقا للقائه !!

وجدت أمل أن المكابرة لن تجدى . بل وجدتها فرصة لمناقشة وفاء التى تثق فى حبها وإخلاصها لها حتى تستنير برأيها . بدا شبح ابتسامة غامضة على وجهها وتساءلت :

— أتظنين أنه فى الإمكان أو أنه من المحتمل أن أقع فى حب جلال على الرغم من أننى متزوجة من رجل أعمال مليونير ، إذا ما قورن بجلال فإنه يبدو فقيرا معدما ؟!

ضحكت وفاء ضحكة سريعة عابرة :

— بهذا الأسلوب الذى تعودناه يمكننى مناقشة كل شىء معك .. من المحتمل جدا أن تقعى فى حبه لأنه يملك الشباب والثقافة والفكر الناضج العميق فى مواجهة ثروة طلال وكهولته وفكره الذى لا يعرف سوى مضاعفة أمواله بأقصر الطرق وأسرع الوسائل .. مثل المياه الغازية التى شربناها الآن !

نظرت وفاء إلى زجاجة أمل التى لم تفرغ من معظمها :

— لماذا لم تشربى زجاجتك ؟!

تجاهلت أمل سؤالها بسؤال آخر :

— وهل لاحظ الزملاء والزميلات أى شىء بينى وبين جلال ؟!

— إياك أن تظنى العمى والغباء واللامبالاة بالآخرين ! فنحن شعب مغرم

بدس أنفه فى شئون الآخرين ! وسمير أكبر دليل على ذلك !

— إنه لم يلق منى سوى كل إعراض وإهمال واحتقار !

— وهذا أكبر دليل عملى على حبك لجلال .. فسلوكك معه اليوم دل على أنك لا تحتملين أى تعريض بجلال حتى لو كان تلميحا !

— تتكلمين كما لو كان حبى لجلال قد أصبح حقيقة لا تقبل المناقشة أو الجدل ؟!

— لم أرك من قبل تحاولين خداع نفسك ؟!

اتكأت أمل بمرفقيها على المائدة البامبو مسندة وجنتيها إلى يديها :

— إنك تمسين يا وفاء وترا مشدودا داخلى !! إننى أعترف لك أننى وقعت بين شقى الرحى .. فأنا لا أستطيع طلب الطلاق من طلال للأسباب التى تعرفينها جيدا .. كذلك لا أقدر على إلغاء وجود جلال من حياتى بعد أن أصبح جزءا منها !!

— إننى ألتمس لك كل العذر .. فجلال شاب مهذب مثقف راقى الفكر والسلوك .. ولولا فقرة البادى لكل ذى عينين .. لكان حلم كل فتاة ! لكن لابد من حسم الأمور قبل أن تتفاقم ويصعب التحكم فيها ! فمثلا لابد أن تضعى فى اعتبارك احتمال معرفة طلال بالأمر وسلوكه فى مثل هذه الحالة ! كذلك لابد أن تتأكدى من نوعية شعور جلال تجاهك !

أجابت أمل بعفوية بالغة :

— إنه فى غاية الرقة .. بل ويخاف علىّ من النسيم العليل ؟!

— لكنه لا يستطيع أن يتزوجك حتى لو حصلت على الطلاق من طلال !

— لقد كونت الآن ثروة لا بأس بها يمكننى أن أعيش عليها العمر كله !

— لكنه ليس من النوع الذى يحتمل العيش على ثروة زوجته !

ومض فى ذهن أمل تساؤل كالبرق فى الليلة المظلمة :

ــ إنه موقف مشابه لموقفك من باسم !

قاطعتها وفاء :

ــ إننى لا أرى هذا التشابه ؟!

ــ أقصد ماذا تنوين أن تفعلى لو عجز باسم عن العثور على الشقة المناسبة وتنفيذ طلبات عمى وطنط ؟!

حاولت وفاء التملص من الرد المباشر :

ــ لا تزال أمامنا ثلاث سنوات يمكن أن يتغير فيها حال الدنيا كلها !

عادت أمل إلى حسمها القديم :

ــ لم تجيبى عن سؤالى ؟!

ــ لو ظلت الأمور على تأزمها .. وهذا ما لا أرجوه على الإطلاق .. فلن أهرب معه مثلما تفعل الطائشات فى الروايات إياها .. فلا يمكننى أن أهرب معه لأعيش فوق الرصيف أو مع أسرته على أحسن الفروض !

ــ الغريب أنى أحكم العقل تماما مثلك .. لكننى فى حالة جلال أكاد أشعر بالعجز الكامل عن اتخاذ قرار حاسم !

ابتسمت وفاء فبدت شفتاها حمراوين مكتنزتين دون أحمر شفاه :

ــ ربما تكفل الزمن بحل مشكلتك أنت أيضا !! فأنت لست فى عجلة من أمرك وكذلك جلال !!

مثل غريق وجد قشة أمسكت أمل برأى وفاء :

ــ قال لى جلال ذات مرة إن بعض المشكلات تبدو مستعصية الحل .. لكن إذا صبر الإنسان قليلا فربما قدمت له الأيام حلا لم يكن يخطر على باله إطلاقا .. فى هذه الحالة لن يكون الصبر استسلاما أو مضيعة للوقت بل سيصبح ترقبا للمتغيرات وإمساكا بالفرص قبل أن تضيع !

تحول الابتسام على وجه وفاء إلى ضحكة عذبة :

— يبدو أنك أصبحت من تلاميذه أيضا ؟!

أجابت أمل بجدية بالغة منعتها من مشاركتها الضحك :

— إنه أستاذ بمعنى الكلمة برغم صغر سنه ومعاناته الاقتصادية !

نهضت وفاء قائلة :

— سأتصل بطنط وأهنئها بتفوقك وبتناولك الغداء معى !

أكملت وفاء جملتها الأخيرة ضاحكة وهى تختفى فى الداخل . سرحت أمل ببصرها عبر الشريط الأخضر الذى يغطى رصيف الكورنيش . كانت الشمس لا تزال فى عنفوانها النارى ، والقار فى الشارع أصيب باللين فى بعض مساحاته . جاء كهل يحمل جردلا ملونا عليه علامة شركة طلال للمياه الغازية ، وداخله زجاجات فرغت كلها من محتوياتها . وضع الرجل الجردل إلى جواره بعد أن جلس تحت ظلال شجرة تميل على صفحة النيل تكاد تقبلها ، ثم لم يلبث أن تمطى وتمدد وراح فى سبات عميق . قطعت وفاء تأملات أمل وهى واقفة عند الباب :

— طنط مفيدة ترغب فى تهنئتك شخصيا !

أشارت أمل إلى الكهل الغارق فى نومه برغم أبواق السيارات المارقة :

— كيف يستغرق فى نومه هكذا وسط ضجيج السيارات وهجير الشمس ؟!

أطلقت وفاء ضحكتها قائلة وهما فى طريقهما إلى التليفون :

— حسدوا الغجر على ظل الشجر !

١٣

أدركت أمل سواء من دراساتها الفلسفية أو مناقشاتها مع جلال ، استحالة الجمع بين الأضداد . لكنها فى الوقت نفسه تمسكت بفكرة الزمن الكفيل بحل أعقد المشكلات ، وكلما تأزمت بها الأمور كانت تعزى نفسها بمثلها الذى أصبح أثيرا عندها : ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال .

ومضى الزمن بموكبه المهيب الذى بدا فى نظر أمل وكأنه لا يعبأ بآلام البشر وآمالهم . فالسنة الدراسية كانت تمر كالحلم للقائها اليومى مع جلال ، فى حين كانت العطلة الصيفية تقبع كالكابوس لحرمانها منه . كانت قد عرضت عليه الالتقاء به خفية برغم كل شىء ، لكنه كان يخاف عليها كعينيه . كانت فى نظره طيفا جميلا وفكرة ملهمة وحلما رائعا ، فقنع بالأحاسيس المنتشية التى تثيرها داخله . وفى الصيف كان يعيش على ذكريات الشتاء ، وعندما كانت الجرأة تبلغ به أوجها . كان يتصل بها مرتين أو ثلاثا ولا تستمر المكالمة أكثر من دقائق معدودات . لكنه كان يتخذ منها زادا لأحلامه وأفكاره فى انتظار مقدم الخريف الساحر .

لم يكن يعرف ما يريده منها ، لكنه كان متأكدا أنها الأمل الذى يمنح حياته معنى ويحيل ظلامها إلى نور ، وكآبتها إلى بهجة . فهى متزوجة من مليونير وهو فقير معدم . ولذلك لم يخطر بباله فى لحظة من اللحظات أن زواجها منه يمكن أن يكون أمرا محتمل الوقوع . وكعادته فى فلسفة الأمور ، قنع بالأمر الواقع وبأن ارتباطه بها يجب أن يكون غاية فى حد ذاته وليس مجرد وسيلة مؤقتة أو طارئة ، ويكفى أن يكون السبب فى سعادتها وتفوقها الذى استمر حتى السنة الثالثة برغم غيرة سمير وحقده المتصاعد ومستواه العلمى المتدهور . كان

جلال يدرك تماما ما يدور داخل سمير الذى ظن — وهو الفتى الوسيم الأنيق الثرى — أنه أولى بأمل ، وأنه سيفوز بها إن عاجلا أو آجلا ، برغم كل مظاهر الإعراض والإهمال التى تصر عليها كلما دار بينهما حوار أو جدل عقيم كعادته .

لكن صواب سمير طاش عندما مرت السنوات دون أى تقدم . بل إن معاملة أمل له تحولت إلى ما يشبه القطيعة الكاملة وخاصة بعد أن رسب فى السنة الثالثة ، ومع ذلك أصر على حضور محاضرات السنة الرابعة والجلوس إلى جوارها كلما أمكن ذلك . وكان يموت كمدا كلما شعر بثقة جلال المتناهية فى نفسه برغم فقره وبؤسه ، كما أن الدهشة كادت تقتله من قدرة أمل على التوفيق بين زوجها المليونير وصديقها المعدم . لكن عزاءه الوحيد تمثل فى إيمانه الذى كان يرسخه قدر طاقته ، بأن أمل تستغل جلالا لأنه يساعدها على تفوقها المستمر وذلك بشرح ما استعصى عليها من المعضلات الفلسفية ، وسوف تتخلص منه بمجرد حصولها على الليسانس . كان سعيدا لثقته فى أن شيئا آخر لم يحدث بينهما سوى اللقاءات والمناقشات الجامعية .

أما طلال فقد قنع بدوره بحكايات الفشل التى تقصها عليه زوجته فى أعقاب كل امتحان لدرجة أنه لم يسألها عن أية سنة دراسية كانت تتكلم . كان واثقا من أن ترددها على الجامعة ظل قاصرا على أيام الامتحان ، ولم يحاول أن يتأكد من أحوالها أكثر من هذا . كانت خبرتها فى إرضاء نزواته وإشباع شذوذه قد زادت مع الأيام ، فى الوقت الذى استمرت فيه قدراته الجسدية فى التدهور تدهورا جعله يخاف منها فى أحيان كثيرة . وكان إحساسها بالسيادة والسيطرة يتضاعف ، فى حين حرصت على تدعيم ثروتها التى أصبحت الآن تتراوح بين الأسهم والسندات والحسابات الجارية والعقارات . لم تعد تنظر إلى زواجها من طلال بنفس الحساسية القديمة ، بل تصورت فى نفسها تفوقا

على أساليب فدوى وحيلها التقليدية . كانت تخرج وتمثل له فى ليالى القاهرة مسرحية لم يسأم منها أبدا بل كان جنونه بها يتضاعف يوما بعد يوم : مسرحية الشهوة العارمة والإشباع الغامر التى أكدت له فيها فحولته التى لا ينضب لها معين . كانت تبيع له الوهم الذى استمرأه وعاش عليه لكنها لم تسمح له بإدمانه حتى لا يزيد تردده على القاهرة أكثر مما خططت .

كذلك أكدت السنوات الماضية أن حبها لجلال حقيقة راسخة برغم أن العلاقة بينهما لم تزد على النظرات والابتسامات والسلام بالأيدى ، لكن اللقاء الفكرى والوجدانى بينهما كان حياة عقلانية وانفعالية متكاملة لكل منهما : عقلانية جعلته يستمتع باحترامها كامرأة وزوجة ، وجعلتها تراه كتوأم روحها وعقلها . أما حياتهما الانفعالية فكانت مزيجا من دوامة الأحاسيس المثيرة وانطلاقة الأفكار من عقالها ولفحات الطفرات الجسدية التى سرعان ما تذوب فى نشوة العيون وبهجة اللقاء . لم تحمل هذه العلاقة الوجدانية الفكرية أى لمسة من لمسات الخيانة الزوجية عند أمل . بل كان النقيض من ذلك تماما هو الذى يقبع أمامها كالهرم الذى اعتادت رؤيته من شرفة بيتها كلما وفد طلال إلى مصر . فكثيرا ما شعرت أنها تخون جلالا مع طلال لدرجة أنها ظنت أن الخيانات التى ترتكب داخل إطار الزواج لا تقل عن تلك التى ترتكب خارجه . وقد تحول هذا الظن إلى ما يشبه اليقين عندها عندما انتظم حضور طلال إلى مصر فى مايو من كل عام ، كما لو كان يهدف إلى شغلها عن امتحاناتها وتكرار رسوبها الذى سمع عنه الكثير منها ، وكان يسمعه فى نشوة بالغة لم يستطع إخفاءها . ولذلك اعتادت أمل أن تحارب فى جبهتين كل عام : جبهة غرفة النوم والمسرحية التى أدمنها ، وجبهة سرادق الامتحان والاستماتة على المستوى المتفوق نفسه . لكن التكرار سنة وراء سنة أصابها بالملل والضيق من أدائها لدور الجارية برغم أنها لم تشعر به فى أعماقها ، لكن مجرد ظنه بأنها

جارية له غمرها بموجات الغثيان والاشمئزاز ، وإن لم تفقد حرصها على المكاسب العائدة عليها . كانت تتمنى لكل هذا نهاية سريعة ، لكنها لم تعرف أو تحدد الأسلوب الذى يمكن أن تأتى به هذه النهاية .

ها هو طلال يعود هذا العام إلى مصر فى أواخر أبريل ويعلن عن رغبته فى البقاء هذه المرة أكثر من ثلاثة أشهر . أى أن عليها أن تقدم مسرحيته المفضلة ما يقرب من مئة ليلة فى الوقت الذى يتحتم عليها فيه أن تخوض المعركة الكبرى . فلا يعقل أن تتفوق فى السنوات الثلاث الماضية ثم تأتى فى عام الليسانس لتنهار وتفقد فرصتها فى الحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه اللتين تمثلان فى نظرها حلم العمر . كما كان جلال حريصا تماما على تجنب لقاء أمل فى أثناء فترات وجود طلال فى مصر خوفا من أن يكون الأسطى عبده جاسوسا عليها داخل الجامعة نفسها من خلال عملية توصيله لها فى السيارة الفاخرة من الهرم إلى الجامعة والعكس . وكانت أمل قد حاولت إغراء عم عبده بتعليمها قيادة السيارة حتى تريحه من تنقلاتها فى غياب طلال ، وعلى أمل أن تتنزه فيها مع جلال ، لكن الأسطى عبده قال لها إن أوامر طلال بك الصريحة تحتم عليه أن يقوم بكل تنقلاتها ، وهى أوامر لا يجرؤ حتى على مجرد التفكير فى مخالفتها . ولذلك حرمت أمل من لقاءات جلال التى تحولت إلى تحيات عابرة ، بل إنها خافت من لقاء أى زميل آخر لعل عيون عبده ترصدها من طرف خفي . وكانت تود أن تستعيض عن ذلك بصداقة وفاء ، لكنها انشغلت هى الأخرى بلقاءات باسم الذى نجح فى السنتين الأخيرتين فى العمل فى إحدى دول البترول مما مكنه من شراء شقة من شقق التمليك ، وبرغم أنه لم يحصل على الماجستير ، بل أصبح يفكر مليا فى ترك الجامعة والاستقالة من وظيفته كمعيد ، فإن أسرتها رحبت به خطيبا لها ، على أن يتم كتب الكتاب فى أعقاب حصولها على الليسانس .

شعرت أمل بوحدة قاتلة لم يخفف منها سوى انشغالها بالحرب فى الجبهتين اللتين اعتادت الحرب فيهما كل عام . ولذلك عكفت فى قصرها الصغير على الدراسة بعينين أضناهما السهر مع طلال الذى لم يعد يستمتع بسهرات ملاهى الهرم بعد أن أحالت أمل بيته إلى ملهى يقدم له كل ما يشتهيه . ومع ذلك كانت درجة استيعابها لمحاضراتها تدل على مدى قدرتها على تقبل التحدى حتى النهاية . لم تهن عزيمتها ، فقد كانت صورة جلال تفترش كل صفحة تقرؤها .

ذات صباح فى أوائل مايو انتهزت أمل فرصة ذهاب طلال مع أبيها إلى الإسكندرية لمتابعة المشروعات التى يشرف عليها أخوها عبد المنعم ، وقررت أن تمر على الكلية لاستخراج بطاقة الامتحان . لم يكن أملها كبيرا فى لقاء جلال ، لكنها أرادت الخروج إلى حيث الشمس والهواء هربا من الاختناق الذى يجتاحها . كان طلال قد ترك الأسطى عبده معها بعد أن اشترى سيارة فارهة أخرى بسائقها ، انطلقت به مع أبيها إلى الإسكندرية صباح ذلك اليوم .

بمجرد وصول أمل إلى الكلية توجهت فورا إلى شئون الطلبة . كانت الكلية خالية تقريبا من تجمعات الطلبة فى حين كانت الاستعدادت لإقامة سرادقات الامتحان قائمة على قدم وساق . أخبرت الموظف المسئول باسمها فأخرج لها بطاقتها وقدم إليها كشفا وقعت فيه أمام اسمها . وعند خروجها من المكتب قابلت آخر شخص فى الدنيا كانت تتمنى أن تراه . كان سمير واقفا أمامها كما لو كان يعترض طريقها . قال مرحبا وهو يتشدق بلبانة بين صدغيه :

— أهلا أمل .. لك وحشة كبيرة .. لدرجة أننى كنت على وشك أن أتصل بك تلفونيا لمجرد سماع صوتك .. صوتك الجميل !!

شعرت أمل بنذر الشر تتطاير فى الجو فتفادتها :

— أهلا بك .. عن إذنك لأننى فى عجلة من أمرى !

أفسح لها الطريق لكنه طاردها بحيث سبقها خارج المبنى وهو يقول بصوت يمكن أن يسمعه أى مار :

— هناك موضوع ترددت أن أفاتحك فيه طويلا .. لكن مع انتهاء العام واحتمال أن يذهب كل واحد منا إلى حال سبيله .. لم أجد بدا من المجىء كل يوم إلى الكلية لاحتمال مقابلتك ومفاتحتك فيه .. وها قد حلت الفرصة أخيرا ولن أدعها تفلت من يدى هذه المرة !

لم تحاول أمل أن تتقدم أكثر من ذلك لاحتمال ملاحقته لها حتى خارج الجامعة حيث الأسطى عبده فى انتظارها فقررت أن تحسم الموضوع داخل الأسوار وبأسرع ما يمكن . فقد أغرقتها موجات التحدى من الداخل وودت لو سحقته سحقا . سألته بمنتهى البرود الظاهرى :

— وما هو الموضوع الذى تود فتحه ؟!

توقف سمير عن التشدق باللبانة وأزاح حشرجة توقفت فى حلقه :

— أنت تعرفين يا أمل أو قد لا تعرفين مدى إعزازى لك منذ أن وقعت عيناى عليك فى بداية السنة الأولى .. ثم فجعت عندما علمت أنك متزوجة من رجل فى عمر أبيك .. ثم سحقتنى الصدمة عندما رأيت إعزازك لجلال على الرغم من أنه لا ينتمى إلى طبقتك الاجتماعية أو مستواك الاقتصادى .

قاطعته أمل والشرر يتطاير من عينيها :

— ماذا تريد أن تقول بالضبط ؟! ليس عندى وقت كما قلت لك !

أفقدته المقاطعة قدرته على التحكم فى مخارج الألفاظ التى اهتزت :

— كل ما أريد أن أقوله إننى أعبدك ليل نهار .. لدرجة أننى رسبت فى السنة الثالثة لمجرد تفكيرى فيك .. ولذلك أتمنى أن أتزوجك !!

طحنت أمل أسنانها بين فكيها :

ـــ ألا تعلم أننى متزوجة ؟!

استعاد أخيرا صفاقته ليتسلح بها :

ـــ ومع ذلك أقمت صداقة وطيدة مع جلال برغم كل الفوارق بينكما ؟!

تقدمت خطوة تجاهه والاحتقار ينهمر من عينيها فتراجع خائفا :

ـــ لولا أننى نشأت على احترام الناس ... ولولا أننى داخل أسوار الجامعة .. لصفعتك الآن على وجهك !!

امتزجت الصفاقة على وجهه بغباء وبلادة نادرين :

ـــ ضرب الحبيب مثل أكل الزبيب !

ذهلت أمل للوقاحة التى لم تر مثلها من قبل لكنها تماسكت وهى تتحرك بعيدا :

ـــ إذا لاحقتنى مرة أخرى فسأبلغ الحرس الجامعى لإيقافك عند حدك !

عاد إلى التشدق باللبانة وحرك يده متوعدا :

ـــ لا تتصورى أننى لن أجد من هى فى حسنك وجمالك .. إن أية فتاة تتمنانى .. صحيح أن الطيور تقع على أشكالها .. لكن لابد أن تعرفى أنه لم ولن توجد الفتاة التى تظن أن فى إمكانها احتقارى والاستهزاء بى ثم تفلت من انتقامى .. وإياك أن تدعى الشرف والكرامة يا ست الحسن والجمال .. فأنا أعرف البئر وغطاءها !!

ذابت الكلمات المرة على لسان أمل التى تمنت أن تنشق الأرض وتبتلع هذا العفن . أسرعت صوب البوابة الحديدية وقلبها ينتفض محاولا شق صدرها . اغرورقت عيناها بالدموع لكنها أجبرتهما على ابتلاعها ، فهى لا تريد أن يعرف عم عبده أى شىء عن الطوفان الذى يغرقها من الداخل . تذكرت أيضا زبيدة القابعة فى البيت لترصد عليها حركاتها وسكناتها ، فعادت إليها قدرتها كاملة على التماسك .

انطلقت العربة السوداء فى شارع الجامعة إلى ميدان الجيزة ، وأمل ترصد من خلف نظارتها الخضراء نظرات عم عبده فى مرآة العربة فوجدته منهمكا فى القيادة . استرخت فى مقعدها قليلا ، لكن كلمة من وسط عواء الذئب طفحت على سطح ذهنها : « انتقامى » ! ما الذى يمكن أن يفعله لينتقم ؟! إنه مثار تندر الجميع بضعفه وتفاهته وتردده !! ماذا يملك من أسلحة لينتقم منها ؟! وماذا سيكون سلوك جلال لو عرف ما وقع ؟! إنه يهدد كالأطفال عندما يفشلون فى الحصول على لعبة يرغبونها !! يجب ألا تفكر فى مثل هذه التفاهات فهى ليست فى حاجة إلى جبهة ثالثة كى تحارب فيها ! لماذا تتأزم الأمور بهذا الشكل ؟! حاولت تناسى ما حدث والاسترخاء قدر إمكانها فى مقعدها الوثير لكنها سرعان ما انتصبت فيه كمن لدغتها عقرب :

— ماذا لو اتصل بطلال وادعى خيانتها له مع جلال ؟!

وظل الخاطر يطاردها بنفس سرعة العربة فى شارع الهرم برغم محاولتها المستميتة للهروب منه وذلك بمتابعة المرئيات خارج النافذة ، المرئيات التى لم ترها على الإطلاق .

١٤

دخلت أمل غرفة المكتب باحثة عن مرجع لها فوجدت زبيدة تميل على أذن طلال وتهمس بكلمات لم تتبين منها حرفا واحدا . تلكأت أمل فى العثور على المرجع لعلها تلتقط أية كلمة لكن العجوز التزمت الصمت المطبق فى حين كان طلال يتابعها بعينين لا تنمان عن شيء محدد ثم يسألها :

ــ هل سنسهر الليلة فى البيت أم خارجه ؟!

ذهلت أمل للسؤال الغريب الذى لم تسمع مثله من قبل . فلم يحدث أن سهرت معه خارج البيت ، كما أن عليها أن تستيقظ مبكرة فى الغد استعدادا لامتحانها الذى يبدأ فى التاسعة صباحا . استيقظت من خواطرها على سؤاله :

ــ فيم شردت ؟ لماذا لا تجيبين ؟!

تداركت موقفها فقالت فى استسلام كامل :

ــ أنا تحت أمرك !!

أشار طلال إلى زبيدة بالانصراف فسألته :

ــ هل أبكر بالحضور لإعداد الإفطار للست أمل قبل ذهابها للامتحان ؟

ــ إنه ليس إفطارى ؟! اسأليها ؟!

قبل أن تلقى زبيدة بالسؤال على أمل أجابتها :

ــ إننى أستطيع إعداد الإفطار بنفسى .. خاصة وأننى أستيقظ مبكرة جدا !

تحاشت زبيدة نظرات أمل وهى تقول منسحبة :

ــ أمرك !

ثم خرجت تاركة أمل فى مواجهة طلال الذى رآها تقلب صفحات

المرجع بأصابع مرتعشة دون أن تنظر إليه ، تساءل :
ـــ القلق واضح عليك .. يبدو أنك لم تستعدى للامتحان كعادتك !
تماسكت أمل قدر إمكانها :
ـــ إننى لا أحمل هما للامتحان .. فالدراسة مجرد شغل لأوقات الفراغ وخاصة فى فترات غيابك التى أصبحت.تطول الآن أكثر من اللازم !
ـــ لكننى لم أعد أشعر بلهفتك كالأيام الخوالى ؟!
ـــ لهفتى عليك زادت أضعافا مضاعفة .. والدليل على ذلك هجرك للسهرات خارج المنزل .. لأن الإشباع الكامل داخله .. وهذا الإشباع لا يمكن أن يصدر عن لهفة غير موجودة !!
ـــ عندك حق .. سأحاول مراجعة بعض الكشوف .. وعليك التجهيز لسهرة الليلة .. فربما سافرت إلى أوروبا بعد غد !
حدق فى وجهها فوجد بعض علامات الارتياح تسرى فى ملامحها ، لكنها طردتها بنظرات واعية تنم عن إحساس مفاجىء بالإحباط :
ـــ إنك لم تمكث أكثر من شهر .. فى حين أنك عشمتنى بثلاثة أشهر !
ـــ أنت تعلمين جيدا أن وقتى ليس ملكى !
ـــ كان الله فى عونك !
قالتها وخرجت لإعداد السهرة أو المسرحية المعتادة فى غرفة النوم . ومع اقتراب العاشرة مساء كان كل شىء معدا . لكنه لم يغادر غرفة المكتب . ذهبت أمل إليه بقميصها الأبيض الشفاف القصير الذى يبين عن خطين أسودين يلتفان حول الصدر وأسفل البطن . كانت تريد الانتهاء منه بأسرع ما يمكن لعلها تتفرغ قليلا للمذاكرة أو حتى للنوم كى تستيقظ منتعشة للامتحان . وقفت وهى تسند ظهرها إلى الباب متسائلة :
ـــ ألم يحن الوقت بعد للانتهاء من هذه الأعمال التى لا نهاية لها ؟!

نظر إليها من خلف نظارته الذهبية الدقيقة ومشط لحيته بأصابعه :

ـــ هل بلغت بك اللهفة هذا الحد ؟!

ـــ ليس هذا فى حاجة إلى سؤال !

قالتها وهى تسبل عينيها اللتين نضحتا بالإغراء . نهض مبتسما فى بيجامته الحريرية الصفراء ، وفى يده حمل حقيبته الصغيرة التى لا تفارقه . سبقته إلى غرفة النوم فسار خلفها ليتأملها جيدا وهو يتحسس حقيبته التى تركها فوق الكومودينو المجاور للفراش . جلس كلاهما إلى المائدة الصغيرة الزاخـرة بأطايب المشهيات التى تعددت ألوانها مع دوران الأفلاك والنيازك والشهب والكواكب فى مدار الكرة البللورية التى امتزجت أضواؤهـا بالموسيقـى الصادحة والعطر الذى تشبع به هواء الغرفة المكيف .

فتحت فمه ودست قطعة من الكافيار ثم ملأت كأسين بالويسكـى وشربت نخب صحته وسعادته ونجاح مشروعاته . فقد تعلمت الشراب أخيرا ، و لم يمانع بعد أن اكتشف أنه يساعدها على الإبداع فى إمتاعه بعد أن تتحرر من كل القيود التى نشأت عليها . تركت الموسيقى تعبر عما فى عينيها تجاه عينيه ، لكن شيئا غامضا قال لها إن نظراته تحمل مسحة من الغرابة التى لم تدرك كنهها . ومع ذلك استمرت فى تمثيل دور الجارية التى تتمنى الارتماء عند قدمى سيدها .

انتهت من طعامها وذهبت إلى الاسترخاء فى فراشها . تجسد النداء الملح فى نظراتها وحركاتها وتقلباتها اليمنى واليسرى . تأملها وهو يشعل سيجارة ثم ألقى بجاكتة بيجامته أرضا ، ففهمت أنها إشارة البدء . نهضت ورفعت من صوت الموسيقى الذى طغى على كل ما عداه . ألقت بقميصها على الأرض فتحول إلى كومة فى حجم المنديل . لم يتبق غير الشريـطين أو الخطين الأسودين لكنها أرجأت التخلص منهما لحين أن يتخلص هو أيضا من كل

شىء . ظلت تقترب منه وتبتعد بحركات متناغمة مع إيقاعات الموسيقى التى تكاد تهز الغرفة مع دوران الأضواء المجنونة على الجدران ودوران الخمر فى رأسه .

فى لمح البصر أصبح كما ولدته أمه . انتصبت أمل واقفة فوق الفراش ووسط الشهب الحمراء ، والكواكب البيضاء ، والأفلاك الزرقاء ، والنيازك المنصهرة بلون الفضة سطع جسدها متراقصا ملتويا مضيئا مشعا . ومضت عيناه وهو يرقب كل حركة من حركاتها الرشيقة المثيرة . دار حول الفراش حتى بلغ الكومودينو . انحنى على الحقيبة السوداء الصغيرة . فتحها وأخرج منها السوط بمقبضه العاجى الذى ينتهى بكرة ذهبية .. فى لحظة واحدة كوميض البرق ضغط على زر فسطعت الغرفة بأنوار مبهرة ، وانهال السوط بلهيبه على ظهر أمل فلم تدرك إذا كان ما شعرت به سيخا محمى فى النار أو حبلا جليديا تجمد من الصقيع ، لكنها أدركت فى الحال صرخة طلال المتسائلة فى نفس اللحظة التى صمتت فيها الموسيقى تماما ، وكأن الكرة الأرضية توقفت عن الدوران :

— من هو جلال عبد اللطيف ؟!

عقدت المفاجأة لسانها وشلت عقلها . وقبل أن تجمع أشلاءها المتناثرة لسعها السوط مرة أخرى فوق صدرها بعد أن التفتت إليه :

— لماذا لا تجيبين يا ساقطة ؟!

صرخ شىء داخلها باللعنة على كل ما حاربت من أجله . أحالها إلى وحش كاسر فهجمت عليه واختطفت منه السوط فى لمح البصر قابضة على مقبضه العاجى وكرته الذهبية بيد من حديد . رأت ذهوله الذى أحاله إلى صنم متحجر . تدفقت الدماء الساخنة فى شرايينها فلم تدر ماذا تفعل ؟! لكنها شاهدت نفسها وهى تنهال عليه بالسوط ، ترسم على جسده العارى خطوطا

طولية وعرضية كقضبان السجن ، وقد ركع على الأرض مخفيا وجهه بين يديه وهى تصرخ :

— أنا ساقطة يا مثال العجز والشذوذ والعقم ؟!! تظن أن الجميع عبيدك وجواريك وأنت عبد شذوذك وعقمك ؟! إننى إذا كنت ساقطة فعلا فذلك لأننى رضيت بك !! نعم إننى أحب جلال عبد اللطيف !! وإن كنت خائنة فلأننى خنته معك !!

احتبست الكلمات فى حلقها ، وتقلصت ذراعها فألقت بالسوط بعيدا وإذا بها تراه على وضعه الراكع على الأرض مرتعشا ارتعاشات خفيفة مثل تلك التى تنتابه فى مقعده المفضل فى ركن الغرفة وهو يتابعها فى عريها ورقصها ، وكأن لسعات السوط سرت بالنشوة العارمة فى جسده النحيل المتغضن . أفاقت من ذهولها فهرعت إلى روب أحمر طويل معلق إلى جوار الفراش خبأت فيه جسدها تماما وهى تصرخ :

— سأخرج إلى الشارع وسأنادى على كل من فى البيوت ليخرجوا ويعرفوا طلال بك العرباوى على حقيقته .

خرجت لاهثة من غرفة النوم فقفز وراءها وأمسك بذراعها فوجدت الدموع مترقرقة فى عينيه :

— أرجوك .. لا داعى للفضيحة .. فقد وضعت أكبر قدر من ثروتى فى مشروعاتى فى مصر .. وأى مساس بها سيضعنى أنا وأباك فى موقف لا نحسد عليه .. إن اسمى هو رأسمالى الحقيقى !!

انطلق الشرر من عينيها السوداوين اللتين زاد اتساعهما :

— كل ما أريده منك أن تطلقنى ثلاثا !

— سأفعل كل ما تريدين بشرط أن نتحاشى الفضيحة !

شعرت بمدى ضعفه وذله أمامها :

ــ ولن تمس أبى فى رزقه من قريب أو بعيد ؟!
ــ إنى لن أجد وكيلا آخر فى أمانة أبيك وتفانيه !
ــ إذا .. طلقنى .. ولن يعرف أحد ما دار بينى وبينك !
ــ أهذا قسم ؟!
ــ ولن أحنث به . فأنت أدرى الناس بى !!
ــ إذا .. أنت طالق ثلاثا !

لا تعرف أمل لماذا تذكرت بيتى الشعر اللذين رسخا فى وجدانها منذ أيام الدراسة الثانوية :

إذا الشعب يومـا أراد الحيـاة   فلابـد أن يستجيب القـدر
ولابـد لليـل أن ينـجلى   ولابـد للقيـد أن ينـكسر

فلم تكن اللحظة الرهيبة الفاصلة لتسمح بأية تأملات شعرية !! ومع ذلك ألح البيتان عليها وهى ترى طلالا يتضاءل أمامها عاجزا بائسا يائسا بعد أن منحتها حريتها العائدة مزيدا من الكبرياء والأنفة . قالت له بلا صراخ :

ــ سأرتدى ملابسى وسأذهب إلى بيت أبى .. فلا يصح لنا أن ننام تحت سقف واحد !!

ــ إنه بيتك مكتوب باسمك .. ولذلك فأنا الذى سأرتدى ملابسى وسأبيت خارجا !!

أخفى جسده بيديه عندما اكتشف عريه ، ثم هرع إلى دولابه . ارتدى ملابسه الداخلية ثم شرع فى ارتداء حلته لكنها أسرعت إليه قائلة فى هدوء غريب :

ــ إذا كنت تخاف على أبى .. فأنا أيضا أخاف عليك . لا داعى لخروجك الليلة .. نم أنت هنا .. وسأبيت أنا فى غرفة الصالون !

ترك لها سفينته المحطمة كى تقودها بلا دفة :

— بل أنا الذى سوف أنام فى الصالون .. والصباح رباح كما يقول الناس فى مصر !

ارتدى بيجامته الحريرية الصفراء فى لمح البصر وخرج من الغرفة دون أن يجرؤ على أن يرفع عينيه فى عينيها . أطفأت أمل الأنوار كلها واسترخت فى فراشها نهبا لأحاسيس متشابكة معقدة لم يبرز منها إحساس واحد متميز متبلور . لكنها تذكرت الامتحان القابع فى انتظارها فى التاسعة صباحا فلم ينتابها أى قلق بشأنه . إن أى امتحان آخر يتضاءل أمام امتحان الليلة التى لا تزال عاجزة عن تصديق أحداثها اللاهثة . لم يزر النوم جفونها إلا عند اقتراب الفجر وعندما تذكرت رأى جلال فى الزمن الكفيل بحل المشكلات المستعصية ، قالت لنفسها والنوم يحتويها بغلالته الرقيقة : ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال !

١٥

تأكد السيد عبد الحميد وزوجته الست مفيدة أن أمل قد هدمت البناء الذى أضاعا العمر فى إقامته وذلك فى لحظة طيش واندفاع ، ظنا مع مرور الأيام أن احتمالاتها قد تضاءلت إلى حد بعيد . وعلى الرغم من أن أمل أكدت لهما أنها اتفقت مع طلال على أن تستمر المشروعات كما هى بعد الطلاق ، فإنهما لم يصدقاها و لم يتخلصا من إحساس ممض أوحى إليهما بأن كل الأشياء حولهما تتفتت قبل أن يحل عليهما الدور . صحيح أن طلالا غادر القاهرة تاركا كل الأمور تجرى فى أعنتها كالمعتاد ، لكن هذا السلوك فى نظرهما كان بمثابة السكون الذى يسبق العاصفة .

أما جلال فقد صدم بخبر طلاق أمل وانتابه إحساس خفى بالذنب ، ظنا منه أن صداقته كانت السبب فى هذا الطلاق المفاجئ . صحيح أن الأمور بينهما لم تكن على ما يرام ، لكنها لم تكن تمهد لما حدث . وكانت دهشة جلال كبيرة عندما لمس خيلاء الانتصار على وجه أمل وسلوكها برغم أن ما فعلته يهدد حياة أسرتها كلها . ثم طرأ على باله خاطر أقلقه لكنه سرعان ما طرده . ومع ذلك عاد ليلح على ذهنه : ماذا لو عرضت عليه أمل الزواج أو دفعته إلى أن يعرض عليها الزواج ؟! إنها تحبه ! ليس فى ذلك شك ! لكن الأمور لا يمكن أن تؤخذ بهذه البساطة ! فبينهما سدود وموانع وحواجز وعوائق وعقبات يصعب تخطيها ! وهو يدرك جيدا أن العصر الذى كان الحب فيه يعنى كل شيء قد انتهى منذ زمن سحيق ! لقد اعتادت أمل مستوى معينا من الرفاهية ويستحيل أن تتنازل عنه من أجله مهما كان حبها له وارتباطها به ! ثم أقنع جلال نفسه أخيرا أن أمل نفسها لن تستطيع تخطى الحواجز ولذلك يستحسن ألا يضيع وقته وتفكيره فى احتمالات بعيدة الوقوع ، فقد اعتاد اتخاذ قراراته بناء على الوضع الراهن فعلا .

انتهى الامتحان وأصبحت أمل سيدة موقفها التى تملك مطلق الحرية فى سلوكها وتصرفاتها . كانت تتردد على الكلية بصفة شبه دائمة انتظارا لظهور النتيجة ، لكنها شعرت أن حرية جلال فى الحديث معها والتردد على الكافتيريا والمكتبة تقلصت إلى حد كبير بحيث بدأ متحفظا فى أحيان كثيرة . وقد سرها هذا السلوك وضايقها فى الوقت نفسه : سرها لأنها ظنت أنه يخاف من أن تمسها كلمة من قريب أو بعيد ، وضايقها لأن ما حدث كان من شأنه أن يزيل الحواجز بينهما فإذا به يدعمها ويرسخها ويعليها .

رأت أمل سميرا أكثر من مرة فى أثناء ترددها على الكلية قبل النتيجة ، لكنه فى كل مرة كان يتحاشاها ويهرب منها كأنه رأى شبحا . كان يظن أنها ستصفعه بل وستبصق على وجهه لأنه تسبب فى خراب بيتها . لم يكن يقصد أن تصل الأمور إلى هذا الحد ، فقد أراد أن ينتقم لنفسه فقط حتى تبرد داخله نار الغيرة من جلال ، والتى كانت تحرق قلبه لأسباب لم يدرك كنهها ولم يستطع التخلص منها . لكنه لم يخطر بباله أنه بفعلته تلك قد حقق لأمل ما لم يراودها فى الأحلام .

ظهرت النتيجة وكانت فرحة أمل مضاعفة : فرحتها بتجاوزها صدمة كان من الممكن أن تقضى عليها لولا صمودها الذى تعلمته على يدى أستاذها فى الحياة : جلال ، وفرحتها بمحافظتها على تفوقها برغم محنتها التى واكبت امتحانها نفسه . كانت أياما رائعة انصهر فيها معدنها الحقيقى فى بوتقة التجربة فخرجت أكثر صلابة وصمودا ولمعانا . كذلك حافظ جلال على تفوقه . بل بشرهما رئيس القسم بأن قسمه فى حاجة إلى ثلاثة معيدين من الذين احتلوا المراكز الثلاثة الأولى فى الترتيب . وكان الفارق بين جلال أول الدفعة وأمل ثلاث درجات فقط مما جعلها تشعر بأن القدر الذى ربط بينهما يواصل خطته حتى النهاية ، وعليهما أن يساعداه فى أداء مهمته .

بعد خروجها من مكتب رئيس القسم قررت أمل أن تحسم الموقف مع جلال ، خاصة وأنهما مقبلان على العطلة الصيفية وقد لا تراه كعـادتها بطولها . سارت معه إلى حيث الحديقة المستديرة فى مدخل الجامعة . لم يفتح فمه بكلمة فاستوقفته تحت شجرة عريقة تفرش ظلها فوق بقعة كبيرة فى محاولة منها لتخفيف لهيب الشمس التى احتلت كبد السماء بوجه مكشوف يعشى الأبصار . قالت متسائلة :

. — لا أعرف يا جلال لماذا شعرت بأن سلوكك تجاهى أصبح متحفظا ؟! بل راودنى فى بعض الأحيان إحساس بأنك تتجنبنى ؟!

— لم يطرأ على موقفى جديد كى تنتابك مثل هذه المشاعر !

— وماذا عن طلاق من طلال ؟! ألا يعنى شيئا بالنسبة لك ؟!

أجاب جلال دون أن يرفع عينيه عن الحشائش تحت قدميه :

— إنها مسألة خاصة تماما ولا يحق لى التدخل فيها !

لا يزال يتجنبها ويقاوم بإصرار الانفتاح على دنياها ، لكنها أصرت بدورها على مواصلة الزحف :

— ألا تزال تصر على أن هناك أمورا خاصة بكل منا ولا يحق لأحدنا أن يتدخل فى شئون الآخر ؟!

رفع عينيه فهرب من نظراتها إليه بالتركيز على البوابة الحديدية الكبرى :

— أرجو ألا تسيئى فهمى !! لكن هناك حواجز لا يمكن أن يتخطاها الإنسان الذى لا يملك إمكانات اجتيازها !

واصلت التحدى :

— وهل يمكن أن أعرف هذه الحواجز ؟!

— إنك من الذكاء بحيث لا يحتاج هذا الموضوع منا أية مناقشة !

— لكنه يحتاج إلى حسم ؟!

— إن صداقتنا فى حد ذاتها شىء رائع للغاية ! إنها فى نظرى غاية وليست وسيلة .. وإذا خلطنا بين الغايات والوسائل فإننا قد ندخل فى حلقة مفرغة أو متاهة جانبية تفقدنا القدرة على الرؤية الصحيحة !!

تحول التحدى عندها إلى حصار له :

— إننا لا نناقش قضية فلسفية عامة .. وإنما نناقش قضية تخصنا نحن فقط على وجه التحديد ! إن ما بيننا ليس حواجز بالمعنى المألوف وإنما رواسب اجتماعية لا تليق بأمثالنا وبثقافتنا !!

نظر إلى عينيها الجميلتين الواسعتين هذه المرة :

— إنها رواسب فعلا لكنها حواجز أيضا !

— إنها مجرد أوهام فى ذهن من يؤمن بها !

تأكد جلال أن التجربة قد ضاعفت من صلابة أمل وتحديها . قال :

— لو كان الأمر قاصرا علينا نحن الاثنين لهان تماما ! لكننا نعيش فى مجتمع لا يرحم من يخرج على قواعد لعبته .. وبحكم أننا جزء منه فإنه من الصعب ابتكار قواعد خاصة بنا !!

— معنى كلامك أن نرضخ لما يجرى وبذلك لا يحق لنا أن نأمل فى أى تقدم أو تطور أو تغيير إلى الأفضل ؟!

— لا أقصد هذا إطلاقا .. إنما أريد أن أجنبك أية متاعب قد أتسبب فيها لك ؟! فأنت لا تعرفين حقيقة مكانتك عندى !

سعدت بأول اعتراف صريح نجحت فى انتزاعه منه . استأنفت :

— لو كانت لى هذه المكانة عندك ، لكانت كفيلة بالقضاء على مثل هذه الأوهام !! إن علاقة أربع سنوات لا يمكن أن تهدر هكذا كأنها لم تكن !

— ومن قال هذا ؟! إن من حسن حظنا أننا سنستمر فى زمالتنا !

— إذا كنت تظن أن ما بيننا مجرد زمالة .. فإنك تكون قد أثبت لى عمليا

أننى أغبى فتاة على وجه هذه الأرض ؟!

انتابه حرج شديد فآثر أن يكفر عن سيئاته :

— إننى أحبك يا أمل حبا لم يعرفه قلب بشر من قبل .. إنه حب جارف لدرجة أنه يمنعنى من الزواج منك !!

دخلت فى دوامة من السعادة والحيرة والنشوة والقلق :

— لم أكن آمل فى الاستماع إلى كلمات أروع من هذه .. ومع ذلك فأنا لا أفهمها !! لماذا تبدو الأمور البسيطة بمثل هذا التعقيد ؟!

— بصراحة شديدة .. أنا لا أستطيع أن أعيش عالة عليك ؟! هذا إذا قبل المجتمع موضوع زواجنا ببساطة لا أتصور أنها ممكنة !!

— كنت وستظل سيد موقفك دائما .. فسيكون لك مرتبك .. وبعد سنوات قليلة ستكون الدكتور جلال عبد اللطيف الذى سيكون لى الفخر أن أصبح زوجته !!

— إن هذا شرف كبير لا أحتمله !! فدخلى لن يصل فى يوم من الأيام إلى عشر معشار دخلك .. ولن أحتمل أن يشير إلىّ الناس من طرف خفى ويقولون : هذا هو زوج الست !!

— لم أكن أتصور أن تنتابك مثل هذه الأوهام ؟! ومع ذلك فإن أفضالك علىّ لا تقدر بأموال !! من الذى شجعنى منذ البداية ودفعنى دائما إلى التفوق ؟! من الذى منحنى القدرة على الصمود واجتياز الأزمات التى مرت بى ؟! من الذى خلصنى من الكابوس الذى كنت أحياه ليل نهار والذى أهدر آدميتى وإنسانيتى ؟! هل كان يمكن أن يحدث كل هذا وبهذا الشكل دون وقوفك إلى جوارى فكرا وسلوكا ؟! لقد منحتنى الأمل يوم حاصرنى اليأس بأمواجه المتلاطمة ؟! كانت آراؤك لى نورا هاديا وسط بحار الظلمات ؟! أشعرتنى بكرامتى وكبريائى فى وقت داس الآخرون عليهما وأوشكوا على

دفنهما إلى الأبد ؟! منحتنى كل هذا ثم تأتى وتحدثنى عن دخلى ودخلك ؟!

اغرورقت عيناها بدموع لم تسمح لها بأن تنهمر على وجنتيها . تراقصت فكرة الزواج أمام عينيه كعلامة استفهام ضخمة تخفى وراءها مجهولا لن تكون أمل سوى ضحيته . فهو لا يملك ما يمكن أن يضحى به . تماسك وقال :

ــ لولا صمودك أنت وإصرارك وإرادتك لما كان لوجودى إلى جوارك أية قيمة ؟! إننى لن أضحى بك على مذبح أنانيتى !!

ــ لقد تعلمت على يديك أن المثالية عندما تتطرف أكثر من اللازم فإنها تتحول إلى أبشع أنواع الجنون !! فأرجوك لا تستخدم مثل هذه الألفاظ الكبيرة التى لم تعودنى عليها من قبل !

ــ إن ما أفعله على النقيض من كلامك تماما ! إنه منتهى الواقعية !! فلو تجاهلت الواقع لما كانت هناك مشكلة على الإطلاق !! إن الهوة التى بيننا لا يمكن سدها بالمثل العليا والنوايا الطيبة .. فهذه كلها أشياء لا وجود لها فى مواجهة الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية الراسخة !

لعنت منطقه المتسق المتماسك دائما لدرجة أنها تمنت حسم الموضوع على أى وجه من الوجوه :

ــ لا أريد أن أدخل معك فى متاهات الجدل !! أريد رأيك واضحا محددا فى هذا الموضوع حتى لا أضيع مستقبلى فى أوهام لا أساس لها من الصحة !!

حانت لحظة الامتحان النهائى فخاضها جلال بقلب واجف :

ــ كان كل كلامى تعبيرا عن رأيى بطريقة أو بأخرى !

ــ تقصد الرفض ؟!

ــ من أنا حتى أستطيع أن أرفضك ؟! إن مشكلتى الحقيقية أننى عاجز عن الصعود من السفح حيث القمة التى تجلسين عليها !!

أثار كلامه كل تحديات الغريزة الأنثوية داخلها :

— لم أكن أتصور أنك بهذا العجز !

لأول مرة يسمع منها ما يمس رجولته وكبرياءه لكنه أخذ منها الخيط :

— إذا .. فنحن متفقان فى وجهات النظر !!

واصلت تحديها دون أن تدرى :

— للأسف الشديد !!

— لكن أرجو ألا يؤثر هذا على زمالتنا ؟!

— أرجو هذا .. مثلك تماما !!

فجأة تقطعت حبال الكلام من تلقاء نفسها ، بعد أن كانا يتترانها بتراعند لحظة الفراق لمدها بعد ذلك ساعة اللقيا . قالت دون أن تدرى ما تقول :

— عن إذنك .. سأذهب إلى البيت لأبشرهما بنجاحى !!

تحركت قدماها دون أن تصدر إليهما الأمر بالتحرك وإذا بها خارج البوابة الحديدية ونظرات جلال الذى التصقت قدماه بالأرض ، تقطر مرارة وهى تراها تختفى خلف سور الجامعة . لم يدر إذا كان ما فعله صوابا أم خطأ ؟! لم يكن طول حياته مترددا قلقا حائرا مثلما كان فى تلك اللحظة ! فقد كانت قوتا الشد والجذب داخله متعادلتين إلى حد مرعب ! كره أن يبدو عاجزا أمامها وهى التى كانت تستمد منه القوة . كانت قوته كلها موجهة ضد ذاته وليست ضد الظروف التى زرعت الحواجز بينهما . ومضت فكرة أثيرة لديه فأضاءت وجدانه المظلم للحظة ، فكرة الزمن الكفيل بحل المشكلات المستعصية بشرط ألا يتخلى الإنسان عن صموده وإرادته .

استيقظ جلال فى وقفته من خواطره وأفكاره المتلاطمة على صوت وفاء المرح :

— أين الدكتورة أمل عبد الحميد يا دكتور جلال عبد اللطيف ؟!

فوجئت بوجهه المكفهر عندما دققت فى ملامحه فندمت على دعابتها ، لكنه قال فى استسلام حاول أن يقاومه :

ــ ذهبت إلى بيتها !

ضاعفت الإجابة الكئيبة من ندمها . لم تدر ماذا تقول ؟!

قالت ما نطق به لسانها تملأ فراغ الصمت الرهيب :

ــ ماذا حدث ؟! هل أصابتها وعكة ؟!

ــ أبدا .. إنها صديقتك وأنت أدرى بها !

ــ ليست صديقتى أكثر منك ؟! فلم تكن لها سيرة معى غير سيرتك ؟!

ــ لا أعرف ماذا أقول لك يا وفاء ! إننى فى حيرة من أمرى .. حيرة لم أشعر بمثلها من قبل فى حياتى !!

ــ إننى ذاهبة إلى بيتى أيضا .. فسيتناول خطيبى الغداء معنا اليوم .. فهل أدعوك إلى التريض معى قليلا حتى قرب منزلنا !! أريد أن أشاركك الهم الذى يثقل قلبك !

ذهل جلال للثقة التى تتكلم بها وفاء وكأنها تعرف ما دار بينه وبين أمل منذ لحظات .. ومع ذلك اعتبر جملتها الأخيرة حبلا ألقى إليه لإنقاذه من اللجة الغارق فيها حتى أذنيه . أمسك به وقال :

ــ بكل سرور !

سار بحذاء حديقة الحيوان وهو يحلل لها المعنى الكامن وراء رأيه الذى لم يستطع أن يحيد عنه والذى يمكن أن تكون أمل قد أساءت فهمه ، ووفاء تهز رأسها كما لو كانت مستوعبة لكل حرف فى كلماته . وعند مفترق الطرق وقفت وفاء تقول باسمة :

ــ ليس جلال عبد اللطيف الذى تقف فى طريقه مشكلة مثل هذه !! لقد واجهها باسم خطيبى من قبل .. وحلها بطريقته الخاصة .. وفى اعتقادى أن

الإنسان الذى يتقاعس عن الحرب من أجل سعادته .. لا يحق له أن ينتظر أن تقدم له على طبق من فضة .. فلن يحدث هذا وأنت سيد العارفين !!

— وهل تؤمنين أن الفجوة أو الهوة بيننا يمكن سدها ؟!

— ولماذا تظن أنك ستعيش فقيرا العمر كله ؟! لقد قالت لى أمل ذات مرة على لسانك إن تاريخ البشرية هو فى حقيقته تاريخ الصاعدين والهابطين على السلم الاقتصادى للمجتمع . وكم من صاعدين تحولوا إلى هابطين والعكس صحيح !! هل نسيت أراءك وقراءاتك ؟!

لم ينس ، لكنه لم يكن يعرف أن أمل تأثرت بكل ما قاله إلى هذا الحد . ابتسم فسعدت وفاء لابتسامته . قال :

— وفاء .. كنت دائما نعم الصديقة لى ولأمل !! والآن خففت عنى هما كان يثقل قلبى !! أتمنى لك كل سعادة فى حياتك المقبلة ! لن أحتفظ بك أكثر من هذا فى الشارع ! مع سلامة الله !

شد على يدها بحرارة بالغة مودعا . سارت فى اتجاه النيل فى حين عاد أدراجه إلى ميدان الجامعة فى انتظار الأتوبيس الذى سيقله إلى ميت عقبة ، وقد قرر فى نفسه أمرا . إن العطلة الصيفية ستكون أفضل اختبار لكليهما . فالرؤية متعذرة وسط الغبار المتصاعد للانفعالات المتصارعة ، والحكم مستحيل عندما يصبح الإنسان القاضى والمتهم فى آن واحد ، والالتزام بجانب دون الآخر فى وقت تتعادل فيه قوتا الشد والجذب تمزق ما بعده تمزق . وعلى حد قول أمل الأثير إلى قلبها : ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال . لكنه تذكر كل ما قرأه فى الفلسفة عن الإرادة الإنسانية فى مواجهة التحديات ، والحكمة الأثيرة عند أبيه : اسع يا عبد وأنا أسعى معك ، فشعر أن العطلة لن تكون عنده انتظار لما سوف تأتى به الأيام وإنما اختبار لإرادته فى مواجهة أكبر التحديات التى قابلته فى حياته حتى الآن .

١٦

لم تكن أول عطلة صيفية لا ترى فيها أمل جلالا . لكن هذه العطلة كانت ذات مذاق مر برغم الملحمة التى خاضتها أمل فى بدايتها وخرجت منها منتصرة على كل الجبهات . لكنها فوجئت أن جبهة جلال قد انسحبت من تحت قدميها تماما ، وهى الجبهة التى كانت تتمنى أن تحارب من أجلها العمر كله . حاصرتها الوحدة من كل جانب . ففى وجود طلال كانت تفكر وتدبر وتضع الخطط لتحقيق أغراضها ، لكن كل هذا تلاشى فى لمح البصر عندما راح طلال إلى حال سبيله . وفى وجود وفاء كانت تشعر بالألفة والدفء والحب والراحة عندما تحكى لها عما يقلقها ثم تتبادلان وجهات النظر العديدة حوله ، لكن وفاء تزوجت وسافرت مع زوجها إلى البلد العربى الذى يعمل فيه بعد أن قدم استقالته من عمله كمعيد فى كلية الهندسة . أما عن ذكرياتها مع جلال فكانت الملاذ الأخير لها من كل موجات الكآبة والوحدة والعزلة ، لكنه أصر على أن يزيد الطين بلة بقطع شريان الحياة الذى ربط بينهما . ولذلك تحول الملاذ إلى شرنقة من نار تلسعها كلما جذبها الحنين إليها ، كانت أقسى من لسعات سوط طلال ، فتعلمت أن الحب فى قسوته لا يقل فى حدته عن الكره فى بطشه .

قديما قالت أمل لطلال إن حياتها أعظم منحة وهبها الله إياها ، ولن تفرط فيها مهما أغرقها الإحباط واليأس . ولذلك لجأت إلى إرادتها فوجدت فيها خير ملاذ . والمرأة عندما تعجز عن إيجاد الرجل الذى يناسبها ، فأولى بها ألا تتزوج على الإطلاق . فالإنسان يعيش مرة واحدة فقط ، وإذا خسرها فى مقامرة طائشة ، فقد خسرها إلى الأبد .

هربت أمل من الذكريات والحسرات بشغل وقتها تماما . قامت بتأجير فيلا الهرم لإحدى السفارات العربية فعادت عليها بدخل شهرى لم تكن تحلم به . وكانت قد طردت زيدة من خدمتها ، كما استغنت عن الأسطى عبده ، وتركت السيارة السوداء الفاخرة تحت تصرف أبيها إلى أن يتخذ طلال قرارا بشأنها عندما يعود . ثم تعلمت القيادة واشترت سيارة حمراء صغيرة لتنقلاتها القليلة . دارت على المكتبات العربية والأجنبية لتقتنى أكبر قدر ممكن من المراجع الفلسفية بصفة خاصة ، وكتب المعرفة الإنسانية بصفة عامة . فقد أرادت أن تبدأ عملها كمعيدة فى قسم الفلسفة بقدر وافر من التمكن العلمى . كذلك عكفت على كتابة مذكراتها التى بدأت تتضح كمادة غنية تصلح للرواية التى كانت تحلم بكتابتها .

أما السيد عبد الحميد والست مفيدة فكانا يرقبان ابنتهما بدهشة أوشكت أن تحل محل خوفهما مما قد يفعله طلال بهما على سبيل الانتقام ، خاصة وأنه كان يتصل بعبد الحميد تليفونيا لمباشرة أعماله كالمعتاد بطول أشهر ثلاثة مرت بعد طلاقه من أمل التى أصبحت كتابا مغلقا بالنسبة لأبويها بعد أن كانت تحكى لهما عن كل ما يحدث لها أو ما يجيش بصدرها . فقد تعلمت على يدى أبيها بصفة خاصة أن على الإنسان أن يبحث عن مصلحته بعيدا عن الضجيج والعواصف التى قد تقذف به بعيدا عن هدفه المرجو . وقد احترم أبواها غموضها بعد أن وجدا أن كل ما قالته قد تأكد أو تحقق ، ومع ذلك ظل ما حدث بينها وبين طلال سرا مغلقا عليهما ، برغم دوران حديثهما حوله كل ليلة تقريبا قبل النوم .

تصورت أمل قدرتها على التخلص من جلال كما تخلص منها على حد ظنها . كان صبرى ابن عمها لا يزال يناور فى انتظارها.كان أبوه قد رحل عن العالم بعد أن أوصاه خيرا بورشة تصليح السيارات ، لكنه فضل أن يعمل مهندسا

فى إدارة المجارى وباع الورشة إلى آخر أسطى كان يعمل فيها . وسرعان ما بذر المبلغ الذى حصل عليه مما دفع أمه إلى تزويجه بأسرع ما يمكن لعل الزواج يعلمه الحكمة فى صرف المال ويدفعه إلى الكدح فى سبيل الحصول على المزيد منه . وبالفعل خطبت له ابنة أختها التى تخرجت هى أيضا فى كلية الهندسة ، بعد أن رضخ لضغط أمه ولإغراء الثروة التى قد تؤول إليها من أبيها تاجر الغلال الناجح الذى بدأ من الصفر . لكن الاستعدادات للزواج توقفت بمجرد طلاق أمل من طلال ، بل إن الشجار الدائم حل محل الوئام الظاهرى مما اضطر الخطيبة إلى إلقاء خاتم الخطبة فى وجهه ، وهو الهدف الذى خطط له ونجح فيه .

فى فترة زواج أمل من طلال تردد صبرى على بيت عمه أكثر من مرة ، لكنه لم يجد أى ترحيب من أى أحد . بل إن عمه افتعل شجارا معه بحجة إهماله لورشة أبيه الذى كان قد تقاعد لمرضه ، وتركها للعمال يفعلون بها ما يشاءون . وانقطع صبرى عن بيت عمه إلى أن سمع بطلاق أمل ، فخطط لفسخ خطبته لابنة خالته ثم شرع فى التردد على بيت عمه بوجه عاشق ولهان انتظر طويلا وضحى كثيرا من أجل الفوز بالفتاة التى اختطفت قلبه منذ أيام الصبا ، ولم يعبأ بالتجاهل الذى قوبل به من عمه وزوجته ، فهو فى سبيل هدفه لا يهتم برأى الآخرين ، كارهين أو محبين له .

كانت أمل لا تزال تعيش صدمتها مع جلال الصعب المراس . فوجدت فى صبرى خاتما طيعا فى يدها شغلها بعض الشىء عن الفراغ الرهيب الذى تركه جلال . كان تحت أمرها فى كل خدمة تطلبها . وكثيرا ما اصطحبته معها فى سيارتها الحمراء الجديدة لمساعدتها فى مشترياتها . ولم يترك فرصة إلا وعبر فيها عن شوقه البالغ ، وكرر على مسامعها أن ارتباطه بها منذ الصبا كان السبب فى فسخ خطبته بمجرد معرفته بطلاقها . فقد خلقا لبعضهما البعض ولن يفرق

بينهما سوى الموت . وقد اعتادت أمل فى الشهرين الأخيرين على وجوده لدرجة أنها بدأت فعلا فى التفكير الجدى فى قبول عرضه بالزواج برغم اعتراض أبويها اللذين ناقشا كل الاحتمالات سويا ووصلا إلى الاعتقاد بأنه إذا كان طلال قد تقَبل طلاقه من أمل بهذه البساطة ، فإنه من الصعب أن يتقبل زواجها من صبرى الذى حذرها ذات مرة من تبادل أى حديث معه .

لكن الاعتراض الحقيقى الذى جعل أمل تفكر مثنى وثلاثا ورباعا قبل قبول عرض صبرى ، أن المقارنة بينه وبين جلال كانت قائمة دائما فى ذهنها . فعلى الرغم من أن صبرى يكبره بحوالى خمس سنوات ، فإن مستواه العقلى يقل عن مستوى جلال بعشرات السنين . كذلك شعرت أمل من حديثه عن خطيبته أنه قبلها لثروة أبيها ، ولذلك من يدرى إذا كان قد جاء طمعا فى ثروتها أم جريا وراء حبها ؟! خاصة وأنه لا يفعل شيئا فى حياته سوى قبض مرتبه من إدارة المجارى فى نهاية كل شهر ثم يكرس باقى وقته لتشجيع فريق كرة القدم فى أحد الأندية ، برغم أنه لم يحصل على عضوية هذا النادى ، و لم يمارس أية رياضة من قبل .

ومع كل هذه الاعتبارات ، لم تصده لعل الزمن قد يصلح من حاله . لكن يبدو أن السبب الحقيقى فى ذلك ، أن وجوده كان بمثابة المخدر المؤقت الذى يساعدها على نسيان جلال لبعض الوقت ، لدرجة أنها شبهت نفسها لنفسها ذات مرة بأنها كالسكير الذى عجز عن مواجهة مشكلاته فلجأ إلى زجاجة الخمر للهروب منها . ولذلك أصبح صبرى ضمن مشاغلها ، مثله فى ذلك مثل إشرافها على فيلتها التى قامت بتأجيرها فى الهرم ، ودورانها على المكتبات لشراء المراجع والكتب ، وقراءاتها الواسعة استعدادا للمحاضرات التى ستبدأ بها عملها الجديد ، وشروعها فى كتابة الرواية التى تحلم بها . وكثيرا ما حاول صبرى الضغط عليها للإسراع فى الخطبة والزواج ، لكن ردها التقليدى الذى

أذاقه طعم المرارة واليأس فى الأيام الأخيرة كان : أعطنى فرصة للمزيد من التفكير ، فلا زلت أعانى من مرحلة النقاهة !!

لكنها عندما كانت تهجع فى فراشها ليلا ، كان جلال بطل كل الذكريات والخيالات والأحلام التى تبدأ معها فى المرحلة التى تفصل بين اليقظة والمنام ، ثم تبحر بها وسط موجات العقل الباطن وطياته فتجد نفسها مع جلال فوق يخت طلال فى طريقه إلى كابرى بعد أن اختفى طلال من الوجود تماما . ثم يبزغ جلال وسط فيلتها بالهرم يلهب ظهر زبيدة بسوط طلال ، وعندما يحاول سمير التدخل يناله أقسى وأفظع اللسعات اللاهبة . ثم ترى نفسها مع جلال وقد تدثرت بمعطف من الفراء فى حين تأنق هو فى معطف من الصوف الفاخر ، وهما يسيران فوق أحد تلال روما السبعة ويشرح لها تاريخ الكوليزيام الذى شهد الحفلات الهمجية لأباطرة الرومان ، ثم معه وسط ردهات متحف اللوفر فى باريس وهو يطلب منها أن تدله إلى القاعة التى تتربع فيها لوحة الجيوكندا التى كثيرا ما رأى صورتها فى الصحف والمجلات ، لكنه لم يتشرف بها شخصيا ، ثم معه أمام المسلة المصرية الشامخة فى ميدان الكونكورد فى باريس ، يتأملان روعة الحضارة المصرية القديمة التى قاومت الزمن والعدم برغم هزال الأبناء وعقوق الأحفاد . ثم فى لمح البصر تجد نفسها وهى متأبطة ذراعه وسط ضحكاتهما الزاخرة بالحبور أمام قصر باكنجهام بلندن لحظة تغيير الحرس الملكى .

وكثيرا ما كانت أحلامها تأتى إلى نهايتها بحلم أثير إلى قلبها . ترى نفسها مرتدية الرداء الأبيض الطويل وفى يدها باقة من الورود البيضاء ، وإلى جوارها يقف جلال شامخا كالمسلة المصرية . ودقات الدفوف تعلو وهى تقترب بهما من غرفة النوم . لكن الباب لا يفتح ، والدفوف تعلو وتعلو إلى أن تستيقظ أمل من نومها مع بقايا نشوة متبقية من الحلم ونذر إحباط تتزايد مع بلوغها

اليقظة الكاملة ! ما أبعد الحلم عن الواقع !!

لكنها فى ذلك الصباح استيقظت وقد حل الخوف محل الإحباط . كان رئيس القسم قد قرر عقد اجتماع لأعضاء هيئة التدريس لوضع ملامح الخطة العامة التى ستتبع طوال العام فى المناهج المختلفة لتدريس الفلسفة ، وذلك قبل بدء العام الدراسى . وتم إرسال خطابات مسجلة إلى المعيدين الجدد لحضور الاجتماع . ولابد أن الخطاب وصل إلى جلال كما وصل إليها . وبذلك حلت لحظة المواجهة بعد هروب استمر طوال العطلة الصيفية !! هل لا يزال كما هو بأفكاره العنيدة ؟! أم أن غيابها وبعدها عنه قتله شوقا إليها كما مزقها الحنين إليه ؟! كانت كل فكرة ، كل لمحة ، كل خاطر ، كل كتاب ، كل إحساس يذكرها به ! ودهشت كيف لإنسان أن يتسلل داخل كيان إنسان آخر فيجرى فيه مجرى الدماء فى عروقه ، أو ينطلق منه انطلاق الأفكار والمشاعر فى خلايا مخه ؟! إنها لا تؤمن بالرومانسية المسرفة فى العاطفة ، لكن التجربة التى تعيشها تؤكد لها أن الحلم عندها أقوى من الواقع !

خشيت أن تتأخر عن الاجتماع فقفزت من فراشها فى حين كانت بوسى لا تزال تغط فى نومها العميق الذى طالت فتراته بعد تقدمها فى السن . وقفت أمل منتصبة القامة أمام المرآة فرأت خطوط جسدها البديع خلف قميصها الطويل الوردى الشفاف . شعرت ببوادر ثقة مطلقة تزحف على خواطرها ، لكنها بمجرد تذكرها أنها سترى جلالا بعد أقل من ساعة ، ولا تدرى ماذا سيحدث ؟! ، دق قلبها دقات عنيفة برزت على سطح صدرها الناهد فى ارتفاعه المفاجئ وهبوطه السريع . هربت من قلبها بالإسراع إلى الحمام ، وعندما عادت إلى غرفتها قررت أن ترتدى أبهى ما عندها .

فتحت النافذة على مصراعيها فوجدت ضباب حديقة الحيوان وقد انقشع تماما ، وبانت طرقاتها واضحة محددة ، وإن كانت الأقفاص قد اختبأت تحت أشجارها العريقة التى رصعها أبو قردان بلونه الأبيض الناصع .

١٧

كان جلال قد استيقظ فى غرفته الضيقة التى ينام فيها مع اثنين من إخوته . لم يشعر بالحرارة الخانقة التى تجتاح الزقاق كله والتى تثبت وجودها دائما من خلال النوافذ المفتوحة ليل نهار برغم رطوبة الزقاق وعدم تسلل الشمس إليه إلا فى لحظات عابرة قبل أن تغرب . نظر إلى حلته الجديدة التى استهلكت منه دخل أربعة شهور من عمله فى توزيع الخطابات . علقها على الحائط داخل كيس نايلون يحميها من التراب والرطوبة وروائح العفونة . كانت أمل قد أخبرته ذات مرة أن لونيها المفضلين فى حلل الرجال هما : الرمادى والكحلى ، فحرص على أن يكون لون حلته رماديا ليتفق مع ذوقها وفى الوقت نفسه يحتمل الأتربة وعوادى الزمن . كذلك اشترى قميصا أبيض ورباط عنق يجمع بين اللونين الأحمر والكحلى وحذاء أسود وجوربا من نفس لونه ، بالإضافة إلى زجاجة ماء كولونيا اشتراها لأول مرة فى حياته .

كانت أطول عطلة صيفية مرت به . لم يعرف شيئا عن أخبار أمل : هل خطبت أم تزوجت أم سافرت للاصطياف ؟! فكر مرارا فى الاتصال بها تليفونيا ، وكثيرا ما ذهب إلى كشك السجائر على ناصية الزقاق والحارة ، لكنه سرعان ما كان يتراجع ويكتفى بتحية صاحب الكشك دون أن يمد يده إلى التليفون . حاول أن يؤكد لنفسه أن موقفه معها آخر مرة كان صوابا ، لكنه فشل فى إقناع نفسه والتمتع براحة اليأس . حاول أيضا أن يثبت لنفسه أن ما فعله كان خطأ ، لكنه عاد بخفى حنين و لم يفز بإشراقة الأمل . حتى فرحة أسرته الغامرة بتعيينه فى الجامعة لم يتذوق لها طعما . كان كيانه كله فى كل لحظة يكاد يصرخ مناديا على أمل ، أمله الذى يمنح حياته معنى ومذاقا بعد

أن كانت قد فقدت كل معنى ومذاق .

كانت أمه قد استيقظت من النجمة . أعدت له الحمام الساخن برغم أن هذا الحمام قاصر على أفراد الأسرة فى شهرى ديسمبر ويناير فقط . انتهى من حمامه بأسرع ما يمكن وخرج منه مرتديا جلبابا نظيفا ناصع البياض فوجد المائدة الخشبية العارية وقد تدثرت بطبق به بيضة مسلوقة وقطعة من الجبن الأبيض ، وبرغيفين ساخنين ، وكوب من الشاى الأسود الساخن . إنه إفطار لا تعرفه هذه المائدة إلا صباح عيدى الفطر والأضحى . خدرته أحاسيس العيد بنشوة غامضة فاستسلم لها تماما برغم القلق الذى ينهشه ولا يستطيع أن يقاومه . وهو القلق الذى انتاب أمه فى الشهور الأخيرة عندما لاحظت انزواءه وعزوفه عن الكلام برغم فرحة النجاح والتعيين لدرجة أنها منحته درجة الدكتوراه من عندها فأصبحت تناديه باللقب على سبيل المداعبة وحفزه على التعبير عما يجيش بداخله ويقلقه . لكنه كان يكتفى بالابتسامة الحانية الرقيقة لدرجة أنها سألته مؤخرا بصراحة عما يقلقه فتحاشاها بإجابة لم تقتنع بها . نفى تماما وجود ما يقلقه فصدقته عيناها وكذبه قلبها .

جلس إلى المائدة يتناول إفطاره وأمه تحوم حوله بدعواتها . طلب منها أن تستريح فجلست أمامه وهى تحاول قراءة عينيه ، لكنه تحاشى النظر إليها وانهمك فى ازدراد البيض والجبن وتجرع الشاى ثم هرع إلى غرفته . كان أخواه لا يزالان يغطان فى نومهما فى حين علا شخير أحدهما . ارتدى ملابسه بحرص وسرعة . جرت يده بالكولونيا على ذقنه الذى حلقه بشفرة جديدة من تلك التى يعلنون عنها فى الصحف ، كما مشط شعره بطريقة تكاد تخفى خشونته . وقف أمام المرآة المشروخة التى فقدت قدرتها على الانعكاس فى بعض أجزائها ، وخمد بريقها فى أجزاء أخرى ، ومع ذلك أعجب بنفسه واكتشف فى وجهه وسامة لم يلحظها من قبل . بدا إنسانا جديدا فى كل

شيء . اجتاحه إحساس بأنه مقبل على حياة جديدة تماما وهو يودع أمه خارجا وهى تلاحقه بدعواتها .

خرج إلى الزقاق وكله حرص على ألا تصيب حلته كرة مبتلة أو ملوثة بالطين من الكرات التى يصنعها الصبية من الجوارب القديمة ويلعبون بها بعد أن يقسموا أنفسهم إلى فريقين لا يعرفان سوى الصراخ والسباب والألفاظ الجارحة . سعد لخلو الزقاق والحارة من الصبية الذين لم يخرجوا من جحورهم بعد . وفى لحظات كان يقف عند محطة الأتوبيس فى ميدان ميت عقبة . جاء أتوبيس يكاد ينفجر بركابه فخاف جلال على حلته برغم خبرته القديمة فى الدس بنفسه بين الثغرات التى تفصل بين الجثث المتراصة . نظر إلى ساعته التى غير زجاجها المكسور وأعاد إليها لمعانها عند ساعاتى الحارة فخشى أن يتأخر عن أول اجتماع للقسم فيثير انطباعا غير مريح وغير صحيح عن شخصيته وسلوكه . دس نفسه فى الأتوبيس التالى وفى حوالى ثلث ساعة كان واقفا فى ميدان الجامعة وقد رفع قدمه على سورها الضخم ليعيد إلى حذائه لمعانه بقطعة من الصوف يحتفظ بها فى جيبه . نفض بعض الأتربة التى علقت ببنطلونه وهندم شعره بكفه . تجاهل دقات قلبه وتحرك إلى غرفة مكتب رئيس القسم التى سيعقد فيها الاجتماع . دق على الباب دقات تجاوبت مع قلبه فسمع صوتا من الداخل يقول : ادخل . فتح ودخل . كان رئيس القسم يجلس إلى مكتبه فى حين جلس أمامه أستاذ الفلسفة الإسلامية . شد على يديهما منحنيا فأعادا التهنئة على مسامعه . جلس صامتا كأبى الهول فى انتظار أى سؤال يوجه إليه ، وعيناه على الباب مع كل قادم جديد .

نظر رئيس القسم إلى ساعته وقال للحاضرين :

— لم يتبق سوى خمس دقائق على بدء الاجتماع !!

قال أحد الأساتذة باعتزاز واضح بنفسه وهو يمسح الحاضرين بعينيه :

ــ لقد اكتمل العدد .. وأظن أنه لم يتبق سوى معيدة جديدة لم تحضر بعد !!

ثم نظر إلى رئيس القسم قائلا فى سخرية :

ــ إنها الأجيال الجديدة يا دكتور !!

ابتسم رئيس القسم فى دعابة رقيقة :

ــ هذا إذا لم تحضر فى الميعاد ؟! فأمامها أربع دقائق !!

تخبط جلال وسط موجات القلق ودوامات الحيرة . هل يمكن أن تكون مريضة ؟! من السهل أن تعتذر فى حالة مرضها ! هل وقع لها حادث ؟! أعوذ بالله من الأفكار السوداء ! هل يمكن أن تكون قد تزوجت وسافرت أو هاجرت كما فعلت صديقتها وفاء ؟! كل هذا ممكن ، فإنه لم يعرف عنها شيئا طوال ثلاثة أشهر ويزيد . لقد كانت كتلة من الحرص على تفوقها العلمى واستمرارها فى سلك التعليم الجامعى حتى أعلى درجاته ! فما الذى جرى وجعل كل هذا يتغير هكذا ؟! هل قابلت الشاب الذى تدلهت فى غرامه بحيث تخلت عن كل شىء من أجله ؟!

طمأن جلال نفسه بأن ميعاد الاجتماع لم يحل بعد وإن كان كل أعضاء هيئة التدريس قد تجمعوا عن بكرة أبيهم . لكن خاطرا جديدا هاجمه كالضربة القاضية : هل يمكن أن تكون قسوته معها سببا فى تعاسة أدت إلى ارتكابها حماقة فى لحظة يأس أو ضيق ؟! لكن أمل ليست من ذلك النوع الذى يمكن أن يرتكب مثل هذه الحماقات ! مع الطمأنينة الجديدة السارية فى دمائه لمح عربة حمراء صغيرة تقف بحذاء الحديقة المواجهة لنافذة الغرفة المفتوحة . خرجت منها فتاة رأى ظهرها . كانت ترتدى فستانا أحمر فى منتهى الأناقة . إنها تشبه أمل .

ــ إنها أمل !

لهج جلال باسمها بصوت هامس دون أن يدرى ، فظن رئيس القسم أنه لم يلتقط ألفاظ جلال فسأله :

— ماذا قلت يا جلال ؟!

أحس جلال بحرج بالغ لكنه تماسك وضغط على ألفاظه :

— قلت يا دكتور إن أمل قد وصلت فى ميعاد الاجتماع تماما !

ابتسم رئيس القسم وداعب الأستاذ المتحامل على الأجيال الجديدة :

— لقد وصلت فى ميعادها تماما ! فنحن حريصون على أن نختار من أبنائنا من يصلح لحمل المسئولية معنا حتى نسلمها له بعد ذلك بضمير مرتاح .

بمجرد أن انتهى رئيس القسم من جملته سمع دقات رقيقة على الباب ففتح المعيد القريب من الباب ، وظهرت أمل وحمرة الخجل تمتد من فستانها لتنعكس على وجهها ، وسلمت على رئيس القسم وحيت الحاضرين بعدة هزات من رأسها وهى تتساءل متلعثمة :

— هل تأخرت عن الاجتماع ؟!

ابتسم رئيس القسم :

— إطلاقا .. الاجتماع سيبدأ الآن !

جلست أمل على المقعد الخالى القريب من الباب . بدأ رئيس القسم فى الحديث عن التطورات التى يريد إحداثها فى أسلوب التدريس بحيث يزيد اعتماد الطلبة على الكتب والمراجع فى المكتبة ، على اعتمادهم على الأساتذة فى قاعة المحاضرة . أعاره جلال أذنين مصغيتين ، أما عيناه فقد أعارهما لأمل . أخيرا أمامه بشحمها ولحمها ! لا ! فهذه ألفاظ لا تليق بها !! أخيرا بجمالها وبهائها ! تدحرجت عيناه تلقائيا على أصابع يديها التى قبضت على حقيبتها البيضاء فوق ساقيها . ردت إليه الروح عندما لم يجد سوى خاتمها الماسى الدقيق الذى كانت ترتديه فى آخر لقاء بينهما .

تفادت أمل النظر إليه ، لكن عينيها أجبرتاها على النظر الدقيق السريع إليه بين الحين والآخر . فى هذا المجمع العلمى الراقى أدرك جلال أن الثقافة التى عشقها منذ صباه ، وأعطاها الكثير من فكره ووقته وجهده ، وأضاء بها كيانه ووجدانه ، قادرة على تذويب الطبقات الاجتماعية والفوارق الاقتصادية بين عشاقها بحيث تبدو طبقات وفوارق مصطنعة لا تصمد فى وجه أنوار الثقافة . إنه يجلس الآن يتشرف بزمالة هؤلاء الأساتذة العظام ، ويشعر بأن جهده لم يضع هباء . ها هو المستقبل يفتح أبوابه أمامه ليقتحمه بكفاحه الذى لا يعرف الاستسلام أو الاستكانة !

ابتسم جلال عندما تذكر أن أناقته لا تقل عن أناقة أى من الحاضرين .

ظننت أمل أنه يبتسم لها فبدت على وجهها بشائر ابتسامة غاضت فى لمح البصر خوفا من أن يلحظها رئيس القسم فيسألها عن السبب ! لكن جلالا سعد بهذه البشائر أيما سعادة ! كانت عيناها قد استراحت أخيرا على وجهه الأسمر وإن كانت الأذنان قد شدت بمنتهى الحرص إلى كل كلمة قالها رئيس القسم ، ثم إلى مراحل الحوار الذى دار بين أعضاء هيئة التدريس وتناول كل التفاصيل والجزئيات ، وشارك فيه جلال ببعض الأفكار التى حازت إعجاب الجميع وأمل بصفة خاصة . بعد أكثر من ساعتين سأل رئيس القسم الحاضرين :

— هل هناك أفكار واقتراحات أخرى ؟!

وعندما لم يفتح أحد فمه بكلمة ، أضاف :

— لن آخذ من وقتكم أكثر من هذا .. كما أشكر لكم تفضلكم بالحضور والمشاركة فى الاجتماع بهذا الحماس الأسرى الآسر .. أستأذنكم لاجتماع مجلس الكلية الذى سينعقد الآن !!

حياهم جميعا ، ومع خروجه تضاعفت الدقات فى قلبى أمل وجلال . فقد حانت لحظة المواجهة أخيرا ، وإن كان الاجتماع الطويل قد مهد لها بأسلوب سلس طبيعى . تجمع الأساتذة فى مجموعات من اثنين أو ثلاثة ، يواصلون

الحوار ويتضاحكون ويتساءلون عن أحداث العطلة الصيفية لكل منهم ، فاختلطت ألفاظ الرحلات بالسفريات بالندوات بالمؤتمرات . وجد جلال أمل واقفة بمفردها دون تبادل الحديث مع أحد . تجاهل دقات قلبه وتقدم منها فى محاولة مستميتة لتعويَض ما بدر منه فى لقائهما الأخير . كان خائفا من الصد وراضيا به فى الوقت نفسه . كانت آماله وأشواقه طوال العطلة الصيفية منبعا لخوفه فى حين كانت حيرته وتردده وقلقه وصراعه مع نفسه مصدرا لرضاه إذا صدته ، لأنها بذلك تكون قد وفرت عليه اتخاذ القرار النهائى الذى قد يندم عليه العمر كله .

لكنه لم يجد أى صد . كان ترحيبها مشوبا ببعض القلق والحرج ومع ذلك شدت على يده بحرارة سرت فيها كمس الكهرباء وهى تتساءل مداعبة :

ـــ ما هذه الأناقة ؟!

جاراها فى دعابتها وقرر التخلى عن مظهره الجاد الذى يميل أحيانا إلى الكآبة :

ـــ إنى تلميذك !

واصلت دعاباتها وابتساماتها :

ـــ على الأقل وجدت شيئا أخيرا يمكن أن تتلمذ فيه على يدى !

أجاب وهو ينظر عبر النافذة المفتوحة :

ـــ مبروك السيارة الجديدة !

ـــ بارك الله فيك .. كيف عرفت أنها سيارتى ؟!

قالتها وهى تنظر معه فى الاتجاه نفسه فأضاف مجيبا :

ـــ رأيتك وأنت تهبطين منها !

ـــ لا زلت تملك القدرة على متابعة ما يدور حولك دون أن يلحظك أحد !

ــ أبدا .. لقد لاحظنى رئيس القسم عندما نطقت باسمك بمجرد رؤيتى لك !! فقد كان الجميع فى انتظارك وظنوا أنك ستتأخرين عن الاجتماع !!

ــ لكننى أتيت فى الميعاد تماما !!

ابتسم جلال وهو ينظر إلى عينيها السوداوين الواسعتين بتركيز لم يمارسه من قبل . كم هى رائعة وجذابة وساحرة !! سألها ضاحكا :

ــ هل سنظل واقفين هكذا ؟!

نظرت حولها فوجدت أن معظم الحاضرين قد انصرفوا . قالت :

ــ عندك حق .. هيا بنا !!

خرجا سويا كالأيام الخوالى وأحلامها الذهبية وأطيافها الساحرة . بلغا العربة الحمراء . قالت وهى تدير المفتاح فى بابها :

ــ أود أن أوصلك إلى أى مكان تريد !

ألقى بآخر ما فى جعبته من سهام . فلم يعد الأمر يحتمل أية تورية :

ــ أريد فقط المكان الذى تكونين أنت فيه !

أغرقتها موجات السعادة فتركت شاطئها يستسلم للنشوة . اتسعت عيناها ببريق تحدى ضوء الشمس الساطعة التى تحولت صفرتها الذهبية إلى حمرة مبهجة على وجنتيها . جلست على مقعد القيادة وفتحت له الباب المواجه له فدخل وجلس ثم أغلقه . لأول مرة يحتويهما مكان مغلق بمفردهما . أدارت محرك العربة وهى لا تعرف إلى أين تذهب ؟! هل إلى بيتها ؟! لا !! هل إلى بيته ؟! لا .. مرة أخرى ! هل إلى مكان يجلسان فيه سويا لحوار ممتع طويل ينهل منه كل منهما بعد عطش شهور الصيف الطويل الساخن ؟! لا تعرف ! إذ يبدو أن هذه كلها أسئلة لا مكان لها فى لحظة عجيبة مثل هذه ! لحظة يعجز اللسان عن التعبير عنها ! إنها تحس فحسب .

انطلقت العربة من البوابة الحديدية الضخمة ودارت حول الجانب الأيمن

من النصب التذكارى لشهداء الجامعة . عجز جلال عن قراءة أى أسم من أسماء الشهداء التى استسلمت تماما لعوامل التعرية . أضاء اللون الأخضر فانطلقت أمل صوب تمثال نهضة مصر الذى توقفت عنده للإشارة الحمراء . تأمل جلال الفلاحة المصرية وهى توقظ أبا الهول بكل إباء وشمم ليشهد مصر الحديثة وقال متسائلا فى سعادة :

— إننى أتعجب ! كيف استطاع محمود مختار أن يرمز إلى مصر بهذه الفلاحة الساحرة فى وقت كانت تحكم فيه بالملوك والأمراء والنبلاء والبشوات والبكوات ؟!

ابتسمت أمل ابتسامة ساحرة :

— لن يتوقف عقلك عن إثارة القضايا الفلسفية والفكرية والفنية فى كل لحظة تقع فيها عيناك على أى شىء يثير التأمل !! فلنفكر فى أنفسنا قليلا .. فاللحظات القادمة ملكنا نحن وحدنا !!

ربت على يدها فى رقة بالغة وقال بصوت تتفجر نبراته بالحب والتقديس :

— إننى لا أستطيع أن أنسى مصر فى وجودك .. كما أنك كنت دائما فى وجدانى ودمائى وروحى فى وجود مصر !! إنك وطنى ودنياى وعالمى !! مثل مصر تماما !!

كانت أروع ألحان سمعتها أمل . تمالكت نفسها عندما سطعت الإشارة الخضراء حتى لا تحتك بالسيارات المحيطة . لكن المكان الذى يمكن أن يذهبا إليه لم يعد يشغلها . فقد انطلقت العربة فى خفة ورشاقة وكأن إطاراتها قد ارتفعت فوق الطريق وشرعت فى الطيران صوب آفاق المستقبل .

رقم الإيداع ٢٤١٨ / ٨٣
الترقيم الدولى ٢ — ٠٠٥٧ — ١١ — ٩٧٧